

# DENGÈ KURDISTAN طون كردستان



العدد ٨٢ حزيران ٢٠١٧

مجلة سياسية فكرية ثقافية

## المقاومة الشاملة ستحطم كل الهجمات والمخططات

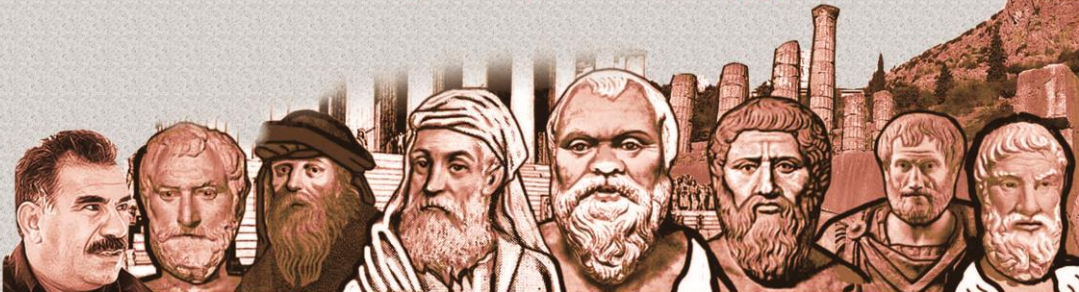
### قضايا إعادة إنشاء العصرية الديمقراطية

### أسباب الأزمة في الشرق الأوسط

### الصراع الإنساني: الأسباب والنتائج

JIN JI BONA DI

## القائد أبو وعلماء الاجتماع





الشهيد بوطان كجي



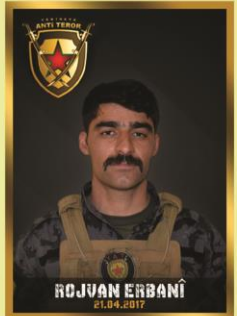
الشهيد خلو حسكة



الشهيد دردو ملاذكرت



الشهيد دلسوز خمكين



الشهيد روجفان عربياني



الشهيد روجنك كوباني



الشهيد شاليش حسكة



الشهيد شرفان تل تمر



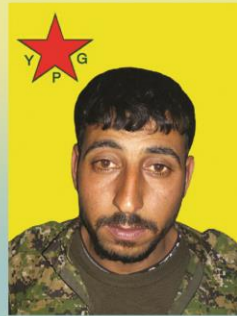
الشهيد صري حسكة



الشهيد طوفان بيسمل



الشهيدة غربت علي ارسوز



الشهيد فايز نشوي



الشهيد كلي تولهلدان



الشهيد كمال هورمان



الشهيد مراد سيرت



الشهيد هوكر حسكة



# DENGÊ KURDISTAN صوت كردستان



العدد ٨٢ حزيران ٢٠١٧

مجلة سياسية فكرية ثقافية

## في هذا العدد

- ٢ الافتتاحية
- ٣ قضايا إعادة إنشاء العصرية الديمقراطية
- ١٤ المقاومة الشاملة ستحطم كل الهجمات والمخططات
- ٢١ اسباب الازمة في الشرق الاوسط الرفيق رستم
- ٢٦ تاريخ حركة الحرية الكردستانية
- ٣٤ الازمة السورية والحل الديمقراطي
- ٤٦ العقد الاجتماعي للفيدالية الديمقراطية لشمال سوريا
- ٥٧ الوثيقة السياسية لسورية المستقبل
- ٦٠ القائد ابو وعلماء الاجتماع
- ٦٥ الصراع الإنساني... الأسباب والنتائج
- ٧٤ حقيقة الحقيقة
- ٧٨ احياء الذات انتصار على التاريخ
- ٨٦ الديانات السماوية
- ٩٣ نحو فجر جديد
- ٩٨ باني الاجيال

نتلقى آرائكم ومقترحاتكم على العنوان

[dengekurdistan72@gmail.com](mailto:dengekurdistan72@gmail.com)

كما يمكنكم متابعة أعداد المجلة على الموقع الإلكتروني

[www.dengekurdistan.net](http://www.dengekurdistan.net)

مطبعة سيماف

## الافتتاحية

الأرض التي انجبت العظماء من الرسل و المؤرخين والفلاسفة، احتضنت مسيرة الدمعة والابتناسامة معاً، ثنائية الطور في كل شيء، من النور والظلام، الخير والشر، زمرة تتربع على العرش هنا باسم الدولة وفقراً وجوع يفتك المجتمع هناك. سيناريو مزدوج ما بين الديكتاتورية والديمقراطية، انهكت الحروب والصراعات الدموية هذه الجغرافيا من أجل بعض المنافع، هذه الجغرافيا تنظر بمنظار الأمل نحو المستقبل وبأحلام واعدة عبر الشبيبة، بغناها وموزييكها الجميل تصرخ من جديد داعية إلى الأمن والسلام، وتحاول تمزيق ستار الظلم والإنكار، على أمل أن يرى الوجه الآخر بعيداً عن التضليل ومنافع بعض الطبقات الضيقة. رغم الازدواجية في الموازين السياسية والانجرار وراء المصالح والمنافع الضيقة يبقى الشرق موطناً أساسياً. الشرق الذي خدم الإنسانية لعصور كان مصدر القوة والوثام، اليوم يعيش حالة سباق للطامعين من قوى النظام العالمي على فرض نفوذه على هذه الجغرافية. فصرخات الحق لأحفاد أمة كانت وماتزال مرآة وجهنا الحقيقي. فالיום وإخلاصاً لوقفها، تُحاول بقوتها الديمقراطية في الشرق الوصول إلى تجربة ريادية عليها تكون من التجارب المواقبة للعصر، هذه تجربة التي ستكون بمقدورها إنقاذ الشرق من براثن وضعيته ما بين آلام الماضي وأحلام المستقبل.

كثيرة هي حالات التشخيص التي تم وصفها لمنطقة الشرق الأوسط من قبل «المستشرقين» ووضعوا لها الدواء عليهم بذلك يخرجوا منطقة الشرق الأوسط من الحالة المزرية التي تعيشها، لكن تلك التشخيصات كلها كانت عبارة عن تأويل وضعية بعيدة عن واقع وحقيقة ثقافة المنطقة. فلا عقلية الدولة القومية ولا ذهنية الاسلام السياسي كانت الدواء الناجع الذي تم وصفه من قبل مهندسي تقسيم منطقة الشرق الاوسط في بداية القرن العشرين. فتقرباتهم تلك زادت من حالة الوهن والمرض بين شعوب المنطقة وحولتها من سيء الى أسوأ وكانت شعوب المنطقة هي الضحية لتلك العقلية الاستشراقية. فلا الدولة القومية حلت معضلة الشعوب وتطلعاتهم نحو الحرية ولا الذهنية الاسلامية المعتدلة والسلفية منها كانت برداً وسلاماً على المنطقة. فالشعوب أخذت تكوى في نيران هذين الدوائيين حتى اوصلت المنطقة إلى حالها المزرية لا حول لها ولا قوة.

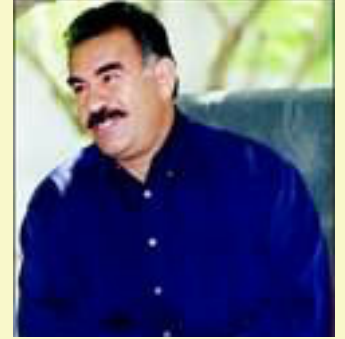
لوضع أي حل لأي معضلة في منطقة الشرق الأوسط لا يمكن أن يتم من خلال تبني نماذج آخرين، بل علينا نبش تاريخ ثقافة شعوب المنطقة لإيجاد الحل بين ثنائيا أهات هذه الشعوب. على مر تاريخ المنطقة كانت الحياة المجتمعية الطبيعية البعيدة عن ذهنية الدولة هي مكنم الحل لكافة الأمراض المجتمعية. فالحياة المجتمعية الطبيعية هي نواة الأمة الديمقراطية. ففيها يمكن تحقيق العدالة الاجتماعية والسلم الأهلي وبناء مجتمع اخلاقي سياسي. فبدونها لا يمكن الحديث عن أية حلول لمنطقة الشرق الأوسط. ثمة من يراوغ ويوصف بعض الحلول المستنسخة من هنا وهناك إلا أن ذلك لا يتعدى ديماغوجية وصفصة فالأمة الديمقراطية هي اللبنة الأساسية للحياة الاجتماعية المشتركة بين كافة شعوب منطقة الشرق الاوسط جوهرها «الوحدة في التنوع» فكل بلغته وثقافته ودينه وغيرها يعبر عن مكونات ذاته بعيداً عن املاءات الأخ الاكبر أو الغير. لتعايش الأخوي بين الشعوب التي كانت تتمتع بها منطقة الشرق الأوسط منذ القدم، هي حل حقيقي لهذه المرحلة أيضاً. تعتبر الامة الديمقراطية مناخ الطبيعي لتطور والتكامل الامم. وبالتالي فالأمة الديمقراطية هي النموذج الأنجح لتجاوز الكثير من المعضلات والقضايا العالقة والتي تنهش بالإنسانية في راهننا.

بين طيات صفحات صوت كردستان هناك الكثير من حالات تشخيص القضايا المستعصية لما تعيشه المنطقة. فيها العقلية التي توضح امكانية وضع الحل لأية مشكلة تعشيها الشعوب، وذلك في البحث بين تاريخ وثقافة نفس الشعوب بعيداً عن تقليد الغير أو الآخر في بناء الدولة القومية. بقناعتنا بأن الأمة الديمقراطية ستصبح شعار كافة شعوب

المنطقة التي تبحث عن الحرية والعدالة والاخلاق فشعار «الأمة الديمقراطية هي الحل» ستنبأه كافة شعوب المنطقة أمام أي هجمة من هجمات القوى النظام العالمي ملتحفة بغطاء الدولة القومية أو الملتحية بالاسلام السياسي المعتدل.

## قضايا إعادة إنشاء العصرية الديمقراطية

« عبدالله أوجلان »



الاستثناءات النادرة جداً. أي أنّ العصر الذي عاشوه يُسكّل والديهم الحقيقيين. لا أتناول الموضوع بقدرية. بل أودّ التشديد على استحالة خلاص حتى أكثر الثورات راديكالية قولاً وممارسة من تكبّد الفشل الذريع، ما لم تتخط الخطأ الجذريّ الجسيم، حتى لو عمّرت خمسة آلاف سنة أو أربعة قرون. لا يمكننا البتة القول أنّ المقاومات الاجتماعية والثورات لم تترك لنا أيّ إرث يُذكر. فلو لا هذا الميراث، لما كان سيكون لحياتنا أيّ معنى. ولكن، حتى الأزمة المنتصبة في الميدان، والتي تُعانيها حدثتنا الواثقة من نفسها تماماً، برهان كافٍ على بُعدها عن حل منبع القضايا العالقة. أما انتشارها على فتراتٍ طويلة، فلا يمكن أن يُفند كون الخطأ خطأً، ولا تخرُج القضايا من كونها قضايا إشكالية. وما دام الأمر مستمرّاً بهذا المنوال، فلا يمكن لإخيلات الحياة التي تسودها المساواة والحرية والديمقراطية أن تتحرر من البقاء في دوامة اليوتوبيا الخيالية.

لدى قيامي بمحاسبة تاريخ المدينة والحادثة أساساً في مرافعتي، أكون بذلك قد مرّرت من نقد ذاتي جذريّ من جانب، ومن الجانب الآخر أسعي لتقديم بدلي، مهما كان ناقصاً. فالمبدئية والمصدقية تقتضيان ذلك. لكنّ علم الاجتماع الأوروبيّ المحور عاجز عن إبداء هذه المبدئية الراسخة. فمن ناحية سنتحدث عن عصرٍ علميٍّ

الجانب الأكثر مأساويةً في الثورات العصرية كونها ضحية نزعة الحداثة التي ساهمت بذاتها في تحقيقها. يكمن النقص المشترك لهذه الثورات في العجز عن تحليل تيار الحداثوية، مُعتدّة بانتصارها في أهدافها التي تتطلع إليها، حتى دون حل أو تحليل علاقاتها وتناقضاتها مع تيار الحداثوية. عندما كان الأمر كذلك، فالمضامين اليوتوبوية للثورات لم تتخلص من الذوبان في الحسابات الجليدية للحداثوية في وقتٍ مبكر. الدرس الممكن استخلاصه من تاريخ المدينة والحادثة طيلة خمسة آلاف عام عموماً وعلى مرّ القرون الأربعة الأخيرة على وجه الخصوص، هو أنّ العامل الأساسي وراء فشل كل المقاومات والثورات هو عجزها عن وضع الفوارق بينها وبين النظام الذي تمرّدت عليه، وعن تكوين نظامها المضادّ له. إذ قيّمت المدينيات والحادثة بموقفٍ أحديّ انفراديٍّ، وطابقت بينها وبين الحياة الكونية التي يجب امتثالها. لذا، ورغم أنّ المقاومات التي لا حصر لها لم تترك مدينةً إلا وسوتها بالأرض وهدمتها، إلا أنّ ما تحقّق لم يك أبعد من نسخة جديدة من المدينة السابقة.

هنا يظهر مصدر قوة المدينيات أماناً. فالأشخاص اللامعون عموماً هم أبناء المدينيات التي عاصروها، بما فيهم الثوريون العظام أيضاً، فيما خلا بعض

القرن التاسع عشر وميشيل فوكو في النصف الثاني من القرن العشرين، فَبَقِيَتْ قاصِرةً عن الخروج من كونها جهوداً فردية، وعن اكتساب ماهية تيار أخلاقي وسياسي جماعي؛ بالرغم من قيمتها النفيسة. كذلك، فالتحليلات الأحدث لكل من فرناند بروديل وإيمانويل والرشتاين وأندريه غوندر فرانك وزملائهم القريبين منهم في العمل بصدد المدنية والنظام العصري، فمن غير الممكن القول أنها أحرزت النجاح نفسه في إنتاج البديل؛ رغم تعاطيهم الانتقادي الأكثر واقعية للموضوع ضمن إطار تكامل المجتمع التاريخي. فكان المدنية والحادثة نظامان دائريان مغلقان يقتضيان الاستمرار الدائم بالضرورة، فيوجهون الانتقادات الشاملة للغاية، غير أنهم لم يذهبوا أبعد من قول عدة جمل باسم البديل المطروح. بمستطاعنا فهم دوافع جنون نيته والموت المبكر لميشيل فوكو. ولكن، من غير الممكن القبول بتقديم ميشيل فوكو الاشتراكية المشيدة على أنها البديل، وباقتصار إيمانويل والرشتاين على اصطلاحات أكثر مساواة وحرية وديمقراطية، وباكتفاء أندريه غوندر فرانك بقول عبارة «الوحدة ضمن التباين» التي هي أكثر عمومية من غيرها بكثير. وكأنهم بنواقصهم هذه يعترفون بعجزهم عن كسر طوق سلسلة العلم الأوروبي المركز الذي انتقدوه كثيراً.

قد يرى تحليلي للموضوع على أساس انتقادي، وتقديمي البديل له ضمن إطار المرافعة بأنه محاكمة شخصية لمركزية المدنية القديمة وللحادثة الرأسمالية كمثل عنها في يومنا الراهن. هذا الرأي صحيح بأحد معانيه. فقناعتي الشخصية هي أن المرء لا يمكنه العمل

بِعلم سليم، دون تحليل

محكوميته (لا أقصد

الحكم بالسجن بالمعنى

الضيق، بل أرمي إلى

الحكم الاجتماعي العام

الذي فرضته المدنية

والحادثة على الحياة

الحرّة). ذلك أن أول

شرط لإنجاز علم قيم

هو تحليل الذات الفاعلة

القائمة به لنفسها،

وتحقيقها مكانتها

لا نظير له، ومن ناحية ثانية سنبقى عاجزين حتى عن تدليل وحشية مُفجعة كالحرب! في هذه الحالة لا تبقى ثمة شرعية لانتقاد العصور القديمة بسلاح العلمية. ما ينبغي القيام به هو للحاق بعلم ذي شرعية. وأنا أقيم جهودي ضمن هذا المضمار.

يجب عدم النظر إلى ما قلته بشأن المدنية والحادثة بعين المبالغة. لا يمكن الوقوع في الشك قطعياً من صميمية الأنبياء العظمى لدى انتقادهم أنظمة النماردة والفراغة باسم كلام الرب. لكن الزاعمين باقتنائهم أثرهم والسير على خطاهم دوماً، لم يتمالكوا أنفسهم البتة من تحقيق أنظمة نمرودية وفرعونية جديدة تخلف نفس أنظمة النماردة والفراغة وراءها. وإن كان السلاطنة والملوك والأباطرة قد باتوا مع الأنظمة التي أسسوها أسرى نفس النظام، فمن الضروريّ بمكان رؤية قوة المدنيات في ذلك أيضاً. فالنية الحسنة، والسير على هدى الأنبياء لا تنفد من التبعية لنظام نمرود وفرعون.

كان ماركس ولينين وماو صادقين في صرايحهم تجاه الرأسمالية. بل وكان إيمانهم راسخاً لا يتزعزع في أنهم أسسوا الاشتراكية في مواجهة الرأسمالية. لكن النتيجة البارزة قبل مرور وقت كثير أظهرت أن البنية التي أسسوها لا تختلف كثيراً عن الرأسمالية. هنا أيضاً كانت المدنية الجديدة، أي الحادثة الجديدة هي التي تقرض قوتها. ذلك أن تحليلات رأس المال السطحية لم تك كافية لتطوير الاشتراكية. ما كان ناقصاً هو تحليلات الحادثة. فالرؤية العالمية الوضعية التي تأثروا بها من الأعماق كانت تقدّم الحادثة على أنها الحالة الأقدس للواقع. لندع انتقادها جانباً، بل كانوا يعتقدون بأنهم سيؤيدونها كاملاً. والنتيجة مبسوطة للعيان. فما دام تسلسل الخطأ التاريخي مستمراً، فلن نتخلص حتى أنبل الأهداف وأقدسها من التحول إلى أداة في خدمة حسابات المدنية والحادثة الجليدية.

ما وراء الحادثة بعيدة عن أن تكون بديلاً، رغم كونها إحدى أولى الحركات الناقدة الجادة بشأن استحالة استمرار الحادثة الرأسمالية. فبنيتهما التوفيقية المتمفصلة والمُبهمّة لم تمنحها الفرصة حتى لعرض الفوارق التي تميّزها عن الحادثة الكلاسيكية. بينما جهودها الشبيهة برومانسيات القرن التاسع عشر بقيت عاجزة عن الذهاب أبعد من كونها ضرباً من ضروب الآداب. أما انتقادات الحادثة التي تزعمها كل من فريدريك نيتشه في نهايات

**الفكر المحور لانتقاداتي**  
هو أن نظام مدنية الخمسة  
الآف عام (بما فيه النظام  
الهرمي الأقدم أيضاً) ينبع  
من تراكم رأس المال  
والسلطة المتأسسين على  
مجتمع القرية - الزراعة  
والمجموعات البدوية  
المترحلة في الريف،  
وعلى الحرفيين والعمال  
العبيد في المدينة



النجاح في يوتوبياتها على درب المساواة والحرية، فالسبب الأساسي لذلك يكمن في استخدام الأسلحة نفسها التي استخدَمَتها المدنية المُنهارَة (أي قوى السلطة والدولة)، ومن تصوّر المستقبل المراد إنشائه كنسخة مُعدّلة مشتقة منها. فقصورها في إنتاج الذهنية والبنى الملائمة لطبيعتها الاجتماعية باستقلالية، أدى إلى انصهارها في بوتقة اشتقاقات القطب المضاد.

كما أنّ جريان التاريخ ليس نظاماً من مدارات متكرّرة، فهو أيضاً لا يتقدّم على خط مستقيم. فبقدر ما كوّن داخله من حركات ذهنية وبنوية، فهو بالمثل مجموع حركات الوعي والممارسة المُحمّلة بأعبائها والمكتسبة تكاملها بالثقل نفسه. فالتحول إلى تاريخ، والتواجد كجزء من حلقات الجريان أمر ممكن في كل الأوقات. أما شرط ذلك، فهو التحلي بالقوة الذهنية والصياغة البنوية حسب الثقل اللازم. والتاريخ بمعناه هذا يتسم بطبيعة لا تُخطئ أبداً. أي أنّ جميع الآراء والممارسات العاجزة عن تطوير القوة الذهنية وتأمين الصياغة البنوية بما يُحوّلها لاحتلال مكانتها ضمن التاريخ؛ إنما عليها البحث عن مسؤولية ذلك في ذاتها هي.

#### أ- المدنية، الحادثة، وقضية الأزمة:

أنظمة المدنية مشحونة بماهية الأزمة بحكم بُنياتها. أي أنّ الأزمات ليست أوضاعاً تؤوّل إليها بين حين وآخر حصيلة عوامل داخلية وخارجية على مدى الزمان والمكان. بل إنّ النظام ذاته يُنتج الأزمات باستمرار (أو الأزمات العارمة في حال الإفراط فيها). منطقت الأزمات بسيطة للغاية: تتأسس السلطة - أو طبقات الدولة بتعبير أكثر رسمية - على القيم الاجتماعية وفوائض القيم المُغتصبة. هذه الطبقات المتأسسة في أحشاء المجتمع تجنح دوماً للتعاظم بحكم بُناها المُنظمة والمُسلحة. وبسبب الارتزاق بشقّ الأنفس والموت نتيجة مختلف أنواع الأمراض والحروب، يتناقص تعداد شرائح المجتمع الكادحة نسبة إلى طبقات الدولة. بينما يتضاعف تعداد أصحاب الدولة وشتى أنواع أجهزة السلطة كثيراً، كونهم يتبعون نظاماً غذائياً أفضل بكثير، ويحمون أنفسهم، ويكثرون من النسل (ماهية السلالة للسلطات والدول الأولى مِيالة للأسرة الكبيرة

العملية. وفي حال العكس، فلن يستطيع التخلّص من استخدام المعرفة والعلم الذي حظي به في السوق كراس مالٍ فكريّ في السوق، وبالتالي من إنجاز علم السلطة. الفكر المحور لانتقاداتي هو أنّ نظام مدنية الخمسة آلاف عام (بما فيه النظام الهرمي الأقدم أيضاً) ينبع من تراكم رأس المال والسلطة المتأسسين على مجتمع القرية - الزراعة والمجموعات البدوية المترحلة في الريف، وعلى الحرّيين والعَمال العبيد في المدينة. حافظت احتكارات السلطة والدولة على مضمونها هذا حتى يومنا، إلى جانب اكتسابها أشكالاً مختلفة كالتجارة والمال والصناعة، باقيةً بذلك كأشكال رئيسية لا تتغير. وتاريخ المدنية متأسس على حروب الاقتسام والحصص فيما بين الاحتكارات نفسها من جانب، وعلى الحروب التي شنتها جميعها معاً ضد القوى المناهضة من الجانب الآخر. ما يتبقى هو حروب الهيمنة الأيديولوجية، والأعبى وترتيبات نهب القيم الاجتماعية المعتمدة على الحرب والسلطة. وعهد المدنية الرأسمالية، أي الحادثة، هو الحالة الأرقى لهذا النظام. بينما طابع النظام من حيث المركز - الأطراف، الهيمنة - المنافسة، والأزمة المتصاعدة - المنخفضة؛ موجوداً منذ البداية. أما عهد الحادثة، وبالأخص المرحلة التي يؤدي فيها الرأسمال المالي دور الهيمنة، فهو تعبير عن وضع الأزمة البنوية الأعمق على الإطلاق.

أما الحل البديل الذي اقترحتُه، فيتعلق بضرورة البحث عنه في وعي وحركات الطبيعة الاجتماعية لجميع القوى التي تحتل مكانها - بحكم الطابع الجدلي للنظام - في الطرف المضاد للنظام، منذ تصاعد الهرمية حتى مراحل المدنية، وصولاً إلى سياق تاريخ الحداثوية ذات الطابع الرأسمالي مؤخراً. ذلك أنّ آية نسخة من تاريخ المدنية الرسمية لا يمكن أن تكون حلاً للقوى المضادة. ولئن بقيت النضالات الاجتماعية عاجزة في التاريخ عن تحقيق

**جريان التاريخ ليس نظاماً من مدارات متكرّرة، فهو أيضاً لا يتقدّم على خط مستقيم. فبقدر ما كوّن داخله من حركات ذهنية وبنوية، فهو بالمثل مجموع حركات الوعي والممارسة المُحمّلة بأعبائها والمكتسبة تكاملها بالثقل نفسه**



ذات التعداد الكثير. سياسة القوة تقتضي ذلك). حالة الاختلال المتبادل هذه المتعلقة بالنظام، تعني الأزمة. فكلما استمرت طبقات الدولة المتكاثرة والمتوتدة أكثر في نهب قيم المجتمع، تبدأ مرحلة استحالة استمرارية النظام. وهذا هو الوضع المسمى بمراحل الأزمة.

هناك سبيلان ضروريان للنفاد من الأزمة. أولهما؛ تَظْهَرُ قُوَّةٌ مَهِيْمَةٌ جَدِيْدَةٌ تَقْضِي عَلَى مَنَافِسِيهَا حَاصِلَةٌ حُرُوبِ الْهَيْمَةِ الْمُحْتَمَةِ. وَنَظَرًا لِأَنَّ الْقُوَّةَ

المهيمنة قد سَحَقَتْ أُنْدَادَهَا ذَوِي النَّصِيبِ الْوَفِيرِ سَابِقًا، فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى حِصَصِهِمْ، مُعْتَبِرَةً أَنَّهَا تَخَطَّتِ الْأَزْمَةَ نَسْبِيًّا لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ، إِلَى أَنْ يَظْهَرَ مَنَافِسُونَ جَدَدٌ إِلَى الْمِيدَانِ. ثَانِيَهُمَا، وَبِالتَّدَاخُلِ مَعَ الْأَوَّلِ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ؛ تُحَقِّقُ زِيَادَةَ الْإِنْتِاجِ بِإِدْرَاجِ الْأَسَالِيبِ الْإِنْتِاجِيَّةِ وَالتَّجَارِيَّةِ وَالصَّنَاعِيَّةِ الْأَكْثَرِ عَطَاءً حَيْزِ التَّنْفِيزِ. وَالنِّظَامُ الْمَهِيْمُ الَّذِي يُحَقِّقُ زِيَادَةَ الْإِنْتِاجِ، يَعْنِي أَنَّهُ بَلَغَ عَهْدَ الرِّفَاهِ كَوَجْهٍ مُضَادٍّ لِلْأَزْمَةِ. الْأَزْمَاتُ أَطْوَلُ فَاصِلًا بَيْنِيًّا وَأَجَلًا زَمَنِيًّا فِي مَدَنِيَّاتِ الْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ. فَطَالَمَا تَمَّ الْمَرُورُ بِأَزْمَاتٍ مُسْتَمِرَّةٍ بِفَوَاصِلٍ مَمْتَدَّةٍ مِنْ قَرْنَيْنِ إِلَى أَلْفِ عَامٍ. وَكُلَّ مَرَحَلَةٍ مِنَ الْأَزْمَةِ الْمُسْتَشْرِبَةِ تَنْتَهِي عَمُومًا بِتَغْيِيرِ السَّلَالَةِ وَالْمَرْكَزِ. بِالْمَقْدُورِ تَعَقَّبَ هَذِهِ الْمَرَاكِلَ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ اعْتِبَارًا مِنْ مَدَنِيَّتِي سُوْمَرِ وَمِصْرٍ. أَمَّا أَزْمَاتُ الْعُصُورِ الْوَسْطَى، فَرِغْمَ تَشَابُهِهَا مَعَ سَابِقَاتِهَا، إِلَّا أَنَّ فِتْرَاتِهَا بَاتَتْ أَقْصَرَ أَمْدًا. حَيْثُ شَوَّهَدَتْ بِرُوجٍ مُنْتَشِرٍ عَلَى فِتْرَاتٍ زَمْنِيَّةٍ تَمْتَدُّ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ وَنِصْفٍ.

لِأَزْمَاتِ النَّظَامِ الرَّأْسَمَالِيِّ جَوَانِبُهَا الْخَاصَّةُ بِهَا، رِغْمَ حَدُوثِهَا وَفِقَ هَذَا الْخَطِّ الْعَامِ. فَاحْتِكَارَاتُ الْمَالِ وَالتَّجَارَةُ فِي النَّظَامِ تُؤَدِّي دَوْرًا رِيَادِيًّا فِي الْبَدَايَا. عِلَاقَاتُهَا مَعَ الْإِنْتِاجِ مَحْدُودَةٌ. مُقَابِلَ ذَلِكَ، يُسْتَخْدَمُ الْمَالُ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ فِي الْاِقْتِسَادِ، وَتَنْتَامِي أَهْمِيَّةُ الْمَالِ كَثِيرًا بِسَبَبِ تَطَوُّرِ التَّسْلِيْعِ التَّجَارِيِّ وَاِكْتِسَابِهِ خَاصِيَّةَ السِّيَادَةِ. وَيَتَرَكَّزُ احْتِكَارُ الْمَالِ وَالتَّجَارَةِ فِي يَدِ حَفْنَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْقُوَّةِ خِلَالِ الْمَسَارِ. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَنْخَفِضُ قُوَّةُ الشِّرَاءِ لَدَى الْمَجْتَمَعِ بِسَبَبِ نَدْرَةِ الْمَالِ. وَتُعَاشُ أَزْمَاتُ زِيَادَةِ الْإِنْتِاجِ كَحَالَةٍ أَوْلَى لِلْأَزْمَةِ، نَظَرًا لِبَقَاءِ الْإِنْتِاجِ الزَّائِدِ فِي الْوَسْطِ دُونَ اسْتِهْلَاكِهِ. فَبَيْنَمَا يَفْسُدُ الْإِنْتِاجُ الزَّائِدُ لِلْعَجْزِ عَنِ بَيْعِهِ مِنْ جَانِبٍ، فَفِي الْجَانِبِ الْآخَرَ يَتَصَوَّرُ الْكَادِحُونَ جَوْعًا وَحِرْمَانًا لِاِفْتِقَادِهِمْ قُوَّةَ الشِّرَاءِ بِسَبَبِ

ندرة المال. ويُعَاشُ الْعَكْسُ أَيْضًا خِلَالَ فِتْرَةٍ وَجِيْزَةٍ. فَالْإِنْتِاجُ الْبَخْسُ تَنْخَفِضُ قِيَمَتُهُ، وَتَنْقَطِعُ عِلَاقَةُ الْمَالِ الَّذِي فِي حُوزَةِ الْيَدِ مَعَ الْإِنْتِاجِ. إِذْ ثَمَّةُ مَالٌ كَثِيرٌ وَإِنْتِاجٌ قَلِيلٌ فِي الْمِيدَانِ. وَغَلَاءُ الْمَعِيشَةِ الْمَتَزَايِدُ (التَّضَخُّمُ الْمَالِي) يَعْنِي وَضْعًا جَدِيدًا مِنَ الْأَزْمَةِ. الطَّرِيقُ الْمُبْتَكَّرُ لِلنَّفَادِ مِنْ كِلْتَا حَالَتِي الْأَزْمَةِ هُوَ الْعَمَلُ عَلَى تَلَاْفِي زِيَادَةِ أَوْ نَقْصَانِ الْإِنْتِاجِ بِخَلْقِ شَرِيحَةٍ مَاجُورَةٍ مَحْدُودَةٍ، وَزِيَادَةِ مَصَارِيْفِ الدَّوْلَةِ؛ بِالإِضَافَةِ إِلَى حُرُوبِ الْهَيْمَةِ كَطَّرِيقٍ تَقْلِيدِيٍّ. لَقَدْ شَوَّهَدَ هَذَا النَّمَطُ مِنَ الْأَزْمَاتِ بِشَكْلِ مُنْتَشِرٍ وَمَتَدَاخِلٍ فِي عَصْرِ هَيْمَةِ الرَّأْسَمَالِيَّةِ طِيلَةَ الْقُرُونِ الْأَرْبَعَةِ الْآخِرَةِ. وَلَكِنْ، بِفِتْرَاتٍ أَقْصَرَ، بِحَيْثُ تَمْتَدُّ مِنْ خَمْسِينَ إِلَى مِائَةِ عَامٍ.

بَاتَتْ حُرُوبُ الْهَيْمَةِ شَامِلَةً وَمُكْتَفَةً وَطَوِيلَةً الْأَمْدِ بِمَا لَا يُمْكِنُ مُقَارَنَتَهُ مَعَ أَيَّةِ مَرَحَلَةٍ حَضَارِيَّةٍ. وَالِاحْتِكَارَاتُ الْمُنْخَرِطَةُ فِي الْحَرْبِ أَيْضًا أَصْبَحَتْ عَلَى الصَّعِيدَيْنِ الْقَوْمِيِّ وَالْدَوْلِيِّ. بِالتَّالِي، لِأَوَّلِ مَرَّةٍ يَتِمُّ التَّعَرُّفُ عَلَى حُرُوبِ ذَاتِ نِطَاقٍ عَالَمِيٍّ. بَيْنَمَا لَمْ تَغِبْ الْحُرُوبُ الْمَحَلِيَّةُ وَالْإِقْلِيمِيَّةُ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ. الْأَفْطَعُ أَنَّ الْمَجْتَمَعَ بَرَمَتَهُ تَجْرِي عَسْكَرَتُهُ عَلَى يَدِ الدَّوْلَةِ الْقَوْمِيَّةِ، لِيُرَجَّ بِهَ فِيْمَا هُوَ أَشْبَهُ بِحَالَةِ حَرْبٍ. لِذَا، مِنَ الْوَاقِعِيَّةِ أَكْثَرَ نَعَتْ مَجْتَمَعَاتِنَا الرَّاهِنَةَ بِمَجْتَمَعَاتِ حَالَةِ الْحَرْبِ. حَالَةُ الْحَرْبِ الْمَفْرُوضَةُ تُدَارُ مِنْ قَنَاتَيْنِ. أَوْلَاهُمَا؛ إِرْضَاخُ الْمَجْتَمَعِ بِجَمِيعِ مَسَامَاتِهِ لِلرَّصْدِ وَالْمَرَاقِبَةِ وَالْقَمْعِ الْمَشْدِدِ مِنْ قِبَلِ أَجْهَزَةِ السُّلْطَةِ وَالدَّوْلَةِ الَّتِي تَحِيطُ بِهِ كَالشَّبَكَةِ بِاعْتِبَارِهَا قَنَاءَ الطَّرِيقِ الْوَاقِعِي. الطَّرِيقُ الثَّانِي هُوَ إِقَامَةُ الْمَجْتَمَعِ الْاِفْتِرَاضِيِّ مَكَانَ الْمَجْتَمَعِ الْحَقِيقِيِّ بِوَسَايَةِ قَنَوَاتِ تَقْنِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ (الِاحْتِكَارَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ) الْمَتَنَامِيَّةِ بِثُورَةٍ نَوْعِيَّةٍ خِلَالَ الْخَمْسِينَ سَنَةً الْآخِرَةَ. يُمَكِّنُ وَصْفَ كِلْتَا حَالَتِي الْحَرْبِ بِالْإِبَادَةِ الْمَجْتَمَعِيَّةِ. فَالِي جَانِبِ الْإِبَادَاتِ الْعَرْقِيَّةِ الْمُنْبَقَّةِ قَدِيمًا بِحُدُودٍ أَضْيَقٍ، فَالِإِبَادَاتِ الْمَجْتَمَعِيَّةِ الْجَدِيدَةِ هَذِهِ تَحْضُرُ





نهاية الطبيعة الاجتماعية بحالاتها الدائمة والمكثفة. قد يستمر وجود مخلوقات شبيهة بالنوع البشري، ولكن كحشدٍ قطيعيٍّ وكجماهيرٍ الفاشية. إحصائية الإبادَةِ المجتمعية تُظهرُ نفسها في فقدان المجتمع بأكمله لماهيته الأخلاقية والسياسية، لأنها أشدُّ وطأةً من الإباداتِ العرقية. والتجمعاتُ البشرية اللامبالية حتى بالكوارث الاجتماعية والأيكولوجية الأثقلُ وطأةً خيرٌ دليل على هذه الحقيقة. لذا، لا يمكن إنكارَ عيشٍ وضعٍ متأزمٍ يتجاوز الأزمة العارمة. قد يكون من المفيد إيجازاً كيفية الوصول إلى هذا الوضع، ولو تكراراً، بغرض تأمين التكامل.

a- التاريخ بأحد المعاني يعني التعاضُّم التراكمي للسلطة (ككرة الثلج المتضخمة كلما تدرجت)، منذ تأسيس أولى هرميات السلطة وسيادات الدولة حتى يومنا. فتاريخ المدنية زماناً ومكاناً مليءٌ بحروب السلطة التي هي جوهره. فبدءاً من الحروب المحلية إلى الحروب العالمية، ومن الحروب القبلية إلى الحروب القومية، ومن الحروب الطبقيّة إلى الحروب الدينية؛ جميعها انتهت بإكثار السلطة وتعاضُّمها التراكمي. إكثارُ السلطة يعني التطوُّر الطبقيّ المقتات بالتطفل على القيم الاجتماعية. فالحكم الذي يُكوّنُ هرميةً محدودةً في بداياته، ويُقدِّمُ أحياناً مساهماته الهامة إلى المجتمع بتجاربه وخبراته؛ يَعدو طبقاتٍ كاستيةً منغلقةً مع تحوُّله إلى دولة. فالمجموعات الكاستية، وإلى جانب ماهيتها السلاطنتية، قد نظمت نفسها على شكل طبقاتٍ امتيازية، مكتسبة امتيازاتٍ خاصةً لدرجة تحوُّلها الزعم بالألوهية. العصور القديمة مليئة بالملوك - الآلهة والأباطرة الشواهد على تضخُّم وسمو السلطة بمثل هذه المزايم باستمرار. بينما طبقات السلطة والدولة التي تُنظَّم نفسها على هيئة ثالوث الراهب + الحاكم الإداري + القائد العسكري، كانت زمرةً محدودةً بحالتها هذه، وتُشكِّلُ نسبةً منخفضةً جداً من تعداد المجتمع. لكننا نعلم من أمثلتهم التي لا تُحصى أنهم باتوا عبئاً ثقيلاً على كاهل المجتمع كبدية للتطفل. فالأهرامات والمعابد والحلبات تُوضِّحُ ماهية هذا العبء بأفضل الأحوال. لم يَفقدْ تزايدُ السلطة من وتيرته شيئاً في العصور الوسطى. فالتاريخُ مُعبأٌ بحروب السلطة المتزايدة بانتشارها في أماكنٍ أوسع نطاقاً. لا ريب أن زيادة

إنتاجية المجتمع تُشكِّلُ دافعاً في ذلك أيضاً. وأضيفت طبقةٌ شاسعة من الأرستقراطيين إلى السلاطات الملكية. رغم ذلك، من غير الممكن الحديث عن تسرُّطن طبقة الحُكَّام آنذاك. الفاجعة بدأت مع هدم البنية الملكية والأرستقراطية وإطراء التحوُّل عليها، ومع ظهور الطبقة الوسطى، البورجوازية والبيروقراطية، وتحوُّلها إلى طبقاتٍ سلطويةٍ مُمسكةٍ بدفة الحكم. لا شك في إمكانية نعتِ الحُكَّام السابقين لها بالفاجعة أيضاً. لكنها جميعها لم تكُ بالدرجة التي تُقدِّرُ فيها على ابتلاع المجتمع كلياً. فأوضاعها الكمية والنوعية لم تكُ تَسْمَحُ بذلك. إن تحوُّل الشرائح الاحتكارية العليا من البورجوازية مع البيروقراطية وقسم هامٍّ من البورجوازية الوسطى إلى سلطةٍ وطبقاتٍ دولة، يعني حلول الآلاف، بل عشرات الآلاف من قوة سلاطاتٍ جديدةٍ محلَّ قوةٍ عدة سلاطاتٍ وملكيَّاتٍ قديمة. أي أنه يعني حلول الآلاف الملوك مكانَ ملكٍ واحد. واتحاد الشخصية الذكورية المُتَحَكِّمة المتنامية في المجتمع الجنسوي مع القوى الملكية الجديدة تلك، إنما يعني غزو واستعمار الطبيعة الاجتماعية بأكملها على يد قوى السلطة الجديدة. فجميع شرائح المجتمع الأخلاقي والسياسي، وعلى رأسها المرأة، باتت ضحايا هذا الاستعمار الداخلي.

لم يتم تحليل تدوُّل الطبقة الوسطى بعد، بسبب أواصر الانتماء الجذرية لحدِّ ما بينها وبين علم الاجتماع. ولكي يكونَ للدولة معنى لدى المجتمع، فلا بد من أن تقومَ بوظيفةٍ تدلُّ على تراكم المهارة والخبرة اللازمتين. ليس عسيراً استيعاب دوافع تمثيل المهارة والخبرة بأشخاصٍ جدِّ محدودين بالنسبة للإدارة الحاكمة. لكنَّ عرضَ البورجوازية والبيروقراطية نفسيهما بجنتيهما المتضخمتين على أنها طبقة حكم الدولة، يجعلُ تعاضُّم السلطة ضمن المجتمع كحالة سرطانية أمراً لا مفرَّ منه. هكذا، فالدولة القومية المُعَيَّرَةُ عن اتحاد وتكامل احتكارات الاستغلال الاقتصادي والهيمنة الأيديولوجية مع أجهزة السلطة، باتت مع السلطة كل شيء. بينما المجتمع أصبح لا شيء. هذا هو فحوى الحدث الذي أسميناه بأزمة السلطة. والنظام الرأسمالي هو قوة توليد هذه الأزمة. فالشبكة الرأسمالية بطبقتها الوسطى المسعورة وباحتكاراتها الرأسمالية التي لا تعرفُ حدوداً للتضخم على الاقتصاد، لا يمكنها الاستمرار بوجودها إلا بتشكيل السلطة لذاتها في هيئة الدولة القومية. هذا

هو الحدث المسمى بانسدادٍ وعُقم النظام. بينما التحول السلطوي يُعبّر عن وضعٍ أبعد من الأزمة.

b- المجتمع الأخلاقي والسياسي، الذي يُعدّ الحالة الاعتيادية للطبيعة الاجتماعية، هو وجهاً لوجه أمام الحرمان من ماهياته الأساسية في عصرنا بما لا يمكن مقارنته بأية مرحلة تاريخية أخرى بتاتاً. فالمجتمع الأخلاقي والسياسي، الذي تصاعد على التضادّ مع الدولة طيلة العصور القديمة والوسطى، بات مرعماً على تركٍ مكانه بسرعة لحكم الدولة وبنود القانون الوضعي المتكاثر بلا حدود تزامناً مع عهد الحداثة الرأسمالية. أي أنّ ماهيات المجتمع الأخلاقية والسياسية تتخّصت عن مكانها في ظلّ الحداثة لتحلّ محلّها حشود الرعايا وأعضاؤها من المواطنين المتتمّلين الذين لا يُمثّلون أيّ شيءٍ إطلاقاً.

المواطن الذي يزعم أنه عصري، وعلى عكس ما يُقال، لا يتسم بأية هواجس أخلاقية أو سياسية، إنما يُمثّل أضعف مراحل كينونته كفرد. صلاته مع المجتمع محدودة بزوجته التي يُمارس عليها صلاحياته الإمبراطورية. إنه كائنٌ عديم الشخصية ومنصهرٌ ضمن حكم السلطة والدولة لدرجة لا يمكن قياسها حتى بعهد فرعون. أو بالأصح، ومن خلال الهيمنة الفيزيائية والأيدولوجية وتطبيقاتها التقنية والمعلوماتية، لم يقتصر المواطن على الاستسلام للنظام الاحتكاري وحسب، بل وغداً عضواً فاشياً طوعياً لهذا النظام دون قيدٍ أو شرط. هذا هو الحدث الذي أسميته بأزمة الشخصية. إذ لا يمكن للطبيعة الاجتماعية أن تتكوّن من هكذا نوع من الشخصيات، لأنّ نسيجها الأساسي ذو نوعيةٍ أخلاقيةٍ وسياسية. في حين لا

يمكنكم العثور على هذه الماهية ضمن تلك الشخصية، حتى لو بحثتم عنها بالمجهر. الدول قادرةٌ على السير بهذه الشخصيات. لكن، ما من مجتمع يمكنه الاستمرار بهذه الشخصية. أو

#### المواطن الذي يزعم

أنه عصري، وعلى عكس ما يُقال، لا يتسم بأية هواجس أخلاقية أو سياسية، إنما يُمثّل أضعف مراحل كينونته كفرد. صلاته مع المجتمع محدودة بزوجته التي يُمارس عليها صلاحياته الإمبراطورية

بالأصح، فهذه الشخصية تُعبّر عن تفنيد المجتمع. ونظراً لأنّ الدولة مستحيلة الوجود بلا مجتمع، فنحن وجهاً لوجه مرةً أخرى أمام وضعٍ تعيش فيه الدولة والمجتمع أزمةً متداخلة. وضعُ الشخص العديم الشخصية، والذي بلغته نزعة الفردية الرأسمالية، ليس سوى ظلّ للأزمة التي تعانها الدولة والمجتمع على السواء. واضحٌ جلياً أنه لا احتكارات رأس المال، ولا احتكارات السلطة، ولا حُكم الدولة القومية التي هي صياغة الدولة الموحّدة أمورٌ ممكنة، دون الإيقاع بالمجتمع والفرد في هذه الحالة. الأزمة الاجتماعية تُعبّر عن وضعٍ أبعد من الأزمة البنوية. قد تُنشأ بنية مكانٍ أخرى. أمّا فقدان الماهيات الأساسية لكيونته المجتمع، فهو ليس وضعاً يمكن التغلب عليه بسهولة من خلال إعادة البناء. بل يفتضي إعادة إنشاء المجتمع الأخلاقي والسياسي. وهنا تكمن المشقة.

c- التمدن عنصرٌ آخر من عناصر الحداثة الأكثر أزمةً على الإطلاق. مجتمع المدينة، الذي تطوّر ضمن تكاملٍ جدليٍّ مع مجتمع القرية - الزراعة، قد أدى وظائف اجتماعية هامة. هذا وله دوره الاجتماعي في نماء العقلانية والصناعة. ولم يتطور تناقضه مع البيئة المحيطة بعد. لكنّ مرحلة التمدن حرّفت دور المدينة. فالمدينة المحوّلة إلى قاعدة ومقرّ للطبقة الحاكمة، قد اكتسبت بنيةً وذهنيةً مضادةً لمجتمع القرية - الزراعة والأيكولوجيا ضمن السياق التاريخي. كما حُمّلت المدينة وظائف على حساب المجتمع، مع اكتساب طبقة التجار مكانةً مركزيةً إلى جانب الطبقة المنتجة. هذه الوظائف السلبية التي كانت محدودة النطاق في العصور القديمة والوسطى، قد تعاضمت كالتيهه تزامناً مع الحداثة. أما المدن المتعاضمة كالسرطان تماشياً مع الثورة الصناعية، فقد غدت مراكز هدم المجتمع التقليدي. أي أنّ المدينة الصناعية ليست بمدينة، بل هي لامدينة المدينة، أي إخراج المدينة من كونها مدينة. فالمدائن التي سُكانها مائة ألف فقط نقيضة لمنطق المدينة، فكيف إذا كانت ذات مليون نسمة؟ مدينة واحدة سُكانها مليون نسمة مستحيلة، بينما مدنٌ عديدةٌ إجماليّ سكانها مليون نسمة أمرٌ ممكن. فإن كان ثمة مدينة من خمسة ملايين نسمة في مكان ما، فهذا مفاده فعلاً أنه ثمة خمسون مدينة على الأقلّ هناك. خاصية المدينة في هدم المجتمع



الاقتصاد من نظام مُنتجٍ لإحاجات الإنسان الضرورية إلى نظام يُحقِّق تراكُم الربح - رأس المال بمعايير لا يمكن قياسها بأية مرحلةٍ أخرى. بينما التقدُّم في العلم والتقنية يتميز بمكاياله القادر على تلبية حاجات الإنسان الأساسية بكل سهولة. وإدارة اقتصادية سليمة يُمكنها تلبية تلك الحاجات بشكل يسير باستخدام العلم والتقنية. ولكن، لا يُؤدِّن في هذه الحالة للتطور الاقتصادي، نظراً لأن تراكُم الربح - رأس المال سيكون مُهدداً. لذا، يُصبح التضادُّ مع الاقتصاد ضرورةً حتمية.

علينا البحث عن الأزمة الممنهجة والبنوية في هذا الواقع. فالأزمات ومراحل البُحران التي تعكس نفسها دائماً عبر زيادة أو نقصان الإنتاج (بِحيث تكون شدتها منخفضة أو مرتفعة)، وفي الصدارة من خلال البؤس القاهر والمجاعات والبطالة التي لا مثيل لها في التاريخ أبداً (نادراً ما يتحدث التاريخ عن العبيد أو القنان العاطلين عن العمل)؛ إنما تُؤلف ضرباً من حُكم الأزمة عبر تكثيف الحروب والاشتباكات أكثر، وجعلها أطول مدةً باعتبارها أدوات الحل التقليدية. ذلك أن التضادَّ مع الاقتصاد يحتاج بالضرورة إلى حُكم الأزمة، ولا يمكن للحُكم أن يكون بشكلٍ آخرٍ من هنا، ينبغي الإدراك جيداً أن حُكم الدولة القومية يُمثل حُكم أزمة غير اعتيادي. فأخراج المجتمع من كونه مجتمعاً، وتصويره حشداً قبطياً - فاشياً، ليس أسلوباً خاصاً بهتلر وحسب، بل هو مرتبط بالطابع العسكرتاري للدولة القومية. فنظراً لاستحالة الاستمرار بالنظام الاحتكاري بأي شكلٍ آخر، فحُكم الدولة القومية مضطَّر لأن يكون حُكم الأزمة بالضرورة، بوصف الدولة القومية قالب السلطة المُحصرة للمجتمع لأقصى درجة، والمتغلغل فيه حتى أدق مساماته. أما خلق الأمة، فهدف ثانوي. في حين أن القومية شرط لا غنى عنه في نمط هذا الحكم إلى جانب العناصر الأيديولوجية الأخرى.

نمط التحليل المعمول به بشأن الاحتكارات الرأسمالية هو الفصل بين الأزمات التجارية والصناعية والمالية. فضلاً عن أن المغالاة في أطوار الأزمة - الرفاه بعيدة عن عكس جوهر النظام القائم. فلا دوامة المركز - الأطراف، ولا الهيمنة - المنافسة، ولا الأزمة - الرفاه تعكس مضمون النظام الحقيقي. لا ريب أن لجميع هذه الوقائع نصيبها. خاصة وأن طور هيمنة الاحتكارات المالية يُعبر عن المرحلة التي تنعكس فيها الأزمة

مخفيةً في حقيقتها هذه. فهكذا مدائن عاجزة عن حمل عبء المجتمعات الاعتيادية، بينما يستحيل عليها حمل عبء البيئة بتاتا.

يتجسد المنطق الكامن وراء التَّضخُّم السكانيِّ لهكذا مدن في استعمار المجتمع اللارأسمالي، وإكثار السلطة، وارتقاء مكانة الطبقة الوسطى إلى مستوى الحُكم. العوامل الثلاثة معاً تتكوَّن مع القضاء على المجتمع الأخلاقي والسياسي. فهي لا تقتصر على تصفية مجتمع القرية - الزراعة والمجتمعات المهاجرة وحسب، بل وتُفجِّم شرائح الوظيفة الإيجابية التقليدية في مجتمع المدينة، كالحرفيين وصغار الكسبة والمتنورين والكادحين الآخرين، في مرحلة الزوال مادياً ومعنوياً على السواء. هكذا يتم العبور من مجتمع المدينة صوب حشد المدينة. أما الريف، فيُحمل إلى الضواحي النائية، مُكتسباً شأن مُستعمرة خاضعة لمزيد من السيطرة. احتكار الدولة والسلطة يبتلع المدينة، والمدينة تبتلع الريف. أما المجتمع الذي ليس بمجتمع، فيبتلع البيئة. ونظراً لأنه لم يَبْقَ مجتمع ريفي ولا بيئة ولا كادحو أو متنورو المدينة التقليديون ليحملوا عبء المدينة، فإن الوضع البارز مرةً أخرى هو ما فوق الأزمة.

ليست الكوارث البيئية وحسب، بل والإبادة المجتمعية الحقيقية أيضاً على صلة مباشرة مع سرطنة المدينة هذه. التشخيص المشترك للعلوم هو أن عدداً جماً من المدائن التي لا تستطيع حتى دولة تحمُّها - ناهيك عن تحمُّل منطقة لها - قد ألحق ضرباتٍ مُميتة بالتوازن الأيكولوجي للعالم. أما مؤشرات التصفوية المفروضة على المجتمع، فهي ليست سوى أنسجة المجتمع الأخلاقي والسياسي التي قوّضتها الطبقة الوسطى الحاكمة المتضخمة كالورم، وحشدٌ غير عاطل عن العمل، وبلبلَةٌ تجتمع مواطنين لا مبالين.

d- قوة هيمنة الاحتكارات المُعادية للاقتصاد، والتي تعاطمت تدريجياً، قد أخضعت الموارد الاقتصادية لتراكُم الربح - رأس المال، فابتعدت عن مكانتها في تلبية الاحتياجات الضرورية للمجتمع. وعلى عكس ما يُعتقد، فآزمات الرأسمالية البنوية برهان على أنها احتكارٌ مضادٌ للاقتصاد، وليست النظام الاقتصادي الأكثر عطاءً. فرغم كل أطروحات الاقتصاد السياسي المعكوسة إلا أن شبكات الاحتكار الرأسمالي حوّلت

الأكثر. وهو تشخيصٌ صحيح. لكن، من المهم للغاية صياغة التحليلات مع الإدراك بأن كل هذه الوقائع لا يمكن أن يكون لها أي معنى، ما لم يُستوعب تضاد النظام القائم مع الاقتصاد.

e- تفجر الأزمة الاقتصادية في عهد الحداثة ليس محض صدفة. فهذه الأزمة متعلقة بتضاد النظام القائم مع الاقتصاد، ومُتسمة بالبنوية. التوازن البيولوجي يتحقق أساساً من خلال العلاقات التكافلية (العيش بالتغذية المتبادلة) بين الأنواع. والنصيب البيولوجي الذي حظي به الذكاء الكوني قد أمّن ترتيباً كهذا. كنا قد حاولنا تعريف الحياة على أنها تحقق وتطور التباينات والاختلافات. والتوازن البيولوجي مرتبط بهذه القاعدة. هذا وكنت تطرقت إلى تكوّن التباين وعلاقته مع الحرية وقابلية الاختيار. العالم الأصغر (أصغر كمّيات الطاقة وجسيمات المادة وطرودها) والعالم الأكبر (جزر المادة والطاقة بالحجم الفلكي) يعملان بنظام مشابه. يسود العجز في التحقيق بشأن سببية أنماط العلاقة المحققة للتباينات. نكتفي حالياً بالقول «هي هكذا لأنها هكذا». فربما عدم كفاية معرفتنا، ومفهومنا العلمي الخاطئ يُسببان العجز عن استيعاب الحقيقة.

طبيعة الإنسان الاجتماعية خاضعة لهذه القاعدة الكونية في علاقاتها مع البيئة. وفي الوقت نفسه هو النوع الأرقى في قابليته للحرية والاختيار، بسبب طبيعته المشحونة بالذكاء الأكثر مرونة على الإطلاق. احتكارات الرأسمالية المضادة للاقتصاد تتناقض وهذه القاعدة. فكما أنها تحوّل العلاقة التكافلية إلى علاقة الحاكمية العظمى والسلطة والتحكم الأقصى ضمن بنية المجتمع الداخلية، فهي تحوّل الأوصار الأيكولوجية مع البيئة أيضاً إلى علاقة التحكم بالطبيعة واستعمارها. وهي تستعمر بإخضاعها المجتمع والبيئة كلياً لحاكميتها الأحادية الجانب، تماماً مثلما يُشاهد في الطحالب المُميتة أو أي نوع آخر شبيه بها. هكذا تتحول إلى كائن ضخم الجسد (اللويثان). ذلك أن نظاماً معتمداً فقط على تراكم الربح - رأس المال لا يمكنه التصرف بشكل آخر. ففي حال تصرّفه بالعكس، أي لدى عمله أساساً بالعلاقة التكافلية، فإن قانون الربح لن يعمل، فيغدو النظام القائم مضطرباً للتحويل.

الطبيعة أو البيئة قائمة ضمن توازن مع أنظمة منطقتها

الخاص بها، على عكس ما يُعتد. أما الحديث عن أسرار القوى العمياء، فهو تقييم خاطئ. فما يُدمر هذه الحساسية، إنما هو نظام المدنية، بل والحداثة الاحتكارية التكميلية الراهنة بالأكثر. فالتعاطف من النوع السرطاني للطبقة الوسطى الصائرة قوة السلطة، والتضخم السرطاني المشابه للمدن التي تُعد ساحة حياتها الأساسية، وربط العالم بسلسلة الدولة القومية؛ إنما هي الأسباب الاجتماعية الحقيقية للدمار المطبق على البيئة. حيث تؤدي إلى هذا الدمار من خلال تضادها مع بنية الطبيعة الاجتماعية المشحونة بالذكاء الأمرن من جهة، وعبر تحويل علاقاتها التكافلية مع البيئة إلى علاقات تحكم واستعمار من الجهة الأخرى. لهذا السبب، ثمة صلة وثيقة للغاية فيما بين الأزمة الاجتماعية (أو بالأصح الإبادة المجتمعية) والأزمة الأيكولوجية. فالأزمات في كلا الميدانين تُغذي بعضهما بعضاً باستمرار. فبينما يؤدي الربح الاحتكاري بالضرورة إلى زيادة السكان والبطالة والمجاعة والحرمان، فالتضخم السكاني نفسه يصبح مُرغماً على التوجه صوب تدمير البيئة بغرض التغلب على البطالة والفقر والمجاعة التي يعاني منها. هكذا يُحقيق الخطر الكبير بعالم الغابات والنبات والحيوان لا شك أن هذا الوضع يعود على الاحتكارات بمزيد من الربح. ومع استمرار الدوامة (كأن يصل التعداد السكاني عشر مليارات أو أن يتضخم أكثر على سبيل المثال)، يختل توازن العالم في التحمل. هكذا تتحقق القيامة المُرتقبة. فكما يُخطئ الشكلان السليم والسرطاني للتضخم على مستوى الخلية، ويُؤديان إلى السرطان والموت، فتضخّمات الربح الاحتكاري أيضاً تعيق التعاطف السليم فتتوجج وتُثير التطور السرطاني الاجتماعي والبيئي بمنوال مشابه (على جميع مستويات الطبيعة الاجتماعية). علماً أنه يمكن طبيياً إيضاح كيفية تطور أمراض السرطان البيولوجي لدى النوع البشري كحصول هذه السرطانات الاجتماعية. قابلية الحرية والاختيار لمخلوق ذي ذكاء مرموق وممرن كالنوع البشري، ليست أقل درجة مما لدى النمل، بكل تأكيد. فهل شوهد النمل عاطلاً عن العمل، كي يبقى البشر عاطلين عنه بذكائهم الموجود؟ في حال عدم اقتفاء قانون الربح، فالترتيبات الأيكولوجية بمفردها تتميز بإمكانات استخدام قادرة على إزالة البطالة كلياً من الميدان. فبينما يؤدي الاستخدام ذو



العبودية لأجل جميع الآخرين.

تعريف الليبرالية كأيدولوجيا يتميز بأهمية بالغة. فالقول بأنها جنوح إلى الفردية والحرية، أمر ناقص لأجل التعريف. لقد برزت الليبرالية كمصطلح تماشياً مع مصطلحي المساواة والأخوة في الثورة الفرنسية. على شكل الشعار الشهير: الحرية، المساواة، الأخوة. وكاصطلاح مركزي، فقد وجد المحافظين على يمينه، والديمقراطيين أولاً ثم الاشتراكيين على يساره. واتخذ لنفسه مظهراً معتدلاً من قبيل تطوير النظام القائم (الاحتكارية الرأسمالية) بالتطور الطبيعي، دون الشعور بالحاجة للثورات. أما المحافظون، فقد كانوا ضد التطوير، سواء بالثورة أو بالتطور التدريجي. حيث كانوا يستمتتون في الدفاع عن الملكية والعائلية والكنيسة. بينما الاشتراكيون والديمقراطيون كانوا يرون الثورة ضرورة ملحة لأجل تغيير أسرع. أما القاسم المشترك للجميع، فكان الحداثة. فالجميع كان يرى نفسه طموحاً وعازماً على تحديث نفسه، ولو كان لبعضهم نقاط تحفظ واعتراض. وبالخطوط العامة جداً، فالعيش مروراً بالتحول كان كافياً لأن يكون عصرياً. الحياة العصرية الأوروبية المركز، والمرصوفة أرضيتها بالتمدن، والتمسارعة مع النهضة والإصلاح والتنوير؛ كانت تمثل الأفق المشترك للأيدولوجيات الثلاث الرئيسية. كانت القضية معقودة على من الذي أو الذين، أو أي من الأيدولوجيات أو الأحزاب أو الأساليب أو أشكال التطبيق أو الممارسات أو الحروب سوف تبلغ هذا الأفق بأفضل الأشكال.

شخصت الليبرالية هذا الوضع بأجود الأشكال. ولم تتأخر عن التلاعب بمهارة وحذق بالأيدولوجيات والبنى التي على يمينها ويسارها، إدراكاً منها أن الحداثة تصاعدت بطابع رأسمالي، وأنه بالمقدور تطويرها أكثر فأكثر. وقسمت نفسها على شكل ليبرالية يمينية ويسارية. فبينما حوّلت المحافظين إلى جناح منضو تحت طياتها بعد شل تأثيرهم بوساطة الليبرالية اليمينية، فقد جعلت الديمقراطيين والاشتراكيين قوة احتياطية لها نسبياً بوساطة الليبرالية اليسارية. وهكذا تربعت هي في الموقع المحوري. وكلما تركزت الأزمة، كانت تجعل أحدهما احتياطاً لها ماضية قدماً على طريق التوطيد وتطور تبرج الأرسقراطيين وتصاعدت الديمقراطية الاجتماعية لشريحة من العمال المتنازلين على مر حكم



الهدف الأيكولوجي إلى إنقاذ البيئة، فهو من الجانب الآخر قادر على وضع حد نهائي فاصل للبطالة أيضاً. وبالمستطاع العثور على المئات من هكذا ساحات. لكنها تبقى محرومة من الاستخدام، كونها غير مربحة حسب قانون الربح الأعظمي. العلاقة بين الطابع الأيكولوجي والنظام القائم متأزمة ومستحيلة الاستمرار.

f- الليبرالية، التي هي أيدولوجية النظام المهيمنة، لا تنتج الحل، سواءً بشكلها الكلاسيكي أو المحدث الليبرالية، التي تعني مذهب الحرية من حيث الكلمة، مصطلح ذو نسبية كثيفة. فالعبودية هي الشكل المضاد للحرية، والذي ينعكس على فرد أو مجموعة. فالحرية القصوى للملوك - الآلهة في العصور القديمة قد خلقت مضادها على شكل طبقة العبيد. والحرية لأجل بيروقراطية العصور الوسطى لم تصبح ممكنة إلا بعبودية حشود غفيرة من القرويين - الأتقان. أما الليبرالية لأجل بورجوازي العصر الحديث، فقد سارت بالتداخل مع الحد الأدنى للأجر لشرائح البروليتاريا الواسعة النطاق ولأشباه البروليتاريا وغيرهم من الكادحين كنوع جديد من العبيد. بينما الليبرالية بمعناها الرسمي عنت الحرية بالنسبة لكافة طبقات الدولة القومية، فهي تعني البطالة والعمل المجاني والفقر المدقع والمجاعة واللامساواة واللاحرية وغياب الديمقراطية بالنسبة للمواطنين الذين هم عبيد عصريون. ينبغي الرؤية جيداً أن الليبرالية لا تعني النزوع للحرية بالمعنى الحقيقي. كان هيجل قد اعتبر الدولة أفضل أداة للحرية. ولكن، انبسط للعيان أن هذه الحرية تسري على طبقات الدولة وبيروقراطيتها فقط. بمعنى آخر، فالحرية القصوى بالنسبة للاحتكارات الاقتصادية والسلطوية (النخبة)، تعني شتى أنواع

خلال القنّاء الدينية وأرّفقته بالمدنية الرأسمالية التي استلمت الإرث الثقافي المادي من المدنية. لا يمكن غضّ الطرف عن دور الأيديولوجيات الدينية القومية المُضافة إلى الليبرالية في تخطي أزمات النظام القائم، وبالباغَة أبعاداً لا تُطاق.

٣- قدّمت أيديولوجية العلموية الوضعية مساهمةً وطيدةً للبرالية، بوصفها بديلاً فلسفياً على وجه الخصوص. إذ أدت الأيديولوجية الوضعية دوراً رئيسياً في التأثير على الأيديولوجيات اليمينية واليسارية معاً، مستفيدةً في ذلك من الثقة القويّة بالعلوم الطبيعية. حيث آلت إلى تحريفات هائلةٍ بالصاق عنوان العلموية على الأيديولوجيات بسهولة. وتركت بصماتها على جميع الانطلاقات الأيديولوجية اليسارية خصيصاً.

والاشتراكية المشيدة كانت تتزعم ذلك في هذا المضمار، حيث أسقطت في مصيدة الحداثة الرأسمالية بوساطة العلموية الوضعية. أما في اليمين، فكانت الفاشية في مقدمة التيارات التي تستمد قوتها من العلموية الوضعية. هكذا كانت الوضعية تمدد الليبرالية بطيف من الخيارات الأيديولوجية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين. وكانت الليبرالية تستفيد منها لأقصى الدرجات في التغلب على أزمات النظام البنيوية، من خلال استثمار تلك الخيارات بعد إرفاقها بذاتها في كل الشروط المكانية والزمانية اللازمة.

٤- صعدت النزعة الجنسانية واستخدمت بالأغلب كعنصر أيديولوجي تاريخياً في عهد الليبرالية. فالليبرالية التي ورثت المجتمع الجنساني، لم تكف بتصوير المرأة عاملاً مجانياً في المنزل فقط. بل وأكثر من ذلك، استولت عليها بتبضعها وعرضها في السوق كموضوع جنس. وبينما كان الكدح فقط مَبْصَعاً لدى الرجل، باتت المرأة بضاعة بكل جسدها وروحها. هكذا كان يُنشأ أخطر أشكال العبودية في حقيقة الأمر. ذلك أن «زوجة الزوج» باتت تُشكّل موضوعاً لاستغلال محدود، ولو أنها ليست صفةً حسنة. لكنّ التبضع بكل شخصيتها، مفاده استعباداً أسوأ من العبودية لفرعون.

الأزمة. فصّة جزئية من الربح الاحتكاري كانت كافيةً لذلك. بالتالي، فمعارضو النظام خلال القرنين التاسع عشر والعشرين لم يُسَلْ تأثيرهم وحسب، بل وكانوا قد أسقطوا في منزلة القوة الاحتياطية لأجل إدارة البنية المتأزمة في جميع المراحل. هكذا كانت تتأسس الهيمنة الأيديولوجية للبرالية.

استفادت الليبرالية من أربعة بدائل أيديولوجية هامة في سبيل مواصلة هيمنتها الأيديولوجية.

١- استتمت القومية بأفضل الأشكال تأثيراً. حيث كانت القومية حليف الليبرالية المُفضّل، سواء في شرعنة الحروب الداخلية والخارجية، أو في تكوين الأمة بيد الدولة. كانت تُشكّل الحلقة التوفيقية المتمفصلة الأولى. وقد اكتسبت خبرةً لا بأس بها في تدليل أشد الأزمات استفحالا من خلال تأجيج المشاعر القومية. وصيرت القومية أيديولوجية مقدسة بمستوى الدين. وتحت هذا الغطاء، لم يتم التغلب بسهولة على الأزمات والاستمرار بها فحسب، بل وكانت الاحتكارات من الجانب الآخر قادرةً على إخفاء أنظمتها الأشدّ وطأةً في الاستغلال والقمع أيضاً بنفس الغطاء.

٢- أُنبطت الأيديولوجية الدينية التقليدية بالدور القومي. حيث أضفت الليبرالية الطابع القومي على الأديان التقليدية

في ظل هيمنتها، بعد إفرغها من خصائصها الأخلاقية والسياسية. أو بالأحرى، لقد صيرتها ديناً قومياً. ذلك أن صبغ المشاعر الدينية التي تكمن جذورها في أغوار المجتمع السحيقة باللون القومي كان سهلاً، لتؤدي مع القومية نفس الدور، بل وأكثر لُحمةً. وأحياناً عمل على إنشاء الأمة اعتماداً على الأساس الاتني - الديني، بتداخل كلتا الأيديولوجيتين معاً. ونخص بالذكر الأيديولوجيتين اليهودية والإسلامية اللتين تطابقتا بسهولة مع القومية. ولم تتوان الأديان الأخرى أيضاً (المسيحية، أديان الشرق الأدنى، والتقاليد الدينية القديمة في أفريقيا) عن تحمّل الوضع المماثل. هكذا كانت الليبرالية قد نقلت الإرث الثقافي المعنوي من

الليبرالية، التي هي  
أيديولوجية النظام  
المهيمنة، لا تنتج الحل،  
سواءً بشكلها الكلاسيكي  
أو المُحدث. الليبرالية،  
التي تعني مذهب الحرية  
من حيث الكلمة، مصطلح  
ذو نسبية كثيفة

الاقتصاد) والأزمات الخاصة بالتمويل والمال (المال الذي يتم تمثله بمختلف الأدوات الورقية الافتراضية المنقطعة عن الإنتاج والذهب، بل وحتى عن الدولار) تسيران بشكل متداخل وفي مرحلة الحضيض من تاريخها. كان النظام قد تخطى أزماته أساساً بطريقتين حتى الآن. أولهما؛ عبر أجهزة العنف المادي للسلطة والدولة القومية المتكاثرة باستمرار. وهي تشمل شتى أنواع الحروب والسجون ومشافي المجانين والمستشفيات والتعذيب والغيوتوات وأخطر أشكال الإبادة العرقية والإبادة المجتمعية. ثانيهما؛ عبر التمثيل والإرفاق المتواصل مع أجهزة الهيمنة الأيديولوجية الليبرالية المتطورة. فعلى الصعيد الأيديولوجي هي في المركز مع ملحقاتها القومية والدينيّة والعلمية والجنسوية. أما على الصعيد الأداتي فهناك المدارس، الثكنات، أماكن العبادة، أجهزة الإعلام، الجامعات، ومؤخراً شبكات الإنترنت. هذا وينبغي إضافة تصوير الفن صناعة ثقافية إلى ذلك أيضاً.

لكن رجالات العلم العاديين بذاتهم يُفرون بأن كلا الطرفين يشتملان على معنى يدل على تطوير حكم الأزمة بدلاً من إيجاد الحل. ولا تُذلل الأزمات ومراحل البحران، ولو بقدر الماضي. بل، وعلى النقيض، فبينما تُصبح الأزمات ومراحل البحران الاستثنائية حالة عامة مستمرة، فالمراحل الطبيعية تغدو استثنائية، لتتبدل المواقع بهذه الطريقة. بينما تكمن عناصر الأزمة في أساس أنظمة المدنية، فالمجتمع البشري لم يك قد شهدا هذه الوطأة بتاتا. وإن كانت المجتمعات سُواصل مسيرتها فهي غير قادرة على تحمّل أشكال حكم الأزمة على المدى الطويل. فإما أن تنهار أو تتناثر. وإما أن تقاوم وتتغلب عليها بتطوير أنظمة جديدة. ونحن الآن نمرُ بمرحلة كهذه.

باستغلال النظام للمرأة  
أيديولوجياً ومادياً لا  
يتغلب فقط على أشد  
أزماته وطأة، بل ويرسخ  
وجوده ويضمّنه أيضاً

فالانفتاح على العبودية للجميع أخطر أضعافاً مضاعفة من العبودية لدولة أو شخص واحد. هذا هو الفخ الذي نصّبته الحداثة للمرأة. فالمرأة المنفتحة على الحرية ظاهراً، كانت ساقطة إلى مستوى أردل أدوات الاستغلال وأخطأها. فالمرأة أداة الاستغلال الأساسية، بدءاً من أدائيتها الدعائية إلى أدائيتها الجنسية والإباحية. يمكنني القول بكل سهولة أن المرأة أقيمت تحت أثقل عبء في تحمّل الرأسمالية واستمرارها.

تؤدي المرأة دوراً استراتيجياً بالنسبة للنظام القائم في الإكثار من الاستغلال والسلطة. فالرجل كمثل الدولة ضمن الأسرة يُعتبر نفسه صاحب الصلاحيات والمسؤول عن ممارسة الاستغلال والسلطة معاً على المرأة. حيث تحوّل كل رجل إلى جزء من السلطة من خلال تعميم القمع التقليدي على المرأة، فتظهر على المجتمع بهذه الطريقة أعراض مَرَض التحوّل إلى سلطة قصوى. فوضع المرأة يمدّ مجتمع الهيمنة الرجولية بمشاعر وأفكار السلطة اللامحدودة. من جانب آخر، فتمن جميع السلبات تدفعه المرأة الكادحة، بل المرأة نفسها؛ بدءاً من تكوّن العامل المتنازل إلى البطالة، ومن ظاهرة العمالية المجانية إلى العمل بأخس أجر. أيديولوجية الليبرالية الجنسية التوفيقية لا تكفي بتحريف هذا الوضع وإظهاره مُغايِراً عما هو عليه، بل وتحوّله إلى بدائل أيديولوجية مُصاغة للنساء بحرص.

إنه أشبه بفرض تقبل عبوديتها بيدها. بالإمكان القول أنه باستغلال النظام للمرأة أيديولوجياً ومادياً لا يتغلب فقط على أشد أزماته وطأة، بل ويرسخ وجوده ويضمّنه أيضاً. المرأة بمثابة أقدم وأحدث أمة مستعمرة في تاريخ المدنية عموماً، وفي ظل الحداثة الرأسمالية علي وجه الخصوص. وإن كان هناك وضع متأزم من كل النواحي، ويستحيل الاستمرار به، فإن حصّة استثمار المرأة تنصدر أسباب ذلك.

يعاني النظام الرأسمالي العالمي في ظل هيمنة الاحتكارات المالية العالمية من الأزمات المشتركة الخاصة بالتمويل، بقدر معاناته من أزمة نظامه العامة. أي أن أزمات النظام العامة (تتبع من تضادها مع

# المقاومة الشاملة ستحطم كل الهجمات والمخططات

«رزا التون



أردوغان التي تتخذ من ميراث الدولة القومية نهجاً لن تتهاون في إبادة الكرد. لذلك فمسؤولو الدولة التركية من حزب العدالة والتنمية وأردوغان لم يلجؤوا إلى ذلك الميراث فقط، لكنهم ركزوا في سياساتهم الجهورية على معاداة الشعب الكردي وفرض تلك المعاداة على الرأي الدولي ليحذو حذوهم. فسياساتها الداخلية تصبح شيئاً فشيئاً أكثر مركزية واعتباطية وفاشية.

## اتفاق العدالة والتنمية والقومي مبني على معاداة

الكرد

في هذه النقطة، يجب علينا الإشارة إلى أن اتفاق حزب العدالة والتنمية والحزب القومي التركي لا يمكن تفسيره فقط في التغيير الدستوري، فهو في جوهره قائم على معاداة الكرد. هذه المعاداة تفرز معها شيئين؛ الأول هو الذهنية التي ستحدد الدستور الجديد، والثاني هو حالة السلطة السياسية التي ستفرزها تلك الذهنية. أريد وأكرر أن الاتفاق هو من أجل معاداة الكرد في الدرجة الأولى، فكل الضغوطات والممارسات التي تحصل في تركيا تستند إليها، كذلك على الساحة السياسية الدولية. تركيا تهدف لإعاقة مقاومة وحدات حماية الشعب

سياسة الدولة التركية مبنية على أساس معاداة الكرد غيرت الدولة التركية من سياستها في العاميين الماضيين، ففي الوقت الحالي ينصب جل اهتمامها حول معاداة الكرد. والسبب في ذلك يعود إلى أن هناك في المنطقة وكردستان بشكل عام متغيرات ونتائج على الساحة الميدانية.

ففي روج آفا قاوم الكرد بشراسة إلى أن وصلوا لإعلان منطقة فيدرالية. وفي باشور كردستان هناك مساع لتطوير الشكل الحالي، كما شهد روجهلات كردستان حركة احتجاجات غير معهودة في الآونة الأخيرة. وفي باكور كردستان مقاومتنا المستمرة منذ ٤٠ عاماً بالإضافة للتطورات الأخيرة في الشرق الأوسط وجميع أجزاء كردستان وصلت لمرحلة جديدة. يعتبر التنظيم الاجتماعي والانخراط في صفوف الثورة والمقاومة والعمليات العسكرية في باكور كردستان من المشاكل والهوم الأولية والجديدة بالنسبة للدولة التركية. فإما أن تعيد النظر في سياساتها المتمثلة بالدولة القومية تجاه الكرد أو ستتصدى لكل مشروع من أجل حرية الكرد في الشرق الأوسط وبالأخص إبادة حركة حرية كردستان ضمن إطار الميثاق المللي. الدولة التركية مصرة على الخيار الثاني، فسلطة





جميع قداراته، لكن الخط الذي يمثله سيفلس بعد أن يسقط في الحكم.

الكردستاني من الناحية السياسية أفلس  
الحزب الديمقراطي الكردستاني من الناحية السياسة  
مفلس تماماً. بالأخص، عندما يتم تحليل هذا منذ ظهور  
داعش وبعد ممارسات داعش سيتضح أن الحزب  
الديمقراطي الكردستاني فقد تأثيره الفكري والسياسي  
والتنظيمي على المجتمع الكردي. كما أن موقفه من  
تنظيم داعش فقص من علاقته وسياساته الإقليمية  
والدولية، بالإضافة لظهور أزمة حقيقية في باشور.  
فهنا الديمقراطي الكردستاني وضع نفسه في حالة  
يخاف منها الكل. فالحزب الديمقراطي الكردستاني يسند  
ظهره لقوة هي عدوة الكرد- أي تركيا- وبذلك يريد أن  
يقف بالمرصاد أمام نضال حرية الشعب الكردي. كما  
أن علاقته مع الدولة التركية غير محدودة ولا يوجد  
طرف يقبل ذلك.

### ما يزعم تركيا، يزعم PDK أيضاً

على غرار الدولة التركية يعادي الحزب  
الديمقراطي الكردستاني تطور نضال الحرية وينتهج  
السياسة نفسها في الداخل. هذا الأمر يربط كليهما  
ببعض. فالدولة التركية تنزعج من التطورات الميدانية  
في روج آفا كذلك الأمر فالديمقراطي الكردستاني  
ينزعج من حزب الاتحاد الديمقراطي. تركيا تسعى  
جاهدة من خلال تسميتها روج آفا بالإرهاب نشر هذا  
المصطلح في الساحة الدولية. وكذلك الأمر فالحزب  
الديمقراطي الكردستاني بقوله « تابع للنظام وإرهابي  
و ضد الديمقراطية» يدخل في خانة واحدة مع الدولة

والمرأة

لكي تستطيع الدولة القومية التي بنيت على أساس  
إنكار الكرد الاستمرار بنهجها فإنها مستعدة وفي أي  
وقت أن تطلق التعاويذ، يتضح هذا جلياً خلال النظر  
إلى نداءات أردوغان للحالف الدولي. فيقول: «لم يبق  
شيء ولم نقله، نستطيع الذهاب إلى الرقة ونستطيع  
القتال، لكن بشرط دون وحدات الحماية وقوات سوريا  
الديمقراطية». فهنا الهدف الأساسي ليس القتال ضد  
داعش بقدر ما هو إعاقة مستوى نضال الحرية التي  
خلقتها الوحدات بريادة كردية. لكنه لم يتلق الجواب  
ولم يستفد شيئاً في الفترة الأخيرة أثارت نتائج عمليات  
الرقة وقرارات التحالف جنون وحفيظة الدولة التركية.

هجمات شنكال وقره جوخ نتيجة لذلك الجنون  
من السهل الاستنتاج أن الهجمات على روج آفا قره  
جوخ وشنكال في ٢٥ نيسان هي نتيجة لجنون الدولة  
التركية.

فهذه الهجمات يمكن تحليلها من جانبين: يجب  
تحليلها من قبل سياسات القوى الدولية بشكل جيد. كما  
يجب تقييمها من الداخل أي السياسة الداخلية للسلطة  
التركية.

فالدولة التركية التي تعتبر نفسها دولة قومية  
وتتشرب ذهنيته هذه من مهد الدولة القومية أوروبا  
وعلى الرغم من مخاطر تهديداتها بالاتفاق مع روسيا،  
فعلت ما فعلت. لكن بعد فشلها جن جنونها. فالهجمات  
التي حصلت على روج آفا في قره جوخ وشنكال نتيجة  
ذلك.

### هذا الخط سوف يفلس

إذاً، يتضح للعيان أن حكومة أردوغان لن تغير  
شيئاً بالنسبة لسياساتها الداخلية والخارجية. فالهجمات  
على روج آفا وشنكال والضعف الداخلي في تركيا  
والوضع المبهم للدستور والقرارات التعسفية التي  
تصدرها دليل على ذلك. فمن المتوقع أن تزداد في  
تركيا وكردستان حدة الفاشية والضعف والهجمات  
والقتل المجهول والمجازر والإنكار. كما أن السياسات  
الجديدة للدولة التركية ستصدر أزمتهما أو بالأحرى  
تسيير سياساتها في دول الجوار خارج إطار الدولة.  
فمن الصعب أن يغير أردوغان من سياساته، فقط! في  
حالة واحدة وهو أن يعترف بممارساته الأمر المستحيل  
أن يضعها نصب عينه، لذلك فهو مجبر على ممارسة

نفسها ومن خلال تطابق هاتين الذهنيتين نستنتج أنها جزء من حملة الإبادة بحق الأيزيديين، كما أن هذه الخطط لا تشمل فقط حزب العمال الكردستاني.

### المقاومة الشاملة هي الحل

اليوم، الدولة التركية لا تعرف لها حدوداً وتهاجمنا في كل مكان خارج نطاق حدودها الرسمية مستندة بظورها إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني. الاتفاق بين الجمهورية التركية والحزب الديمقراطي الكردستاني وكذلك الاتفاق بينه وبين حزب العدالة والتنمية وحزب الشعب القومي يثبت بأنه معاد بلا حدود للکرد. هذ يعني أن «تناضل وتقاوم ضد كل قوة تريد إبادتك وتحمي نفسك منها». كما يمكن استنتاج التالي من هذه الهجمات: في الشرق الأوسط وكل مكان في العالم ومن خلال النضال المستميت يمكن ردع مجازر الجمهورية التركية، أي أنه وفي كل مكان يجب علينا أن نناضل ونقاوم ضد الدولة التركية. فالذي يحصل وما حصل من هجمات على شنكال مفتاح طريقها كان الديمقراطي الكردستاني، فالقصف التركي في باشور كجزء كردستاني تدخل، هذا يعني أن محاربتنا للدولة التركية في باشور أمر مشروع. حتى الآن، أخذنا أزمة باشور بعين الاعتبار ولم نبد موقفاً؛ لكن، الآن الطريق مفتوحة أمامنا. فكما قصفت

**حزب العمال الكردستاني**  
**ليست لديه أي حجة**  
**ليقف مكتوف الأيدي**  
**فالحق الأكثر شرعية**  
**له أن يضرب الصاع**  
**صاعين لكل نقطة ضعف**  
**تركية في أي مكان كانت.**

تركيا شنكال والشعب الكردي وقالت «قصفت الـ PKK» من الآن وصاعداً لدينا الحق ككرد بضرب الأهداف التركية. ولدينا هذه الميزة. فالقوى التركية في باشور وبالتحديد في كانيماسي وبامرنا وحتى بعشيفة ومن بعشيفة إلى ألتن كوبرو والمنتشرة في ثلاثة عشر موقعاً آخر أصبحت أهدافاً بالنسبة لنا. بالأساس هي أهداف للکرد وطبيعياً ستكون أهدافاً لحزب العمال الكردستاني. فكل من يقول «أنا كردي» عليه معرفة أن هذه المجازر سوف تطاله لذلك عليه المقاومة والنضال، ومن أجل عدم تكرار المجازر على الكل التحرك لمحاربة هذه القوة الشوفينية. وبالنسبة لحزب العمال الكردستاني ليست لديه أي حجة ليقف مكتوف الأيدي فالحق الأكثر شرعية له أن يضرب الصاع صاعين لكل نقطة ضعف تركية في أي مكان كانت.

التركية، فمصير الاثنين مرتبط ببعضهما وهو الفشل. بعد أن سلمت شنكال إلى داعش، كيف لك أن تقول «شنكال من حقي»

الأمر عينه في شنكال، فقبل أن تطأ أقدام داعش شنكال هرب الحزب الديمقراطي الكردستاني ما أدى لارتكاب مجزرة في شنكال، والآن يقول «لي الحق في شنكال» حيث أن نضال ومقاومة قوات الدفاع الشعبي ووحدات المرأة الحرة ستار ووحدات حماية الشعب والمرأة الذين وقفوا في وجه المجزرة أزج الديمقراطي الكردستاني. ليس هذا فقط، فهو لا يخجل من توصيف القوى المقاومة بالمحتلة وغير المشروعة. ويفرض خروجهم من شنكال. جيد؛ إذا كنت أنت موجودا وسلمتها لداعش. فكيف لك المطالبة بحقك وعن أي حق تتحدث أصلاً؟ ومن ناحية أخرى تقول تركيا «لن أدع شنكال تتحول إلى «قنديل ثانية» في هذه النقطة سياسة العدالة والتنمية والديمقراطي الكردستاني تكملان بعضهما البعض. وجودنا في باشور يزج الاثنين الأمر الذي يخلق أزمة مفتوحة.

**شراكة أردوغان-باهجالي-بارزاني**  
يتضح من الغارات الجوية التركية على روج آفا وشنكال مدى التنسيق مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، فإذا لم يقدم لهم المعلومات ويساعدهم فكيف للطائرات التحليق ١٥٠ كيلو متراً في أراض باشور وقصف شنكال. فهنا شراكة البرزاني وبهجالي وأردوغان واضحة وضوح الشمس. وتتضح أكثر في طريقة العلاقات خلال أيام القصف بينهم. كما أن السعادة المفرطة التي بدت على إعلامهم بإعطاهم الإحداثيات دليل وحقيقة قاطعة على الشراكة.

### ذهنية أردوغان تعادي الأيزيديين

مما سبق، نستنتج أن الظروف والأخطار المحدقة بشنكال وتكرار سيناريو ٣ آب احتمال وارد. فأردوغان بقوله «هؤلاء زرداشتيون» يقوم بالتشهير بحركة حرية كردستان، إلا أن ذهنية معاداة الأيزيدية هي ذهنية معاداة الزردشتية، كما أن هذه المعاداة ليست طبيعية وتدخل ضمن إطار (القتل الحلال) كحق مشروع لتلك الذهنية. وللحزب الديمقراطي الكردستاني الذهنية



الاتفاقيات العسكرية سيشهدون حرباً بلا هوادة من قبلنا.  
وحدات حماية الشعب ريادة لقوات سوريا  
الديمقراطية

سقوط داعش في الرقة سيفتح الأبواب أمام الديمقراطية والحرية والفيدالية، ونتائج ستؤثر على المتغيرات المعاشة في سوريا كلها. تأتي أهمية العمليات التي تقوم بها قوات سوريا الديمقراطية ضمن هذا الإطار. القوى الإقليمية والدولية تلعبان اللعبة. الدولة التركية مرفوضة في هذه الحملة فقد تم توقيفها في منبج. والعمليات العسكرية والتطورات التي تحققها قوات سوريا الديمقراطية لا تروق لكل من تركيا وروسيا وكلاهما تقفان الموقف نفسه، لكن من الناحية الأخرى فالعمليات مستمرة. فالنتائج التي سيفرزها تحرير قوات سوريا الديمقراطية للرقة لن تروق لروسيا وتركيا بالدرجة الأولى فالضربة التركية الأخيرة على روج آفا تحمل في طياتها محاولة للتدخل في المنطقة وتغيير اتجاه وعرقلة تحرك قوات سوريا الديمقراطية، لسبب واضح، لكي لا تستطيع القوات المتحالفة الوصول لنتائج استراتيجية من خلال تحرير الرقة. الدولة التركية ستعقد كل شيء وتقوم بإعادة ترتيب اللعبة، فعند لعب اللعبة من جديد ستسعى مرة أخرى لاكتساب بعض الميزات بفرض نفسها فالهدف من هذا التكتيك ومن الهجمات الأخيرة على روج آفا هو منع تمدد قوات سوريا الديمقراطية، وإطالة عمر المرتزقة في الرقة وتعميق الأزمة وتأخير النتائج التي سيفرزها النضال والمقاومة. ففي تعميق الأزمة ستسعى القوى لإعادة اللعبة ومن خلالها ستستطيع الدولة التركية والحزب الديمقراطي الكردستاني إعادة تموضعهم في اللعبة.

أمريكا وروسيا وأوروبا والقوى الإقليمية، أين هم من هذا كله؟

خلال السنوات الخمس المنصرمة وبعد أن تطور الارتزاق الداعشي والنصروي في العراق وسوريا اتضح موقف تركيا. فالذي جعل من أولئك المرتزقة وبالأعلى الشرق الأوسط هي الدولة التركية ورئيسها أردوغان. والذي يمولهم من الناحية الأيديولوجية والسياسية هو أردوغان ذاته. فالتمسك بالكرسي والذي يستخدم نظريات إسلامية يعتبر هذا تمويلاً أيديولوجياً. حتى في استخدام اسم داعش والاختلاف في تسميته

الـ PKK لن تعترف بالحدود

من الآن فصاعداً الأمور التي لم نقم بها بسبب الوضع الحساس في باشور سنباشر بها. كيف لتركيا أن تتعدى حدودها وتهاجم الكرد والعمال الكردستاني، كذلك العمال الكردستاني مجبر على إعطاء القرار وخرق الحدود ومهاجمة الأتراك أينما كانوا. هناك بعض القوى في باشور تستطيع ذلك أيضاً. يجب على الكل الاستعداد لما سيقوم به حزب العمال الكردستاني إن تطلب الأمر.

إصرار ب د ك على سياساته سيحول باشور لساحة حرب

هنا، لا بد أن نشير إلى الخطر الناجم عن سياسات الحزب الديمقراطي الكردستاني. فالأخير باتكائه على الجمهورية التركية يريد أن يصبح قوة فعالة في باشور؛ لكنه بذلك يخلق أزمة قد تؤدي بباشور كردستان إلى ساحة حرب عارمة. فإصرار كلا الطرفين التركي والباشوري المتمثل بالحزب الديمقراطي الكردستاني على سياساتهما هذه سيحول وبشكل جدي باشور لساحة حرب. فأقدر قوى الدولة التركية موجودة الآن في باشور. لذلك إذا ما أريد أن يتم ضرب الذهنية الرجعية التركية يجب ضرب وجودها في باشور.

بالإضافة لتلك السياسات هناك العديد من العلاقات والاتفاقيات الاقتصادية القذرة، ففي مكان تبدأ فيه الحرب والقتال، كيف ستستمر هذه الاتفاقيات والعلاقات الاقتصادية؟ فالاتفاق بينه وبين الديمقراطي الكردستاني واضح جداً، يظهر ذلك عندما يقصف الجزء الأكثر حساسية من المجتمع الكردي وهم الأيزيديين وقتله لخمس مقاتلين من البيشمركة وارتكابه للمجازر. ففي الوقت الذي لم تندمل فيه الجراح وتجف الدماء يزور نيجرفان البرزاني وبأقصى سرعة قصر أردوغان. وجميع قوات الديمقراطي الكردستاني بدلاً من عرض المجازر التركية تقوم بنشر أخبار عن ضرورة خروج حزب العمال الكردستاني من باشور، هذا واضح.

الأمر متناسب طرداً

الأمر سيان، فبقدر ما ترتبط قوة ما عسكرياً وسياسياً بالدولة التركية بقدر ما تكون عدوة لحزب العمال الكردستاني والشعب الكردستاني. فإذا ما استمر الاتفاق بين الطرفين فسيؤول الوضع لتطبيق البيان الأخير الصادر من حزبنا. من خلال المعارضة الشعبية وتفجير المواقع الاقتصادية والعسكرية ونسف

فتعمل على اتفاقها مع النظام السوري وإيران، أما علاقاتها مع تركيا فهي تكتيكية. ومن خلال تركيا تريد أيضاً تحييد دور قوات سوريا الديمقراطية. وبرأيي من غير الممكن ألا تكون روسيا على دراية بالهجمات الأخيرة. وبرأي آخر فالضوء الأخضر لتركيا أعطي من قبل روسيا. فمثلما قصفت أمريكا مطار الشعيرات من المحتمل أن روسيا وعن طريق تركيا قصفت مواقع وحدات حماية الشعب.

وأريد أن أزيد فكرة، تكتيك روسيا بغض الطرف عن الدخول التركي هو معاداة للکرد، والسبب الرئيسي هو أن يرتهن الكرد لنظام الأسد عن طريق الاستفادة من معاداة تركيا للکرد، فعلى روسيا تدارك هذه السياسات والكف عنها. وهنا سنذكر لماذا تنتهج روسيا هذه السياسة؟

أولاً: تخويف الكرد في تركيا خطأ فادح، هنا سنتكشف حقيقتها فكما ناضل الكرد ٤٠ عاماً سيناضلون الآن أيضاً ضد الأتراك.

ثانياً: من الناحية الاستراتيجية هو خطأ فادح، الكرد يريدون سوريا ديمقراطية فيدرالية. المطالبون بهذا المشروع هم من أهالي المنطقة الأصلاء وليسوا من خارجها وليسوا مرتبطين بقوى خارجية. روسيا سمحت

لتركيا بالدخول في جرابلس والباب والآن تريد تسليم عفرين لتركيا؟ فهل ستشكر تركيا روسيا على ذلك، التقارير التكتيكية من هذه المسائل بإمكانها نسف الاستراتيجيات، الآن يحرق خطر بهذا الشكل على الوضع الراهن.

في هذا الإطار وضمن المواقف السلبية للدول الأنفة الذكر ستكون العواقب وخيمة وستزيد من تعميق الأزمة والهوة وتسرع من تقسيم البلاد. في هذا الموضوع الدور الروسي واضح. فما يتخيله بأن يسلم الكرد للنظام عليه إدراك سقوطه وفشله بسقوط وفشل النظام معاً.

### الحرب الحقيقية هي ما بعد الموصل

في الوقت الحالي عملية تحرير الموصل مستمرة وبالنهاية ستنتهي داعش. لكن بالنظر إلى العوامل

الأصلية مقارنة بالتركية يعتبر تمويلاً ايديولوجياً. يمولى أردوغان مرتزقة داعش من كافة النواحي ويقوم بفتح الأبواب المغلقة لهم في العراق وسوريا، فهو يمارس كل شيء من أجل فرض نفسه على الشرق الأوسط عن طريق الذهنية الداعشية.

### المواقف الموازية معدومة

على الرغم من أن كل جرائم تركيا معروفة لا يوجد حتى الآن موقف مواز من قبل أوروبا وروسيا ضدها. استراتيجياتهم حتى الآن غامضة ولا يبوحون بما يرغبون من منطقة الشرق الأوسط، حتى تكتيكاتهم غير معروفة. هم فقط يقفنون بقول «الشرق الأوسط الديمقراطي» وليس عندهم أي مشروع أو مطلب.

رغم أنه موضوع طويل ويجب الوقوف عليه طويلاً، نستطيع ذكر كافة المواقف بخصوص تركيا من قلبهم: الولايات المتحدة الأمريكية: على الرغم من الضغوطات التي تمارسها على تركيا إلا أنها مازالت على صلة بها وتريد حفظ ذلك التوازن بينها وبين تركيا. لكن أمريكا تريد من خلال ذلك التوازن تنفيذ مصالحها وجعل تركيا خادمة لها، لذلك لا تقوم أمريكا بكسر العلاقات وتريد أن تضع تركيا بيدها وتحت إمرتها.

أوروبا: الموقف الأوروبي أكثر فظاعة من الأمريكي، ففي الطليعة ألمانيا وعلى الرغم من جميع حماقات أردوغان بقيت صامته دون رد. نعت أردوغان ألمانيا بالفاشية وجعلها أضحوكة من الناحية السياسية والايديولوجية والأخلاقية والثقافية. كل هذه الأقاويل. إلا أن ألمانيا قالت: «لن نقطع علاقاتنا بتركيا، نريد أن تستمر علاقاتنا، نريد أن نرى أردوغان عندنا». هذا الموقف الألماني أعطى أردوغان فرصة من أجل الاستفتاء. فهذه السياسة الألمانية تقوي من عزيمة الفاشية التركية ليصبح توقيفه أمراً صعباً. فسياسة ألمانيا ومواقفها ستفرز نتائج خطيرة على المجتمعات الموجودة في تركيا من كل المكونات والأديان فأردوغان لن يرحم أحداً.

أما روسيا وبسبب تناقضاتها مع أوروبا وأمريكا

بعد سقوط داعش في الموصل لن تقف دولة الاحتلال التركي والحزب الديمقراطي الكردستاني ساكنتين. بوصولهم إلى شنكال وتل عفر وبعيشقة لديهم هدف ما من عملية تحرير الموصل.



كما أنها ترسخ وجودها على أرضية سياسية وايدولوجية وتاريخية. فمن الناحية التاريخية تمثل قوة امبراطورية ومن الناحية الايدولوجية تنتهج المذهب الشيوعي كفكر لها. لذلك ترى بأن خلاياها موجودة في كل مكان. لعل خير مثال على ذلك ما فعله في اليمن وتأثيرها على دول الخليج و تناقضاتها مع السعودية واسرائيل وفي سيطرتها على سوريا والعراق لها دور كبير، لذلك ومن هذه المناحي فهي قوة مهمة في المنطقة.

إدارة أوباما أدركت قوة إيران لذلك سعت لخلق التوازنات، ففتحت المجال لتحمي إيران قوتها في الشرق الأوسط مقابل التخلي عن ملفها النووي وإيقافه. هذا التوازن خدم إيران كثيراً خصوصاً بعد أن رفع الحصار عنها الأمر الذي أدى لارتياح الشعب في الداخل، وأصبحت تقوي شوكتها في كل من العراق وسوريا واليمن وتخلق بذلك النجاحات. هذه النجاحات أثارت مخاوف اسرائيل بشدة.

بعد وصول ترامب لسدة الحكم في البلاد ومن خلال بياناته وتقرباته العملية يتضح بأن هذه التوازنات غير مقبولة. ويمكن اعتبار تصريحات البيت الأبيض وترامب بعد الانتخابات الأمريكية بالنسبة لإيران مرحلة جديدة. فما تتداوله التصريحات الأمريكية عن أن إيران دولة تهديد بالنسبة لها ووصفها في خانة العدو تعني أن أمريكا ستحارب إيران أينما كانت في الشرق الأوسط.

ومن الناحية العملية أيضاً نستطيع ذكر بعض المواقف الأمريكية ضد إيران.

بعد أن جاء ترامب إلى سدة الحكم بحث عن اسرائيل وهذا يعني أن اسرائيل حليفه الاستراتيجي الأول وعدو

والحيثيات سنستنتج أن:  
أولاً: تركيا لا تكف عن العمل في باسور كردستان وشنكال وبعشيقه والمناطق العراقية الأخرى. فبعد سقوط داعش في الموصل لن تقف دولة الاحتلال التركي والحزب الديمقراطي الكردستاني ساكتين. بوصولهم إلى شنكال وتل عفر وبعشيقه لديهم هدف ما من عملية تحرير الموصل. ثانياً: التحالف الدولي ضد داعش متحالف مع حكومة حيدر العبادي. فبعد سقوط الموصل، ماذا الهدف الذي يريده العبادي والتحالف الدولي وهل الهدفان متشابهان؟ هنا ساحة للجدال.

ثالثاً: حكومة العبادي بتحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية تهدف للسيطرة على بعض المرافق، إلا أن بعض القوى الإيرانية مهيمنة منذ مدة طويلة على تلك المرافق. فبعد سقوط الموصل من المحتمل جداً أن تقوم تلك القوى المدعومة إيرانياً بالهجوم على تشكيلات العبادي بهدف تشكيل سلطة قريبة من إيران وإلا فسوف تندلع حرب كبيرة بين الطرفين.

رابعاً: هناك أزمة بالنسبة للکرد أيضاً، مثاله القانون ١٤٠ للدستور مازال يعتبر مشكلة من الناحية العملية. كذلك الأمر في تل عفر وشنكال، وأيضاً بين الكرد والحكومة المركزية. لكن لا أحد سيقول لنحل هذه الأزمات والمشاكل فالكمل سيتوقع في مشاكله النابعة من حب السلطة. لذلك في إيران تسعى من خلال الأزمات الموجودة بين الأطراف العراقية لتقوية نفسها من الناحية السياسية وفرض سيطرتها. أي بمعنى أنه لدى سقوط الموصل ستقوم القيامة.

نحن أيضاً موجودون، كما نعترف بوجود الكل ونحن أصحاب مشروع ديمقراطي في كل مكان نحارب فيه. لا توجد قوى مثلنا في المعمورة؛ لكن تلك القوى فعلت ما يحلو لها ولم يتركوا لنا المجال للاشتراك بمعركة الموصل.

ماذا تريد أمريكا من إيران؟

علينا عدم النظر لإيران بعين واحدة، فاعتباراً من اليمن وصولاً إلى سوريا إيران موجودة في كل مكان،

ستستطيع الوقوف على أقدامها؟ بالأخص بعد تشكيل القطب المذكور آنفاً. فمن خلال تقرباتها هذه من المحتمل أن تكسر إيران شوكتها بنفسها في سوريا. وهذا وارد في العراق أيضاً فعبير التحالف الدولي وذلك القطب- التحالف العربي- ستتكرر شوكتها في العراق أيضاً. فإذا ما ضعفت في هاتين الدولتين هذا يعني أنها ستعيش الأزمة الدائرة في الشرق الأوسط داخلياً. وبما أن إيران بلد مميز بتنوعه العرقي والأثني والاجتماعي فإذا ما اندلعت فيها حرب ما من المستحيل أن تهدأ بسهولة، الأمر سيثبه يوم القيامة.

في هذه الحالة إذا ما استمرت إيران بسياستها الحالية فليس لديها المجال والحل. فلدَى إيران أزمات ومن أجل حلها عليها إيجاد حلول اجتماعية وسياسية. وفي بدايتها القضية الكردية. فالأزمات وفي إطار مذهب معين وذهنية رجعية لا يمكن لها إيجاد حلول مع هذا التنوع المجتمعي والأثني والثقافي في إيران. لذلك فإيران بحاجة لخلق أرضية للإصلاح من الداخل وتغيير نظامها والتغيير. هنا يستطيع الكرد أن يلعبوا دوراً في التصعيد وفي حفظ السلم.

فالتقرب الكردي مرتين بالتقرب الإيراني، فإذا ما كان التقرب الإيراني تصعيدياً سيجابهه تصعيد أكثر حدة من الناحية الكردية، الأمر الذي سيعقد الأزمة داخلياً.

في الفترة الحالية لا توجد محاولات للتغيير والتغيير والإصلاح في إيران، فالانتخابات غير مبنية على هذه الأسس وتتماشى مع إيران كلاسكية، كل التنظيرات الليبرالية والسياسات المحافظة ليست سوى أساليب لجذب الناخبين من أجل المرشحين ليس إلا. فمن قيل عنهم محافظين سعدوا من لهجتهم ومن قالوا عنهم ليبراليين خفقوا من لهجتهم؛ لكن الاثنان فعلوا الشيء نفسه وهو التقرب الإيراني الكلاسيكي من الأمور. فإيران دولة تتميز عن غيرها، ففي مجال بناء الدولة والسلطة، والقدرة على التسلط والسيطرة على المجتمع لديها تجارب تاريخية عميقة. لذا فالنقاشات الدائرة من أجل التغيير في إيران غير صميمية، لذلك فهذه الانتخابات ليس من شأنها تغيير قدر البلاد بل تحديد مستوى جديد من تمثيل إيران في المنطقة.

اسرائيل هو عدو أمريكا أيضاً. كما زار السعودية التي اعتبرها حليفاً صغيراً، لكن معاني زيارة ترامب تأتي ضمن إطار أن أمريكا مستعدة لحماية السعودية من عدوتها إيران. وهناك موافقه مع الأردن الذي يعد عاملاً أساسياً بين العلاقات الفلسطينية والاسرائيلية في العالم العربي. وبالأخص يستطيع التأثير من أماكن مثل بريطانيا.

وفي المجال المصري أيضاً، أدلى ترامب بتصريح وقال: « كما شكلنا تحالفاً ضد داعش سنشكل تحالفاً عربياً ضد إيران » فمصر هي في طليعة من تريد تشكيل هكذا تحالف. وتاريخياً أيضاً تعتبر مصر القدوة في مثل هذه التشكيلات. فدعوة السيسي إلى البيت الأبيض تعني أن قيادة هذا التحالف المزمع تشكيله ستكون بقيادتها. فمصر دولة كبيرة وقوية تستطيع أن تمارس السياسة وتؤثر على الجوار العربي، كما أنها أنهت تناقضاتها مع اسرائيل. لمصر دور مهم بالنسبة لحماية اسرائيل وتوحيد صف العرب تحت مظلة واحدة. فإذا نستنتج أن أهدافاً ومخططات من هذا القبيل تحاك ضد إيران. لكن السؤال هنا هل من المحتمل أن تنجح هذه المخططات؟ الآن العراق وسوريا منقطعتان عن السياسة العربية، فهنا يتوضح الموقف الدولي والإقليمي أكثر تأثيراً على العراق وسوريا، لذلك فبتشكيل التحالف العربي ستغلب السياسة العربية على سوريا والعراق وهذا يعني أن الوجود الإيراني في الدولتين الأخيرتين سينتهي. سيشكلون قطباً ضد إيران ، وهذا القطب سيستطيع أن يقاتل في الشرق الأوسط على الصعيد الاقتصادي والعسكري وفي الوقت نفسه باستطاعته أن يخلق الفوضى من خلال بعض القوى الداخلية في إيران نفسها، وحتى باستطاعته أن يمولها من الناحية العسكرية. فمن خلال هذه السياسات تريد أمريكا مع هذا التحالف تصدير أزمة الشرق الأوسط إلى قلب إيران.

### رد الفعل الإيراني

على الرغم من أن إيران تعي ما يحصل حولها حسب معرفتي لا توجد لديها فرص لإفشال هذه المخططات؛ تستطيع من خلال وجودها في العراق وسوريا أن تفعل شيئاً ما؛ لكنها في كلا الحالتين في هلاك. فمن ناحية تقوم روسيا بتقليص دورها ومن ناحية أخرى الولايات المتحدة الأمريكية. فإيران بعلاقتها مع النظام السوري ماذا ستستفيد من الناحية الاستراتيجية، هل

# أسباب الأزمة في الشرق الأوسط

٢- السلطة والدولة  
الجزء الثاني



« رستم جودي »



يطغى طابع القوة والشدة على تقاليد الدول في منطقة الشرق الأوسط، وتقوم بالتصدي وتصفية كل المساعي والحركات التي تضادها. ويمكننا أن نصادف هذا الوضع بكثرة في تاريخ المنطقة، وعلى وجه التحديد في مقاربات الأكاديميين وبشكل خاص في عهد النارمسيين ضد دول العيلام حيث نرى القتل وبناء قلاع من رؤوس الناس الذين تم قتلهم. كما أن هذا الأمر يظهر بشكل واضح في مذكرات الملوك الآشوريين حين يتحدثون فيها عن بطولاتهم في قتل شبان الأوطان والجماعات الأخرى، وكيف أنهم بنوا قلاعاً من رؤوس الناس الذين تم قتلهم وكيف قاموا بصنع قلائد من رؤوس الأشخاص وكيف قاموا باستعباد الجماعات الأخرى، وكيف قاموا باستخراج موتاهم من المقابر التي دفنوا فيها، فكل هذه الأمور انتقلت إلى يومنا الراهن بشكل كتابي. هذا الميراث مازال يصون صيرورته حتى في يومنا الراهن عبر المجازر والإبادة والتصفية في كل من تركيا وإيران وسوريا والعراق من خلال استخدام القوة والعنف والقتل حتى بالأسلحة المحرمة دولياً. بهذا الشكل استمر أو صان هذا الميراث صيرورته في يومنا الراهن، ويأتي هذا من الخصوصية الإلهية التي أعطيت للدولة، ففي الشرق الأوسط عندما نقول الخصوصية الإلهية هذا لا يعني أننا نتقبلها، فالبعض يقول إن الدولة هي الإله، أي أن الإله يعدل بين البشر ويطبق المقاييس والقوانين بينهم لأن الإنسان لا يستطيع القيام بذلك لهذا أوجدت الدولة. مثل هذه التحليلات بعيدة كل البعد عن المنطق والعقل. إلا أن الدول في الشرق الأوسط تستمد مشروعيتها من الإلهة، حيث نرى بأنها ولبسط سلطتها أوجدت في البداية ملوكاً آلهة ومن ثم ملوكاً خادمين للآلهة أي مرتبطين بالآلهة ومن ثم الأنبياء والخلفاء فكل هؤلاء لهم قدسية الآلهة، لهذا السبب كانت تعتبر أي ردة فعل تجاههم هي تجاه الآلهة وتعتبرها حجة من أجل إعطاء الشرعية للضغط والقوة التي تقوم بفرضها. أي أنها تبرر كل أعمالها وتصرفاتها وممارساتها على أنها من أجل الحماية والدفاع عن حكم الآلهة. فالدولة عندهم كانت تمثل العدالة والقانون وكل شيء، فمن يخالف الدولة أو يتمرد عليها يستحق أقصى أنواع القصاص لأنه اقترف ذنباً، كما يقومون بالتشهير به كي يصبح عبرة للأجيال التالية، وكي لا يتجرأ أحد من الأجيال التالية حتى في التفكير بمناهضة الدولة والتصدي لها. إن هذا النوع من التشهير الباطل والخيانة والكفر وبكل أنواع التواطؤ

إحياء ذلك الميراث على الدوام في نفوس الناس. أما في منطقة الشرق الأوسط وعلى الرغم من أمثلة المقاومة التي تفوق مقاومة سبارتكوس من ناحية الشمولية والمدة وما زال ذلك الميراث يصون ذاته في بعض المناطق إلى يومنا الراهن، إلا أنه لا يمكننا تحديثها كثيراً أي جعلها تتماشى مع روح العصر حتى أنه في بعض المناطق لا يمكننا تبني ذلك الميراث، وذلك نابع من التشهير بها من قبل الأيديولوجية الرسمية والنظام الرسمي للدولة، أي أنه نتيجة تلك الممارسات المفروضة تم إظهارها بشكل عكسي أي تم قلب الحقائق رأساً على عقب فالصحيح أصبح خاطئاً والخاطئ أصبح صحيحاً. ويتم فرض هذا باسم علماء الإسلام أصحاب الكلمة على المجتمع كالشيوخ ورجال الدين والطرق المختلفة والعديد من الشخصيات ذات الصيت، أي أنه تم اعتبار تبني ذلك الميراث جرماً من قبل الأيديولوجية الرسمية، لهذا السبب لا يمكن تحديثها في يومنا الراهن، فهذا خطأ ينبغي التركيز عليه والبحث والتعمق في هذا الموضوع أكثر، وإحياء هذا النضال ضد الدولة.

ظهرت مثل هذه الحركات على وجه الخصوص في العهد العباسي، حيث استفاد منها العباسيون في العهد الأموي ووصلوا عن طريقها إلى السلطة ولكن فيما بعد ولدت حركات ضد العباسيين أنفسهم، ومنها حركة القرامطة والزنجيين وحركة بابك والخراسانيين وكلها حركات ولدت ضد الدولة على أساس تحقيق

العدالة الاجتماعية ومحاربة الظلم والاستبداد، ولكن الأفاويل التي تقال اليوم عن الشيوعيين كانت تقال عن تلك الحركات أيضاً. فالأشعار التي كتبت عنهم والتحليلات التي تمت عليهم والمدونات التي دونت ضمن التاريخ الرسمي بحقهم ساهمت في تحريف حقيقتهم.

فعندما بدأت الحركة الشيوعية في الشرق الأوسط باستهداف الامبريالية لعبت بعض الحركات الدينية دورها في التشهير بهذه الحركة على أنها حركة سيئة وتعمل على جعل كل شيء مشترك جماعي وحتى المرأة، وأنها تنفقد إلى الأخلاق والكرامة، بهذا الشكل سعوا إلى تحريف الشيوعية وتشويهها. لهذا السبب يقول ماركس أنجلز في كتاب مانيفستو الحزب الشيوعي «يقول البرجوازيون عنا؛ بأننا سوف نفرض الملكية العامة على المرأة أيضاً، هذا صحيح؛ لأنهم يفكرون حسب منطقهم،

والتشهير بجميع الحركات التي ناهضت الدولة ساهم في إكساب الشرعية للمجازر من ناحية ومن ناحية أخرى أصبحت عبرة للشعوب لقبول بقدرها ومصيرها وتقبل الظلم المفروض عليها وقبول هذه الممارسات كقانون إلهي وقدر محتوم عليهم.

ففي يومنا الراهن نلاحظ بأن الدولة في الشرق الأوسط تزداد استبداداً أكثر من ذي قبل، ونلاحظ هذا بشكل خاص عندما نريد معرفة الوضع الذي تعيشه المعارضة، أي أن افتقاد المعارضة للتنظيم والإرادة والقوة يوضح هذه الحقيقة. فعدم وجود معارضة ليس دليلاً على عدالة الدولة وأن الدولة قد حققت العدالة الاجتماعية وتقوم بالتقرب من الجميع بشكل عادل. فعدم وجود معارضة نابع من الممارسات التي فرضت عليها على مر التاريخ أي أنها بتلك الممارسات كالقتل والنفي والسجن قبلت الاستسلام وقبلت بمصيرها. فمثلاً لا توجد أية معارضة في كل من تركيا

وسوريا وإيران والعراق، إلا أنه في هذه الدول التي تم ذكرها نرى الكثير من المقابر الجماعية. فهذه المقابر تظهر وبشكل واضح أنه تمت تصفية كل محاولة مقاومة ضد الدولة لتحتيم إرادة المقاومة ضد الدولة.

يمكننا ذكر أمثلة عدة حول المقاومة أو النضال ضد الدولة وعلى وجه الخصوص في منطقة الشرق الأوسط لا سيما أن هذه المقاومات التي ظهرت ملفتة للانتباه جداً. فمثلاً سبارتكوس ثار

أو قاوم روما قبل ألفي عام، حيث قام بتنظيم العبيد وحثهم على المطالبة بحقوقهم إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، حيث تم قتل قسم منهم وأسر آخرين وتم التخلص منهم عن طريق التعذيب والصلب. هذه الثورة عرفت كثورة العبيد في العديد من الأفلام والقصص والروايات، حتى أن هذه الحركة جددت في الغرب حيث سمي الحزب الشيوعي الحقيقي لوزا لوكسمبورغ في أوروبا وخاصة في ألمانيا أبان الحرب العالمية الأولى باسم سبارتاكوس أي أن الحزب الشيوعي سمي نفسه بحزب سبارتكوس. بهذا الشكل سعوا إلى تجديد تلك المقاومة من جديد. أي أنهم في الغرب استطاعوا تجديد ميراث تلك المقاومة التي ظهرت من قبل الرقيق والعبيد والقرويين والحركات الاجتماعية ضد الدولة من جديد. أي أن الكتاب والحركات والأحزاب الشيوعية واليسارية استطاعوا

عدم وجود عدالة اجتماعية كان السبب في قيام هؤلاء الأشخاص بهذه الحركة. فهي حركة كومينالية تطورت على أساس المساواة





والإمارات، وقد أنهت حكم الإمبراطورية العباسية بحروب مدهشة عظيمة. حيث كان عدد مقاتلي القرامطة في بعض المعارك قرابة ألفي جندي مقابل ثمانين ألف جندي للعباسيين ورغم هذا العدد تم دحر جيش العباسيين وبهذا الشكل توسعوا لاقتناعهم وإيمانهم التام بنظامهم الاجتماعي إلى جانب افتقاد الامبراطورية للقدرة على دفع الجنود إلى الحرب والانتصار نتيجة الخراب والفساد في نظام السلطة العباسية التي ساهمت بدورها في عدم تمكن ثمانين ألف مقاتل من هزيمة ألفي مقاتل من القرامطة. لقد استطاعوا فرض سيطرتهم على دول الخليج بشكل خاص، فهم لم يعيروا الاهتمام الزائد للعديد من الأمور وحتى الفرائض الدينية، فعلى سبيل المثال لم يكن لديهم اهتمام بفريضة الحج أي أنهم لم يكونوا من مؤيدي فكرة الحج وحتى أنهم لم يكونوا يريدون من أحد الحج أيضاً، كما أنهم قاموا في فترة من الفترات بنقل الحجر الأسود من الكعبة إلى مكان آخر أي أنهم أخفوه، لماذا؟ لأنهم كانوا يرون بأن تربية وتبني الأيتام وإطعامهم أكثر ثواباً من الحج، إلا أن محاكمة قائد الحركة تمت على أساس نشر هذه الفكرة وعلى أساسها حكم عليه بالإعدام، لأن الحج ركن أساسي من أركان الإسلام وهو واجب على كل من يستطيع. أي أنهم قاموا بتحليل الإسلام والدين من جديد أي قاموا بانتقاد النظام الاجتماعي الموجود وقدموا النظام البديل عنه في مناطق الخليج العربي كالبحرين وعمان وفيما بعد بلاد الشام، وحكموا لمدة ثلاثين عاماً في هذه المناطق، إلا أن حملات التشهير التي تمت ضدهم والانشقاقات التي تمت ضمن صفوفهم والهجوم المستمر للدولة عليهم وفيما بعد وبمساعدة العثمانيين استطاعت الدولة العباسية تصفية تلك الحركات الاجتماعية، إلا أن آثار ذلك النظام الاجتماعي مازالت موجودة في تلك المناطق كعمان والبحرين وغيرها من المناطق الأخرى حتى الآن، إلا أنه تم إبرازها في التاريخ الرسمي بشكل

لأنهم ينظرون إلى المرأة كمادة يتم امتلاكها، ونحن نسعى إلى تحويل الملكية الخاصة إلى ملكية عامة أي يصبح كل شيء عائداً للمجتمع، لهذا السبب يقولون هذا. لماذا؟ لأنهم يفكرون وفق منطقهم الذي يرى ويتطرق إلى المرأة كمادة وكشيء يتم امتلاكه. يتابع ويقول «إننا لا نرى ولا نتطرق إلى المرأة كملكية، فعندما تنتهي الصراعات الطبقيّة وينتهي الفقر حينها لن تبقى تلك الأسباب لتقوم المرأة بعرض أجزاء من جسدها لتأمين قوتها. وبهذا الشكل تتحرر المرأة». ففي منطقة الشرق الأوسط تتم الدعاية ضدهم على هذا المنوال منذ ما يقارب المئة عام أي منذ عام ١٩٢٠ عندما دخل الفكر الشيوعي المنطقة. فهذه الدعاية ذاتها الهادفة إلى التشهير تم التطرق لها قبل ألف عام أيضاً لتشويه صورة الحركات الاجتماعية التي ولدت في تلك الفترة ضد القرامطة وضد الزنجيين وضد البابكيين وضد الخراسانيين وضد العلويين ومازالت مستمرة إلى يومنا الراهن، أي أنه يتم تطوير مثل هذا النوع من الدعاية البعيدة كل البعد عن الحقيقة والتي تعادي الحقيقة لتهيئة وخلق الأرضية لارتكاب المجازر الإبادات الجماعية ضد الشعوب ولا شيء آخر.

تطورت الحركات الاجتماعية في العصر العباسي إلى جانب الحركات المعرفية. ومن هذه الحركات حركة القرامطة؛ التي تشكلت عام ٢٥٠ للهجرة أي في القرن التاسع الميلادي، بقيادة حمدان الأشعث القرمطي. تأسست الحركة لسببين أولاً تفكك نظام الدولة وضعفها وإنهيار النظام السياسي في الإمبراطورية العباسية، وثانياً وهو الأهم تشكلت من أجل إحلال العدالة الاجتماعية المعدومة ضمن النظام السياسي القائم، أي أن عدم وجود عدالة اجتماعية كان السبب في قيام هؤلاء الأشخاص بهذه الحركة. فهي حركة كومينالية تطورت على أساس المساواة، وحاربت الإمبراطورية العباسية، وحكمت في عدة مناطق من الخليج العربي كالبحرين وعمان

تصفيتهم، إلا أنهم بعددهم القليل المستند إلى النضال العظيم والجرأة القوية استطاعوا قهر الجيش العباسي الكبير، فبالتكتيكات العسكرية التي كانوا يتبعونها كانوا يفشلون ويكسرون هجمات الجيش العباسي عليهم وتعاضمت قوتهم إلى أن شكلوا دولة لم تكن تشبه الدولة العباسية ولكنها كانت دولة كومينالية تقوم على المساواة بعيداً عن الظلم والخنوع، فكل شخص كان يعمل لنفسه. لذلك نلاحظ أن الأماكن أو المناطق التي تتواجد فيها الديمقراطية والمساواة توجد فيها الجرأة والقوة والنجاح. بهذا الشكل وسعوا رقعة دولتهم في أطراف البصرة في العراق وكانت الامبراطورية العباسية تتراجع وتقلص قوتها لهذا السبب. ولتصفيه هذه الثورة والحركة قام الخليفة العباسي بالاتفاق مع قائد الدولة الفاطمية في مصر للقضاء على هذه الثورة «ثورة الزنوج» على أن يتم تعيينه حاكماً على تلك المنطقة «البصرة»، على هذا الأساس توحد هذا القائد العسكري مع الجيش العباسي الكبير وتمت تصفيه هذه الحركة ولكن بعد حرب طاحنة معهم والتي أدت إلى مقتل مئتين وخمسين ألف شخص حتى تمكنوا من تصفيه ثورة الزنوج التي أدارت تلك المنطقة بالمساواة والعدالة الكومينالية ثلاثة عشر عاماً.

بالطبع مقابل هذا استمر نضال الحركات في أذربيجان وخراسان فحركات أبي مسلم وبابك هي الأخرى قاومت لإحلال المساواة والعدالة الاجتماعية مقابل الدولة المركزية، إلا أن جميع هذه الحركات فشلت، واستمر ميراث هذه المقاومة حتى في عهد الإمبراطورية العثمانية بأشكال مختلفة، ولكنها فشلت بشكل عام. فخصوصية الدولة كانت تلعب دوراً أساسياً ومهماً في فشل تلك الحركات الاجتماعية. تلك الدولة التي ترى نفسها مبشراً وقديساً وتحكم بشريعة الرب وتتخذ كتاب الله وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم أساساً لها ضمن مجتمع إسلامي، وبقوتها التنشيرية وبشكل خاص من الناحية الأخلاقية ضد هذه الحركات وبتجميع القوة العسكرية وفي الكثير من الأحيان عن طريق الخيانة والعمالة استطاعت تصفية كل هذه الحركات وإغراقها في بحر من الدم وتدوينها في التاريخ بصورة مشوهة، وهذا بدوره أثر بشكل سلبي وأضعف روح المقاومة في المنطقة وقوى روح تقديس الدولة وأبديتها والتبشير بها. نحن نتطور كحركة اجتماعية ضمن المنطقة، فإن ناضلت هذه الحركة الاجتماعية من أجل السلطة لا يمكن لها تحقيق النصر والنجاح في نهجها. ولا سيما أن كلاً من الإمبريالية والقوى المحافظة تسعى لتوجيه

مسيء أي مشوه، حتى يمكن القول بأن تلك القوى التي سعت إلى تشويه صورة تلك الحركات هي نفسها غير قادرة على الادعاء بأن تلك الحركات لم تكن حركات للمساواة والعدالة، فهم أنفسهم يقولون إن تلك الحركات نشأت على أساس العدالة والمساواة ولكنهم سعوا إلى التنشيط بها من خلال التطرق إلى المساواة بالادعاء بأن تلك الحركات تسعى وتهدف إلى تقسيم وتشارك كل شيء فيما بينهم حتى من ناحية الأخلاق والعلاقات بين الأب والابنة وعلاقة الأم مع الابن. فلا صحة لأي ادعاء من هذا القبيل، إلا أنهم حللوا الإسلام من جديد، ولم يتخذوا الكثير من الأمور الخاطئة في الإسلام أساساً لهم، عوضاً عن ذلك كانوا يقبلون الإسلام كقوة أخلاقية ثقافية تستند إلى العدالة الاجتماعية، فلم يكونوا يعادون الله ولا الرسول ولا يشركون بالله، وكانوا يقبلون الدين الإسلامي وكانوا يقيمون الصلاة والصوم ولكنهم لم يتخذوا بعض الأمور الأخرى أساساً لهم كنظام رسمي.

أكثر الحركات الطبقة لفتاً للانتباه من ضمن تلك الحركات هي الحركة التي ولدت ما بين عامي ٨٦٩ و٨٨٣، والتي دامت ثلاث عشرة سنة حول مدينة البصرة، بقيادة علي بن محمد الفارسي الأصل. لأن الدولة كانت دولة إسلامية أي أنه كان بإمكان الشخص العربي العيش في المكان الذي يريده وغير العربي أيضاً كان بإمكانه العيش في الدولة العربية. هذا الشخص كان مهتماً بالشعر والخطابة والأدبيات والثقافة وكان متابعاً للإدارة السياسية عن قرب وبقي في القصور العباسية ومن ثم انفصل عنهم ليقف وبشكل خاص ضد الممارسات التي كانت تفرض على الرقيق العبيد. لأن هذه الحركة ولدت لمناصرة العبيد وسميت هذه الثورة بثورة الزنوج. إلا أن من قاموا بهذه الثورة لم يكونوا الزنوج فقط إنما كانت تتضمن العرب والفرس، أي أنها لم تكن ثورة للعبيد فقط إنما كانت ثورة للفرسيين وفئات الشعب الأخرى أيضاً. بدأت هذه الثورة في أطراف البصرة في تلك المناطق التي كان يتم استخدام العبيد فيها من أجل تجفيف المستنقعات الواسعة المتشكلة من تلاقي نهري دجلة والفرات وتحويلها إلى أراض زراعية. فهم قاموا بالثورة ضد هذا العمل القاسي والشاق الذي كان يتم فرضه عليهم. أي في هذه المنطقة قام علي بن محمد بهذه الثورة ليرفض هذا الظلم المفروض لأنه لم يكن يرى أية علاقة بين استغلال الرقيق وفرض هذا الظلم والإسلام. لذا جمع العبيد والقرويين حوله وبنى بجانب البصرة مدينة ليوقف ضد الامبراطورية العباسية التي حاولت



الثورة لنفسها. فلو تمت الملاحظة نرى بأننا نتحدث في الكثير من النواحي عن السياسة الديمقراطية ولكن مقارباتنا السلطوية لا تستند إلى السياسة الديمقراطية وتقرباتنا السلطوية لا تعطي الضمانة الكافية لخيانة الثورة لنفسها. فالضمانة الوحيدة كي لا تخون الثورة ذاتها هي السياسة الديمقراطية. فالسياسة الديمقراطية ليست السياسة المرتبطة بالدولة إنما هي سياسة تأمين وتوفير القوة للمجتمع لإدارة نفسه. لهذا السبب علينا خوض نضال جاد ضد ثقافة السلطة والدولة وتطويرها بدون خجل أو تردد. إلا أنه حتى الآن، مع الأسف، انتقاداتنا ضد الدولة تبقى خجولة ويطغى عليها طابع من التردد وكأننا نقترف ذنباً عندما نقوم بانتقاد الدولة، لأن هناك قناعة منتشرة ضمن المجتمع أن الدولة الكردية تعني حرية كردستان واستقلالها إلا أننا ندعي العكس أي أن الدولة لا تجلب معها الحرية والاستقلال أبداً بل على العكس تماماً الدولة تجلب معها العبودية والرضوخ. ينبغي

تحليل الدولة والسلطة ضمن هذا الإطار بشكل مناسب، ولكن هناك بعض الأشياء والأمور في يومنا الراهن لا يمكننا غض النظر عنها واعتبارها غير موجودة، لأنها تشكل واقعاً، أي لا يمكننا القول بأن الدولة غير موجودة أو التقرب منها وكأنها غير موجودة أو تجاوزها خلال فترة قصيرة جداً، فتجاوز الدولة لا يكون بشكل مباشر إنما سيتم بمراحل انتقالية. ولكن علينا أن نكون جادين بانتقادها وراдикаليين وأن نتخذ من تنظيم المجتمع

أساساً في كل الأوقات وعلى الدوام. ومن أجل إظهار إرادتنا في الإدارة وإظهار إرادة المجتمع في تمثيل نفسه من الضروري انتقاد الدولة، لأن هذه الأمور لا تأتي مع الدولة لأن الدولة لا تكسب المجتمع الإرادة بل على العكس تماماً هي تفقده الإرادة، فالدولة تشكلت على أساس إفقاد المجتمع إرادته، ففي المجتمع ذي الإرادة تكون الدولة ضعيفة جداً أو معدومة، فالدولة تكون قوية في المجتمع المفتقد للإرادة، هذه الأمور من الواجب علينا التعمق فيها وبهذا الشكل الحفاظ على مبادئنا.

الحركات الاجتماعية في الشرق الأوسط إلى السلطة. أي إقناع أو إرضاء الحركات الاجتماعية من خلال إشراكها في السلطة. فهي على سبيل المثال تسعى لإظهار الديمقراطية ومتطلباتها ليس كحاجة اجتماعية إنما كصراع للتشارك في السلطة. وبهذا الشكل وعلى وجه الخصوص عندما يتم إرضاء أو إقناع قادة الحركة الاجتماعية ببعض الحصص في السلطة تصبح الثورة ضد نفسها. لذلك علينا مناقشة الدولة بشكل جيد، فإن لم تتم مناقشتها بشكل جيد فلن نستطيع منع القوى الامبريالية والمحافظة من النجاح في خداع الحركات الاجتماعية، أي أنها تقوم بهذه اللعبة لمنع إحداث أي تغيير أو تطور ضمن الشعوب. لهذا السبب ينبغي التعرف وتحليل الدولة بشكل جيد. إذا فالحركات الاجتماعية هي من أجل تأمين ساحة لتنظيم المجتمع وليس من أجل نيل مكانة أو المشاركة في السلطة أي أنها تقوم بدفع المجتمع ليقوم بإدارة نفسه بنفسه على أساس العدالة

والمساواة وليتحول المجتمع إلى مجتمع يقوم بإدارة نفسه على أساس مصالحه، لأن المجتمع في الشرق الأوسط وجميع عناصره من الأطفال والمرأة والشباب والمجموعات الحرفية هم وسائل لتحقيق هدف الدولة فقط. لتتعرف كيف تتم تربية الأطفال والمرأة والشباب الذين يعتبرون القوة الديناميكية والأساسية للمجتمع، حيث نرى بأنه تتم تربيتهم وتثنتهم على أساس حماية الدولة ومصالحها ويحولون لأدوات من أجل تحقيق أهداف

الدولة فقط. فالشيء الواجب علي الحركات الاجتماعية في الشرق الأوسط اتخاذه أساساً لها هو؛ الاقتناع بعدم صحة مثل هذه الأفكار وتدريب المجتمع كجوهر من أجل إدارة وتنظيم نفسه ضمن إطار مصلحته وليس كألة تخدم أهداف الدولة. ولهذا السبب فالحركات الاجتماعية التي تتطور على أساس مشاركة السلطة أو نيل حصة من الدولة هي حركة تخون نفسها وتخون مبادئها. ومعظم الحركات الاجتماعية في الشرق الأوسط خانت نفسها بهذا الشكل وانتحرت بالتدول والسلطة والدولة القومية. لهذا السبب فإن تأمين أو توفير أرضية لتنظيم المجتمع يحوز على أهمية بالغة فهذه قضية أساسية.

نلاحظ أن السياسة الديمقراطية هي السياسة غير المرتبطة بالدولة وغير المرتبطة بالسلطة، فوجود السياسة الديمقراطية هي الضمانة الأساسية لعدم خيانة

**الحركات الاجتماعية هي من أجل تأمين ساحة لتنظيم المجتمع وليس من أجل نيل مكانة أو المشاركة في السلطة أي أنها تقوم بدفع المجتمع ليقوم بإدارة نفسه بنفسه على أساس العدالة والمساواة وليتحول**

# تاريخ حركة الحرية الكردستانية بطليعة حزب العمال الكردستاني

## الحلقة

٢٨



بعد المؤتمر السادس وفي ظل أجواء المؤامرة الدولية تم فرز القوات التي تم سحبها من باكور في مناطق الدفاع المشروع. وتم التركيز على تدريباتهم بشكل خاص. في تلك الفترة تطورت لدى كوادرنا العديد من المفاهيم المحطمة للإرادة والمخيبة للأمل وكانت تدفعهم للتحرك على هواهم بالإضافة إلى العديد من المفاهيم والمواقف المشابهة لهذه المفاهيم. حيث أن سنوات الحرب الطويلة التي مر بها كوادر الحركة وأسر القائد أبو إثير مؤامرة دولية ساهم في تعمق هذه المفاهيم أكثر لدى بعض الرفاق. لم يقتصر هذا الوضع على تحطم الإرادة إنما دفع بالعديد من كوادر الحركة إلى عدم القدرة على متابعة المسير مع الحركة. فالوضع الذي كانت تتم معاشته في تلك الفترة كان شبيهاً بالفترة التي عاشتها كوادر الحركة عندما خرجت من الوطن وتوجهت إلى منطقة الشرق الأوسط. فالوضع الذي كانت تعيشه الحركة وكوادرها في تلك الفترة كان وضعاً صعباً جداً؛ وبالتدريب فقط كان بالإمكان إخراج الكوادر والحركة من الوضع الذي كان يفرض ذاته على الحركة والكوادر.

بالطبع في تلك الفترة كان البعض ينشرون مفاهيم تخلق حالة من اليأس وفقدان الأمل لدى الكوادر ضمن الحركة كمجموعة الدكتور سليمان. فكانوا ينشرون أقاويل مثل: «كل العالم يستهدف الحركة ولا يمكننا التصدي ومقاومة تلك الهجمات. ففي الماضي كان القائد يمثل كل شيء بالنسبة لنا ولكن بعد أسر القائد من بإمكانه أن يأخذ مكانه

حلقات من دروس  
القاہ السيد جميل بايك  
عضو الهيئة الرئاسية  
لمنظومة المجتمع  
الكردستاني KCK في  
اكاديمية PKK للتدريب  
الايدولوجي.



مهمة الدفاع عنه في المحكمة. كان محمد اوغجو اوغلو هو الآخر يقوم بلعبة خبيثة؛ فلم يكن يوصل المعلومات التي نرسلها إلى القائد ولا المعلومات التي كان يرسلها القائد أبو إلينا بشكل صحيح، حتى أنه كان يقوم بنقل وفبركة أشياء ومعلومات غير صحيحة، وكان يقوم بعقد مؤتمرات صحفية من تلقاء نفسه ويصرح فيها عن العديد من الأشياء والأمور غير الصحيحة، بهذا الشكل كان يلعب لعبته الخبيثة. لم نكن نعرف ماهي الحقيقة حتى تمكنا من تغييره بمجموعة أخرى تحل مكانه أي تتولى مهمة الدفاع عن القائد أبو. فمع دخول المجموعة الجديدة استطعنا التواصل مع القائد أبو تدريجياً، في تلك الفترات كنا نرسل للقائد أبو بعض المعلومات وفي المقابل كانت تردنا بعض المعلومات من القائد أبو أيضاً، إلا أن المحامين المكلفين لم يكونوا قد أدركوا أسلوب الحركة والقائد بعد في تلك الفترة ولهذا السبب لم يكونوا يدركون ويعون ما يقوله القائد لهذا السبب كانوا يلاقون صعوبة كبيرة جداً في إدراك ما يقوله لنقله إلينا، ومن ناحية أخرى لم يكونوا يدركون ويفهمون بشكل تام الشيء الذي كنا نريد منهم إيصاله إلى القائد أبو، استمر هذا الوضع لفترة من الزمن إلا أنه بعد مضي فترة باتوا يستوعبون أسلوبنا وأسلوب القائد أبو.

كما هو معروف لم يقدم القائد أبو أية مرافعة قبل مرافعة امرالي. لأن الظروف والشروط والوسط لم يكونوا مناسبين ولم يتوفر الوسط الذي يساعده على تقديم أية مرافعة، ففي مرافعة امرالي طرح طريقة حل القضية الكردية إن كانت الدولة التركية تريد حل القضية الكردية وإن كان يراد إيجاد حل للقضية

في إدارة الحركة وتجاوز المخاطر المحدقة بالحركة. لذا من الواجب علينا إنقاذ أنفسنا» ضمن الحركة. أي أنهم كانوا يقومون بدعاية وتحريض من هذا النوع ضمن الحركة. فالدكتور سليمان ومجموعته كانوا يستغلون الوضع الذي دخلته الحركة بعد أسر القائد لخدمة مساعيهم وأهدافهم ولهذا السبب كانوا يقومون بهذا النوع من التحريض والدعاية. بالطبع كانت الحركة تتصدى لمثل هذه المفاهيم التي كانت تتطور ضمنها وكانت تبذل جهوداً من أجل تجاوز هذه المخاطر وإخراج الكوادر والحركة من هذه المخاطر المحدقة بها لا سيما أنها خاضت نضالاً في هذا الإطار إلا أنه في تلك الفترة كان الكوادر الذين يقفون ويتبنون نهج الحركة والقائد أساساً ويتصدون به للمؤامرة وجميع المفاهيم التي تعيق تقدم الحركة قليلون جداً. ففي تلك الفترة كان كوادر الحركة يحيون حالة تفتقد إلى الثقة والمعنويات، وفي المقابل كانت مجموعة الدكتور سليمان تسعى إلى الاستفادة من هذا الوضع كما فعل سمير في لبنان؛ عندما أراد الاستفادة من الحالة النفسية التي دخلها كوادر الحركة في تلك الفترة وذلك بتقوية حالة اليأس المتولدة لديهم نتيجة افتقارهم إلى الثقة بنهج الحركة والقائد وحثهم على التوجه إلى أوروبا، والدكتور سليمان هو الآخر كان يسعى إلى تطبيق سياسة التصفية هذه من خلال توجيه أنظار الكوادر إلى الخارج وبهذا الشكل كان يسعى إلى تحقيق أهدافه ومساعيه في فرض حاكميته على الحركة وتصفيته.

بالطبع تم القيام بنضال عظيم ضد كل هذه المساعي والممارسات، وعلى هذا الأساس توجهنا إلى عقد المؤتمر السابع. لم يكن الوضع واضحاً حتى المؤتمر السابع أي أننا لم نكن نعرف ما الذي يسعى إليه القائد لتجاوز هذا الوضع. لأن جميع طرق تواصلنا مع القائد انقطعت في تلك الفترة حتى أنه بأسر القائد انقطعت اتصالاتنا مع القائد بشكل كامل لفترة من الزمن وهذا كان سبباً في عدم معرفتنا لموقف القائد أبو من هذا الوضع المتطور ضمن الحركة. بعد مضي فترة طويلة تمكنا من التواصل مع القائد أبو، وذلك عن طريق أحد المحامين يدعى محمد اوغجو اوغلو الذي تمكن من التواصل مع القائد وتولى



«الدفاع عن شعب» على الشعب الحر. فبهذا الشكل المرافعتان أمتا بعضهما البعض، بالإضافة إلى هذا طور في مرافعة «الدفاع عن شعب» شكل التنظيم أيضاً. ففي مرافعة أثينا حدد شكل أو إطار نموذج التنظيم وفي مرافعة «الدفاع عن شعب» كسا إطار هذا النموذج. أي كيف وعلى أية أسس سوف يتطور النظام البديل. كما أنه قوَى من كساء هذا الإطار عبر لقاءاته مع محاميه حتى نوروز ٢٠٠٥. ففي تلك الفترة حدد شكل ونموذج نظامه وأعلنه كما صرح بأنه يتبنى راية ومهام هذا النظام. أي أن القائد أبو لم يعلن هذا النظام حتى تلك الفترة لأنه لم يصل إلى الشكل المناسب أو الشكل الواضح لنظامه البديل ولهذا السبب لم يعلن عنه قبل تلك الفترة.

في فترة انعقاد المؤتمر السابع لم تكن لنا أية معلومات حول شكل هذا النظام أي لم يكن لنا أي مرجع يمكن الرجوع إليه سوى المرافعة المقدمة إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان وبعض لقاءات القائد مع محاميه، بتلك المعلومات أوضح القائد أبو بعض الأشياء بخصوص الاستراتيجية والتكتيك أيضاً. إلا أن كل الأمور والأشياء بخصوصها لم تكن واضحة بالنسبة للحركة. قبل انعقاد المؤتمر وصلنا مضمون لقاء القائد مع محاميه وكان هذا اللقاء توجيهات القائد بخصوص المؤتمر.

المؤتمر السابع كان له أهمية بالغة ضمن تاريخ حركتنا، حيث نلاحظ أن هذه الحركة عقدت جميع مؤتمراتها في وقتها المحدد أي أنها كانت تعقد بشكل دوري ولم تؤجل أي واحد منها. وإلى جانب تلك المؤتمرات عقدت كل الكونغرانات أيضاً في وقتها أو في زمنها المحدد حيث عقدت الكونغرانات قبل

الكردية بالفعل. فهي في الأساس لم تكن مرافعة إنما اقتصرت على شكل الحل الواجب أن يكون. بهذا الشكل سعى إلى جذب الدولة التركية إلى طريق لحل القضية وتحطيم تلك الظروف والشروط والوسط المتشكل في تلك الفترة. وبهذا الشكل سعى إلى إفسال المؤامرة الدولية. أي أنه طرح المرافعة الأولى بالكامل من أجل هذا الأمر. فالمرافعة الأساسية للقائد أبو كانت المرافعة المقدمة إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ففيها طور الأسس النظرية في كيفية التصدي للمؤامرة؛ كون المؤامرة كانت قد طورت نظاماً خاصاً، لذا فإن كان يراد التصدي للمؤامرة وفهم المؤامرة وإفسالها كان من الواجب تحليل النظام الذي خلقته المؤامرة، والعالم الذي خلقته. ففي مرافعة امريال ركز القائد أبو على تحليل النظام. حلل النظام الذي تشكلت عليه المجتمعات وبشكل خاص نظام الدولة الرأسمالية، حلل نظام تلك الدول، لأنه من دون تحليل هذا النظام لا يمكن التصدي له وخلق نظام بديل عنه. فالقائد أبو حلل هذا النظام وعلى أساسه طرح النظام البديل عنه. ففي هذه المرافعة طرح الأسس النظرية لنظامه البديل إلى حد ما، أي أنه في تلك المرافعة حلل النظام الذي يرفضه وطرح الأسس النظرية للنظام البديل عنه الذي يسعى إلى إحلاله. يُلاحظ أنه لا يمكن رؤية شكل التنظيم الواجب اتباعه في تلك المرافعة. فتمودج وإطار التنظيم طوره القائد أبو في مرافعة أثينا، وفي تلك المرافعة أيضاً حدد الإطار فقط، حيث لم يحلل مضمون هذا الإطار بشكل كامل في تلك المرافعة. كسا القائد أبو مضمون هذا الإطار في مرافعة «الدفاع عن شعب»، فمرافعة أثينا كانت بمثابة جسر واصل يصل بين المرافعة المقدمة إلى المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان ومرافعة «الدفاع عن شعب». ففي مرافعة أثينا طرح القائد أبو مرافعة الإنسان الحر، وفي مرافعة «الدفاع عن شعب» طرح مرافعة الشعب الحر، ولهذا السبب سمى هذه المرافعة بمرافعة «الدفاع عن شعب»، أي أن القائد أبو اتخذ في مرافعة «الدفاع عن شعب» ماهية وكيفية تبني الشعب للأسس التي ينبغي الاستناد عليها من أجل خلق شعب حر أساساً له. أي ركز في مرافعة أثينا على الإنسان الحر وفي مرافعة



كبيرة. لهذا السبب كان من الواجب أن ينجح هذا المؤتمر بكل تأكيد ومهما حصل. كما هو معروف حجم المخاطر التي تعرض لها الاتحاد السوفيتي أدى به إلى الانهيار والتشتت عندما أرادوا إجراء بعض التغييرات والتحويلات في الاتحاد السوفيتي؛ وبالنسبة لنا أيضاً كان هناك مخاطر بهذا الشكل أو بنفس هذه السوية. لهذا السبب كان من الواجب علينا أن نكون حذرين كي لا ندفع الحركة لتعايش وتحيا وضعاً وخطراً بهذا الشكل. لهذا السبب كنا نتقرب بحذر ونأخذ التدابير من كل النواحي. لأنه بعد أسر القائد أبو وفي الفترة التي وقعت فيها كل الأعمال على عاتق إدارة الحركة ولا سيما في ظل وجود العديد من المخاطر بالنسبة للحركة اتخذنا كل شيء أساساً من أجل صون وحماية الحركة. أي أننا دخلنا ضمن أبحاث في كيفية حماية الحركة من التشتت ومنع بعض الطفيليين من فرض سيطرتهم وهيمنتهم على هذه الحركة. ولمنع حصول أي انشقاق أو انقسام ضمن الحركة كان من الواجب إفسال كل الحسابات التي تعقد على الحركة. لهذا السبب كنا حذرين جداً في هذا الموضوع. أي أننا لو لم نقم في تلك الفترة بالتقرب بهذا الشكل ربما كانت الحركة ستحيا حالة تشتت مؤكدة في تلك المرحلة. لا سيما في ظل وجود مخاطر قوية من هذا القبيل.

بهذه الحالة النفسية توجهنا إلى المؤتمر السابع وكان لهذه الحالة النفسية أثر كبير علينا، وذلك لوجود

انعقاد المؤتمر لأنه كان يعتبر تحضيراً للمؤتمر. فالمؤتمرات كانت تعقد على أساس تلك الكونغرانات. المؤتمر كان يعقد كل أربع سنوات حتى الوصول إلى المؤتمر السادس. فنلاحظ أنه تم عقد المؤتمر السابع عام ٢٠٠٠ وفي عام ٢٠٠٢ المؤتمر الثامن وفي عام ٢٠٠٤ مؤتمر الشعب وفي عام ٢٠٠٥ المؤتمر الطارئ لمؤتمر الشعب. فخاصية الظروف التي كانت الحركة تمر بها وظروف المرحلة دفعت لعقد هذا المؤتمر. لأن القائد كان يسعى إلى إجراء تغيير وتحويلات ضمن الحركة وعلى هذا الأساس عقد هذا المؤتمر. إلا أن شكل التغيير والتحول الواجب إجراؤه لم يكن واضحاً بشكل تام فتوجيهات القائد الوحيدة كان تلك الرسالة التي أرسلها مع محاميه واتخذ المؤتمر هذه الرسالة أساساً يستند إليه وعلى أساسه عقد المؤتمر.

عند عقد المؤتمر السابع كنا نرى أنه من الواجب علينا ألا نكرر الأخطاء التي كنا نعانيها ونحياها في المؤتمر السادس. كنا نعطي لهذه النقطة أهمية وحساسية الكبيرة. حيث اكتسبنا تجربة منها وكان من الأهمية بالنسبة لنا عقد هذا المؤتمر من دون ظهور أية معضلات ومشاكل تعيق نجاح هذا المؤتمر. لأننا كنا نسعى إلى إجراء بعض التحويلات والتغييرات ضمن الحركة. لأن معاشية أي مشكلة عند خطو مثل هذه الخطوة أي إجراء التغيير والتحول ضمن الحركة سوف تدفع الحركة لتعايش مخاطر ومهالك

الرغم من تلك المخاوف كنا نتق بأننا قادرين على صون الحركة من التشتت، ولكن رغم هذا كنا نتقرب بشكل حذر ونأخذ التدابير اللازمة. كانت هناك بعض المفاهيم الساعية إلى تشتيت الحركة في حال عدم القدرة على فرض أهدافهم ومساعدتهم على المؤتمر. في ذلك المؤتمر تم تحقيق بعض الأهداف التي حددناها، لأننا كنا نرى بأن تحقيق كل الأهداف التي تم تحديدها بشكل خطراً على الحركة لهذا السبب حققنا بعضاً من تلك الأهداف. لأنه لو وضعنا نصب أعيننا تحقيق كل التغييرات والتحويلات التي أردنا تحقيقها حينها ربما كانت ستخلق حالة تساهم في تشتت الحركة، ويصعب لم شملها من جديد كما حصل في الاتحاد السوفيتي.

بعد بدء المؤتمر بدأت بعض التقربات بالظهور ضمن البنية المشكلة للمؤتمر، حيث كانت بعض المجموعات قد قامت بعقد بعض الاتفاقات فيما بينها لفرض حاكميتها على المؤتمر وفرض أهدافها بشكل يتوافق مع مفاهيمها. حيث اتفقت تلك المجموعات على أن تكون إدارة المؤتمر من قبلهم كي يتسنى لهم فرض مساعدتهم في المؤتمر والتحكم به. الدكتور سليمان كان يترأس إحدى تلك المجموعات أما بالنسبة إلى المجموعات الأخرى جكار عفرين، وناصر وبيمان فكل واحد من هؤلاء كان له أهداف شخصية إلا أنهم توحدوا في نقطة واحدة وهي الوقوف ضد المؤتمر وإدارة الحركة. كانوا واثقين من أنفسهم كثيراً في البداية لنيل ما يسعون إليه ولا سيما أن معظم الكوادر الذين حضروا هذا المؤتمر كانوا جديدين وكان هذا المؤتمر الأول الذي يحضرونه، أي أنهم لم يكونوا يدركون ماذا يعني المؤتمر وما الهدف منه، وكيف تسير النقاشات فيه وماهي الأمور التي



العديد من المخاطر التي كانت تحدد بالحركة. ربما استطعنا تجاوز بعض المخاطر والمداخلات الخارجية إلا أن مخاطر أكبر كانت تعاش ضمن الحركة. أي أنه كان هناك احتمال للتشتت وانقسام الحركة باسم التحول والتغيير ولا سيما أن أنظار الجميع كانت تحدد إلى هذا المؤتمر فالكل كانوا ينظرون إلى نتيجة ذلك المؤتمر بفارغ الصبر ويتساءلون هل ستمكن هذه الحركة من الخروج صامدة وقوية وموحدة من هذا المؤتمر أو ستتعرض للتشتت والانقسام؟ ومعظم الحسابات والآمال التي كانوا يعقدونها كانت مائلة إلى فكرة تشتت الحركة، حتى أن حزب الاتحاد الوطني الكردستاني كان يصرح بشكل علني بأنه بانتظار النتيجة التي سيسفر عنها المؤتمر، وهم أيضاً كانوا يعتقدون حساباتهم على أن الحركة ستتشتت بعد هذا المؤتمر، حتى القائد أبو كان يضع مثل هذا الاحتمال في الحساب، ولهذا السبب كان قد أشار إلى هذه النقطة في التوجيهات التي أرسلها إلى الحركة قبيل انعقاد المؤتمر، وهي ألا يتم جمع عدد كبير من الأعضاء أي أن يقتصر عقد المؤتمر على حضور نسبي فقط، على عكس المؤتمرات الأخرى التي كان القائد يحث فيها على أن تكون نسبة الحضور عالية. لأنها كانت تعتبر بمثابة تدريب للحضور. إلا أنه بالنسبة للمؤتمر السابع نبه إلى أن يقتصر الحضور على عدد نسبي فقط تقادياً لاحتمال فشل المؤتمر ولا سيما أن الحركة كانت قادمة على إجراء تغييرات وتحولات هامة. كون زيادة العدد ربما تساهم في عدم القدرة على توجيه وإدارة وضبط نهج الحركة نتيجة المداخلات الخارجية والداخلية المحدقة بها. لهذا السبب كان القائد يسعى إلى هذا. هذه كانت إحدى النقاط التي لفت الانتباه إليها وكانت نقطة هامة بالنسبة لنا. إلا أننا لم نتحرك وفق تلك التوجيهات التي أشار القائد أبو إليها، حيث عُقد المؤتمر بنسبة حضور عالية مثل ما كان يتم في المؤتمرات الأخرى الطبيعية، كان من الواجب أن يكون عدد أعضاء المؤتمر قليلاً وفق توجيهات القائد للحد من المخاطر المحدقة بالحركة. على الرغم من المخاطر والتهديدات التي كانت الحركة تواجهها وأسر القائد أبو كنا نتق بقدراتنا على الرغم من المخاوف التي كنا نحياها، أي على





كان يحق بالحركة. لأن التكتيك الذي كانوا يتبعونه كان شبيهاً بالتكتيك الذي اتبعه سمير، لهذا السبب أشرت إلى أن روح سمير تتحرك وتستعيد أنفاسها من جديد ضمن هذا المؤتمر. فالتوحد الذي تشكل في هذا المؤتمر حول نهج القيادة والحركة تم بعد أن تم كشف أهداف تلك المجموعات ومساعدتهم.

في المؤتمر السابع قمنا بإجراء بعض التغييرات والتحويلات الهامة ربما لم نقم بتحقيق كل التغييرات والتحويلات التي كان من المفروض أن نقوم بها وذلك خوفاً من المخاطر التي ربما تنجم عنها، إلا أنه في الوقت نفسه تم إجراء تغييرات وتحويلات عدة هامة. حيث حققنا تغييراً واضحاً في الاستراتيجية والتكتيك وبالاستناد إلى الاستراتيجية الجديدة قمنا بالعديد من التغييرات والتحويلات الهامة في الحركة. فهذه النقاط

كانت تحوز على أهمية بالغة ولا سيما أن مهمة المؤتمر كانت تتمحور حول إجراء تغيير وتحوّل في الاستراتيجية والتكتيك.

في ذلك المؤتمر ارتكبنا أخطاء كبيرة أيضاً؛ فالخطأ كان قيامنا بتصفية أي فسح ERNK عندما غيرنا اسم ARGK إلى HPG. في تلك الفترة تلك المجموعة التي كانت تسعى إلى تصفية الحركة كانت تريد أن يتم تغيير اسم الحزب أيضاً أي تغيير اسم

PKK أيضاً، إلا أننا لم نقبل ذلك وخصنا صراعاً في هذا الموضوع، أي لم يتم التحرك وفق المقترح الذي طرحوه لأننا كنا قد غيرنا اسم ARGK و ERNK وتغيير اسم الحزب أيضاً كان سيشكل خطراً بالنسبة للحركة، لهذا السبب ركزنا وأصررنا على عدم تغيير اسم الحزب وظل كذلك، فالخطأ الكبير الذي ارتكبناه كان في فسحنا لـ ERNK. لأن مهامنا الأساسية بعد التغيير الذي أجريناه في الاستراتيجية والتكتيك كان رفع وتيرة السرهلانات أي كان من الواجب علينا أن نطور ونفرض الحل عن طريق السرهلانات، ففوات الكريلا كانت الأساس حتى تلك الفترة ولكن وفق الاستراتيجية الجديدة كان التكتيك الجديد هو السرهلانات، وتنظيم الشعب والعمليات الديمقراطية

يتم إعطاؤها الأولوية والأهمية وماهي المواضيع والأمر التي يمكن اعتبارها أموراً ثانوية. ولم يجب التقرب بحساسية في المؤتمرات. تلك المجموعات كانت تريد الاستفادة من هذه الكتلة الجديدة أيضاً لهذا السبب قاموا ببعض الأعمال ضمن هذا الإطار وكانوا واثقين من أنهم قادرون على نيل النتيجة التي يسعون إليها وكان يتضح من حديثهم أنهم واثقون من أنفسهم جداً.

في تلك الفترة ناقشت مع بعض الرفاق خطورة الوضع الذي تتم معاشته، ودفعتهم للحديث والمشاركة في المؤتمر. بالطبع تحديد الزمان المناسب لهذه المداخلات كان له أهمية بالغة، لأن المداخلة في الزمان غير المناسب يمكن ألا تسفر عن أية نتيجة بل ربما تساهم في تأزم الوضع أكثر. بعد عدة جلسات

للمؤتمر وبعد أن اتضح لي موقف معظم الرفاق قمت بمداخلة وأشرت إلى خطورة الوضع بجملة «أشعر بتحريك روح سمير في هذا المؤتمر»؛ مداخلتني ومشاركتي في المؤتمر كانت ضمن هذا الإطار، بعد تلك الجملة وبعد مداخلتني تيقظ العديد من الرفاق للوضع الذي يُسعى إلى فرضه، وعلى إثره خلق نوع من التوحد حول صون وحماية نهج الحركة. كما ركزت على ناصر والدكتور سليمان أيضاً في هذا

المؤتمر لأنهم كانوا يسعون إلى فرض مفاهيمهم في هذا المؤتمر بشكل واضح وكان من الواجب أن يتم خوض نضال لخلق وحدة في المؤتمر ضد المفاهيم التي تهدف إلى تحريف نهج القيادة ضمن الحركة، نتيجة تلك المداخلة تراجع ناصر ودخل ضمن قوقعته كما المجموعات الأخرى التي كان لها الهدف نفسه. بهذا الشكل نشنت ذلك الاتفاق الذي كان فيما بينهم. كما أن الرفاق الجدد الذين انضموا إلى اجتماعات المؤتمر لأول مرة هم أيضاً أدركوا الوضع قليلاً وهم بدورهم سعوا إلى الالتفاف حول نهج القيادة وتم تحطيم حاكمية تلك المجموعات على المؤتمر. بهذا الشكل فرض نهج القيادة والحركة الحقيقية حاكميته على المؤتمر من جديد وتم تجاوز ذلك الخطر الذي

حققنا تغييراً واضحاً في الاستراتيجية والتكتيك وبالاستناد إلى الاستراتيجية الجديدة قمنا بالعديد من التغييرات والتحويلات الهامة في الحركة

ولا سيما أن تلك الفترة كانت أنسب الفترات لفرض الضغط على الدولة. إلا أننا لم نقم بذلك فقد تركنا أنفسنا من دون تنظيم ومن دون تكتيك. وهذا كان أكبر الأخطاء التي ارتكبتها.

عاشنا هذا الخطأ في ظل الضغط المفروض علينا من المؤامرة. لهذا السبب كنا نقوم بإجراء تغييرات وتحولات ولكن بحذر لضمان وحماية وحدة الحركة. إلا أنه من ناحية أخرى فإن قيامنا بتصفية ERNK دخل في خدمة مخططات المؤامرة بشكل مباشر. تمت معايشة هذا الأمر بدون معرفة وإدراك ومن دون قصد. فنحن كنا نسعى بهذه التغييرات إلى إفشال مخططات المؤامرة ولا سيما أننا كنا نخطو بعض الخطوات في هذا الإطار إلا أننا في الوقت نفسه كنا نخطو بعض الخطوات السلبية أيضاً والتي كانت تخدم أهداف المؤامرة. فالمؤامرة كانت تسعى إلى إبقائنا من دون تنظيم وفرض حالة كهذه ضمن الحركة. ونحن بموقفنا هذا خدمنا تلك المساعي بدون قصد.

حقق المؤتمر السابع دوراً هاماً وتغييرات كبيرة في تاريخ حركتنا، حتى وإن لم يحقق كل التغييرات والتحولات التي كان من الواجب القيام بها إلا أنه حقق تغييراً في الاستراتيجية ويعتبر هذا التغيير والتحول الأساس. بدأنا بإدراك هذه الأمور بعد المؤتمر السابع أي قبل دخولنا الحرب مع حزب الاتحاد الوطني الكردستاني. حيث كان تكتيكنا الأساسي هو تطوير السرهلانات إلا أننا كنا قد فسخنا التنظيم الذي يقوم بتنظيم هذا التكتيك والهدف، فكيف بإمكاننا تطوير هذه السرهلانات وكيف بإمكاننا إدخال الاستراتيجية الجديدة ضمن الممارسة العملية للشعب. لهذا السبب كان من الواجب علينا تطوير تنظيم يقوم بهذه المهمة أي بمهمة إدخال الاستراتيجية الجديدة ضمن الحياة العملية. لهذا تم التركيز في الاجتماع المركزي الذي انعقد بعد مضي فترة على المؤتمر السابع على هذه النقطة وعلى أساسها تم اتخاذ قرار بأن يتم تشكيل طاولات خاصة بكل جزء

للشعب. فالأصح كان علينا أن نقوم بتغيير اسم ERNK إلا أننا لم نغير الاسم إنما قمنا بفسخها وهذا كان الخطأ. ف ERNK كان يمثل الجهة المسؤولة عن تنظيم الشعب وتم تطويرها بالاستناد إلى الاستراتيجية القديمة، التي كانت تهدف إلى القضاء على الدولة التركية وإنشاء دولة بروليتارية عوضاً عنها. لهذا السبب شكلنا جبهة شعبية كي نتمكن من تحقيق هذا الهدف.

ERNK كان يتصدى للاستعمار في الجبهة. ولأنه تم تغيير الاستراتيجية وسعينا إلى حل القضية الكردية بالحوار والطرق الديمقراطية كان من الواجب أن يتم تغيير ذلك التنظيم أيضاً. أي إجراء تغيير في نوع التنظيم والاسم هذه هي الأمور التي كان من الواجب علينا فعلها، إلا أننا قمنا بالعكس حيث قمنا بتصفية تنظيم الشعب المتمثل في ERNK ولم نطور أو ننشئ بديلاً عنه لتنظيم الشعب. عندما تتم تصفية وتنشيت الجهة أو المؤسسة المسؤولة عن فعاليات وتنظيم الشعب حينها لا يمكن القيام بالتنظيم ضمن المجتمع، ولا يمكن تطوير أي تكتيك أيضاً، ولا حتى تطوير السرهلانات لأن السرهلانات لا تتطور من تلقاء نفسها. فمهمتنا الأساسية كانت تطوير وتنظيم

السرهلانات إلا أننا تركنا هذه المهمة جانباً، لهذا السبب لم تدخل الاستراتيجية الجديدة العملية، كانت الاستراتيجية ستدخل الحياة العملية عن طريق الأسس والتكتيكات أي السرهلانات. وبسبب قيامنا بتصفية التنظيم الخاص بالسرهلانات تم ترك الشعب من دون تنظيم وبقينا من دون تكتيك ولهذا السبب لم تدخل استراتيجيتنا الجديدة الحياة العملية ولهذا السبب لم نستطع تطوير الحل ولم نتمكن من فرض الحل على المستعمر. هذا كان أحد الأسباب التي أعاققت خطو خطوات نحو الحل. فلو كنا طورنا تنظيم الشعب وبالأستناد عليه طورنا التكتيك كان بالإمكان إدخال الاستراتيجية ضمن الحياة العملية للشعب وكان بإمكاننا فرض الحل والضغط على المستعمر

قيامنا بتصفية التنظيم الخاص بالسرهلانات ترك الشعب من دون تنظيم وبقينا من دون تكتيك ولهذا السبب لم تدخل استراتيجيتنا الجديدة الحياة العملية ولهذا السبب لم نستطع تطوير الحل ولم نتمكن من فرض الحل على المستعمر



أية رفيقة من الرفيقات التي كان من الواجب عليهن أخذ مكانة ضمن المجلس المركزي للحركة. بل على العكس تماماً انسحب جميعاً، إلا أنه فيما بعد قبلت بعض الرفيقات أن تأخذن مكانهن ضمن المجلس المركزي للحركة. ونحن قبلنا بذلك كي نفشل اللعبة التي يتم حبكها. في تلك الفترة لم تقرب الرفيقات بروح المسؤولية، فهذه الحركة كانت حركة القائد وكان من المفروض عليهن أن تتبينن وتبينن الوفاء لنهج القائد ونهج هذه الحركة، وتتولين المهمات أكثر من الجميع، إلا أنه نتيجة التحريض والابتزاز، لندع الولاء والوفاء جانباً، تم الدخول في وضعية معادية تماماً للحركة. بهذا الشكل تصدوا للقائد ونهجه من دون معرفة. فالوضع كان خطيراً جداً. نحن لم نبد ولم نصرح بأي شيء حول هذا الموضوع لينتهي

المؤتمر بسلام ولا سيما أنه كان في اللحظات الأخيرة. كان هناك من يقوم بحبك لعبة خبيثة خلف الكواليس، ومن أجل إظهار من يقوم بالتحريك خلف الكواليس كان من الواجب أن نعيد المؤتمر إلى بدايته. وكشف تلك الشخصيات التي تقوم بهذا خلف الستار في اللحظات الأخيرة للمؤتمر كان سيسفر عن مخاطر كبيرة. أي حينها كان من الواجب عقد مؤتمر آخر جديد وكأن هذا

المؤتمر لم يعقد. والقيام بهذا بكل تأكيد كان سيدفع إلى تشتت الحركة وتحطم الوحدة المتينة التي خلقت في المؤتمر. لهذا السبب تم قبوله بهذا الشكل. وبهذا الشكل انتهى المؤتمر وكان مؤثراً ناجحاً على الرغم من المحاولات التي سعت إلى إفشاله في لحظاته الأخيرة، فأعضاء المؤتمر لم ينصاعوا وينجروا إلى مثل تلك الابتزازات والتحريضات وانتهى المؤتمر بنجاح.



من كردستان وحتى طاولات خاصة بخارج الوطن أيضاً. كما تم في هذا الاجتماع تحديد التكتيك الواجب اتباعه كي نقوم بتنظيمها.

كما تم اتخاذ قرار بأن يتم خطو خطوات في مجال الإعلام والثقافة والفن، أي تطوير تنظيم خاص بالثقافة والفن والإعلام. فبهذه القرارات تم تنظيم هذه الساحات أيضاً. كما تم اتخاذ قرارات بخصوص خطو بعض الخطوات في مجال التدريب أيضاً. أي أن يتم فتح دورات تدريبية مهنية خاصة بالإضافة إلى التدريب الأيديولوجي كي نتمكن من سد احتياجاتنا. فقد تم خطو هذه الخطوة أيضاً وعلى أساس هذه الخطوة تم فتح بعض الأكاديميات والمدارس. أي أننا سعينا إلى تجاوز النقص والخطأ الذي ظهر في المؤتمر السابع في هذا الاجتماع. أردنا في هذا

الاجتماع تحقيق القرارات التي تم اتخاذها في المؤتمر السابع ولم تتحقق. أي أن هذا الاجتماع من الناحية العملية كان مكملًا للمؤتمر السابع.

حقق المؤتمر المهمة الموكلة إليه، وتم تجاوز المخاطر التي كانت تحدد بالحركة وتم خلق وحدة متينة ضمن الحركة وفي النتيجة تم الوصول إلى مرحلة إجراء انتخابات لانتخاب إدارة جديدة. إلا أن الرفيقات صرحن

بأنهن لن تأخذن مكاناً ضمن الإدارة الضيقة للحركة، وانسحبت كل من تم ترشيحها لهذه المهمة. هذا الوضع كان وضعاً خطيراً بالنسبة للحركة. فالذين كانوا يحثون الرفيقات على إبداء مثل هذا الموقف كان هدفهم إفشال المؤتمر في لحظاته الأخيرة، ليتمكنوا من خلق نعمة ضمن المؤتمر، أي أنهم بهذا الشكل سعوا إلى فرض ما تم التصدي له في المؤتمر. الرفيقات كن واجهة لهذه المواقف إلا أن المحرك الأساسي كان شخصيات أخرى تدفعهم وتحرضهم على إبداء مثل هذه المواقف. فاللعبة كانت كبيرة جداً. حينها تركنا لهن الحرية في القرار أي قلنا بأنه بإمكاننا أن نشكل لجنة مركزية ممن يقبل الترشح، لم ننضم

# الأزمة السورية والحل الفيدرالي الديمقراطي

» اللجنة الحقوقية



يدور نقاش كبير في الآونة الأخيرة حول ماهية النظام الاجتماعي والمعيشي الذي سيساهم في حل المشاكل الراهنة وكذلك تلك المشاكل المتراكمة تاريخياً للمجتمع في سوريا. هناك حديث عن العديد من الخطط التي يتم إعدادها في الداخل السوري وهناك أيضاً خطط يتم التطرق إليها في الخارج فيما يخص المستقبل السوري. حيث يتم تطوير وصياغة البدائل المتعددة والمختلفة، وتجري مفاوضات سرية وخفية خلف الأبواب الموصدة بين مختلف القوى الفاعلة في الملف السوري. القوى الدولية الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية وروسيا تقومان باستخدام شتى الأساليب لتطوير حجج وأسباب بغرض تشكيل نظام يراعي أهدافها ومصالحها في سوريا. ومؤخراً انتشرت العديد من الإشاعات القوية التي تفيد بأن الولايات المتحدة الأميركية وروسيا تعملان سوياً حول صياغة دستور سوريا الجديد. ومن جانب آخر هناك القوى والدول الإقليمية مثل إيران وتركيا والسعودية والتي تنتشط أيضاً في الملف السوري. وكل هذه القوى الخارجية تسعى جاهدة وراء خلق هيكل جديد لسوريا بحيث تحقق مصالحها بعد رحيل نظام بشار الأسد. ولكن ومن خلال العديد من الأمثلة الظاهرة للعيان المرتبطة بالقوى الخارجية لن تجلب السلام والديمقراطية المنتظرة والمنشودة للشعب السوري. وبكل تأكيد فإن هذا لا يعني الرغبة في تأسيس نظام اجتماعي سوري منفصل عن خارجه أو معزول عن الإنسانية. فالمقصود هنا عدم نفي الدعم والمساعدة الخارجية أو عدم نفي التفاعل مع المحيط السوري. فالعلاقة مع العالم الخارجي وتناقضاته دائماً ما ستكون حاضرة في سوريا من دون أي شك. ولكن المطلوب هنا أن تراعي هذه العلاقات مع العالم الخارجي مبدأ الاحترام المتبادل بين الدول والشعوب. وتراعي عدم الاستخفاف بالشعب السوري وعدم استخدام المحنة السورية لفرض نظام التبعية والعبودية على المجتمع السوري. جميع هذه الأمور ضرورية وإلزامية دائماً في العلاقات الخارجية والتفاعل مع المحيط الإقليمي والدولي.

من ناحية أخرى فإن إحلال نظام استبدادي مركزي قومي لمؤسسة الدولة السورية لن يجلب الحلول الديمقراطية لسوريا لأنه باختصار سيكون نظاماً مشابهاً لنظام البعث الحالي. فوصول الأزمة السورية لهذا المستوى من الفوضى والمشاكل المعقدة كان بسبب تأسيس نظام دكتاتوري استبدادي



لأهدافه بحيث تشكل له ظلًا يغطي ويستر بها ذنوبه وعبوبه.

في العلاقات المجتمعية وفي الطبيعة لا يمكن الادعاء بوجود استقلالية مطلقة فهذا حدث غير ممكن. كل شيء ظاهري أو مخفي مرتبط ببعضه البعض وفقًا لعلاقات محددة. قانون جدلية الطبيعة يفرض وجود كل الأشياء على أساس ترابطها ببعضها. فالطبيعة والمجتمع يتغيران ويتطوران بالانتفاع والإفادة من بعضهما البعض. وهذا بشكل من الأشكال يفرض العلاقات المتبادلة. وهنا ليس من المهم معرفة سبب وجود هذه العلاقات المترابطة والمتولية لبعضها البعض. ولكن الأهم من ذلك هو معرفة كيفية وجود هذه العلاقات وكيف تسير وتعمل. وهل هي ديمقراطية من وجهة النظر المجتمعية أم لا. في وقت من الأوقات تم الحديث كثيرًا حول السيادة والاستقلالية المطلقة للدولة القومية. وبملاحظة الأحداث المدهشة والمتلاحقة التي تجري مؤخرًا يتبين لنا بشكل واضح بأن مقولة السيادة والاستقلالية المطلقة هي

عبارة عن مقولة مجردة وغير واقعية. فكل الدول القومية تتكئ على بعضها مثل أحجار الدومينو. اهتزاز أحد هذه الأحجار يؤثر على جميعها وأحيانًا يحدث لها أثر الزلزال. وخصوصًا في يومنا هذا فظروف الرأسمالية العالمية فرضت على هذه الدول القومية أن تكون وحدة واحدة وكل دولة قومية تشكل جزءًا من هذه الوحدة.

في الوقت الذي تتعايش فيه الشعوب والمجتمعات سويًا لا يمكن لأحد أن يعيش لوحده بمعزل عن الآخر. فدائمًا تتواجد روابط حيوية بين الشعوب. الميزة الأساسية في الإنسان هي أنه كائن اجتماعي. فالإنسانية تستطيع من خلال صفتها الاجتماعية الوصول لأهدافها وغاياتها المثلى وتستطيع تحقيق أحلامها.

ومنذ أول إنسان قبلي وصولًا للنماذج القومية في يومنا الحالي فإن المجتمعات الإنسانية والبشرية كانت تسعى دومًا للتجمع وكانت تحتاج للتضامن فيما بينها. وأكبر دليل على ذلك هو بناء معبد كوبيكلي تبه ( في مدينة الرها ) من قبل الإنسان القبلي في التاريخ البدائي. فمعبد كوبيكلي تبه ليس ذلك المكان البسيط الذي يستطيع عدد صغير من الأشخاص بناءه بسهولة. فإذا ما أخذنا بالاعتبار الظروف الصعبة والإمكانات الفنية المحدودة في تلك الحقبة من الزمن سنرى بالتأكيد أن بناء هكذا

من قبل الدولة القومية، الأسلوب الحالي لإدارة الدولة السورية أوصلها لهذا الطريق المسدود. ولكن من المؤكد بأن هذا الشكل لمؤسسة الدولة قد بات جزءًا من الماضي وانتهت صلاحيته. فبحكم ظروف منطقة الشرق الأوسط وكذلك بحكم التمدن والتحضّر الذي يشهده عالمنا الراهن فلن يتم السماح بعد اليوم بكذا هياكل استبدادية غير ديمقراطية تحكم الشعوب وتستبدها. ويمكننا القول بأن زمن بناء سلطات قمعية وفرض حكمها على الشعوب والمجتمعات بالقوة قد انتهى، سواءً أكانت هذه السلطات إثنية، أم دينية، أم مذهبية، أم طائفية أم حتى عائلية. فنحن نشهد في الوقت الحالي انهيارًا للكتل الكلاسيكية للسلطة الاستبدادية والقمعية، وبالتالي لن يكون من المجدي أو من المقبول أن تظهر كتل حديثة مماثلة لتلك الكتل الكلاسيكية المستبدة.

ونتيجة للأوضاع والتطورات التي تشهدها المنطقة والعالم بشكل عام فالخيار الأمثل يكمن في تطوير نموذج الدولة الديمقراطية أو نموذج الفيدرالية

الديمقراطية لسوريا المستقبلية. فمن خلال نموذج الفيدرالية الديمقراطية سيتم تجاوز استبدادية السلطة المركزية والقومية، وسيتم التوصل لإمكانية الحل الديمقراطي للمشكلات المجتمعية في سوريا بشكل أفضل. بالتالي ولكي نقوم باستحداث حلول دائمة للمشكلات الراهنة فالمطلوب وبشكل ضروري تحقيق نموذج الدولة الديمقراطية والفيدرالية الديمقراطية. وبالطبع هذا سيقدنا تلقائيًا إلى رفض وإلغاء نموذج الدولة القومية. وبالاعتماد على نهج الفيدرالية الديمقراطية كأساس، ينبغي إعادة هيكلة نظام الدولة والمجتمع في سوريا بناءً على الأسس الديمقراطية فيما يخص الأبعاد السياسية، الحقوقية، الدفاعية، الاجتماعية، الاقتصادية، وحتى الأبعاد العقلية للمجتمع السوري.

الأساس التاريخي للفيدرالية

عند تأسيس أي نظام اجتماعي تكون المفاهيم والنظريات المستخدمة ذات أهمية كبرى. كل مفهوم إنما هو تعريف لظاهرة اجتماعية، كل نظرية تفسر أسباب آراء المجتمع أو فهمه للطبيعة. المحتوى والمعنى الذي يتم تحميله للمفاهيم في غاية الأهمية. يكثر استخدام بعض المفاهيم كالاستقلالية، الحرية، الديمقراطية، الحق والعدالة. لكن كل شخص يفسر معنى هذه المفاهيم وفقًا

**في يومنا الحالي عندما نناقش النظام الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية في روج آفا- شمال سوريا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار دائمًا بأن الهياكل التنظيمية والأنواع المختلفة للنظم كالفيدرالية، الكونفيدرالية والحكم الذاتي أو الإدارة الذاتية ليست حالات تم اكتشافها حديثًا كما يظن البعض**

الأشكال فإنها سوف تنتظر الفرصة السانحة للقتال والمقاومة من جديد. القمع والمقاومة هي حلقة دائمة كانت ولا تزال ميزة متكررة لحضارة السلطة المركزية. هذه السياسة إضافة لأنها لا تقدم أبداً حلاً للمشاكل فإنها في الوقت نفسه تشكل مصدراً للحروب، الانفصال، النزاعات، الأحقاد والعداوة.

في يومنا الحالي عندما نناقش النظام الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية في روج آفا- شمال سوريا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار دائماً بأن الهياكل التنظيمية والأنواع المختلفة للنظم كالفيدرالية، الكونفيدرالية والحكم الذاتي أو الإدارة الذاتية ليست حالات تم اكتشافها حديثاً كما يظن البعض. فمنذ بداية التاريخ البشري كان هناك تطبيق للأشكال والعلاقات التنظيمية بصورة ما في المجتمعات. ولكن كان هناك اختلاف وفوارق في الزمان والمكان والظروف. وبالتالي كانت هذه العلاقات التنظيمية على شكل صيغ مختلفة ومتنوعة.

نظام الحكم السومري ولمدة ألفي عام كان مؤلفاً من مدن ذاتية أو شبه مستقلة الحكم. كان لكل مدينة آلهتها، ملوكها، معابدها وإدارتها وأنظمة حكمها الذاتية الخاصة بها. السومريون وضعوا أسس الحضارة التاريخية، ونجاح هياكلهم الإدارية لحضارتهم كان بسبب تقصيلهم لنظم الإدارة الذاتية التي أعطت حيوية أكثر لمذنبهم ومعيشتهم. الملك سركون هو الذي قضى على أنظمة الحكم الذاتي للمدن السومرية ليوحد حكم جميعها في سلطة مركزية واحدة. الآشورية، البابلية والأكادية كانت أشكالاً للدولة المركزية آنذاك. ولكن مع ذلك يمكننا القول بأن هذه الإمبراطوريات الكلاسيكية لم تتمكن من القضاء بشكل نهائي على نظم الحكم الذاتية للمدن السومرية. تلك النظم الذاتية للمدن السومرية فقدت أهميتها نوعاً ما، ولكن تلك المدن استطاعت بشكل من الأشكال الإبقاء على وجودها حتى نهاية انهيار الإمبراطورية الآشورية عام ٦١٢ قبل الميلاد.

مملكة الحيثيين كانت كونفيدرالية. فقد كان الملك يتخذ القرارات بالاشتراك مع رؤساء القبائل والعشائر من خلال مجلس يسمى بمجلس البانكو. بالإضافة إلى أنه كانت هناك العديد من الإمارات المجاورة التابعة للحيثيين. فرسالة التبعية المشهورة بين الأمير الميتاني واتبافازا والملك الحيثي شمولولينينا موجودة كوثيقة تاريخية كشاهد على تلك العلاقة. كذلك قد بعث أدريمي الملك الصغير لإمارة اليللاه رسالة تبعية إلى الحيثيين طالباً الحماية من هجمات الآشوريين والبابليين آنذاك. ومن هنا يمكننا التوصل لنتيجة أن التبعية في تلك الحقبة التاريخية كانت بمثابة نوع من أنواع الارتباط وتعادل

أثر وهكذا صرح كان بحاجة لعقل معماري وجهد بشري مهم. وإلا لكان من الصعب بناء هكذا أثر تاريخي. سواء بسبب ظروف الطبيعة أو بسبب الأنشطة الاجتماعية الملزمة فقد كان هناك حضور دائم للترابط، الشراكة، التضامن والوحدة في المجتمعات. على مر التاريخ كان هناك حضور دائم لأشكال التضامن والتنظيم المجتمعي من خلال ما يشبه الكونفيدراليات البشرية منذ عهد القبليّة، القبيلة، العشيرة ووصولاً للأمم والقوميات وحتى النقابات العمالية. وإلى جانب هذه الكونفيدراليات كان هناك حضور دائم للأحداث كالصراعات والانفصالات والعنف والشجار والنزاع. ولكن هنا يبقى السؤال: كيف تأسست هذه الاتحادات أو التضامنيات الشبيهة بالكونفيدراليات. وكيف كانت تستجيب للاحتياجات المجتمعية آنذاك. وهل تأسست وفقاً لمقاييس وأسس محددة كالعدالة أو أهداف ديمقراطية مثلاً؟

على مر التاريخ وبشكل عام يمكننا افتراض وجود نوعين من الاتحاد أو نوعين من العيش المشترك. النوع الأول هو الاتحادات الديمقراطية بشكل طوعي أو التي تتشكل نتيجة للحاجات الأساسية للشعوب وبشكل خاص لمواجهة التهديدات أو الهجمات من أطراف خارجية فقد كانت الأقوام من القبائل والعشائر تتجه للاتحاد والمقاومة سوياً. وبعد التخلص من تلك التهديدات والهجمات كانت هذه التجمعات البشرية تعود لشكلها الأولي قبل الاتحاد أو كانت تتجه لتحويل اتحادها المؤقت إلى وحدة دائمة وتقوم بتطوير أشكال ديمقراطية كأسس للعيش المشترك. الوحدة المجتمعية الديمقراطية التي كانت تتشكل بناءً على إرادة الشعوب كانت وفقاً لأسس الرغبة والإرادة في العيش المشترك. وهنا تكمن النقطة المهمة والحساسة في عدم الإضرار بتطلعات وأهداف العيش الحر، وعدم الإضرار بهوية وشخصية هذه الشعوب والسعي لبناء الثقة المتبادلة لاحترام الشعوب لبعضها.

النوع الثاني من الاتحادات هو عبارة عن أنظمة الطبقات الحاكمة والدول المركزية والتي تفرض سلطتها بالقوة على رقاب شعوبها والشعوب المجاورة لها وبالتالي تستعمرها. وبناءً على هذا تقوم هذه الطبقات والدول المركزية بالعمليات والحملات العسكرية ضد هذه الشعوب والتجمعات التي لا تقبل سلطتها. فتمارس إبادة جسدية وثقافية بحق هذه الفئات. وبعد أن تدعن هذه الفئات لهيمنة القوة المركزية يتم تحويلها لخدم وعبيد لهذه السطات والطبقات. وهنا طبعاً لا يوجد أي نوع من أنواع الوحدة الديمقراطية أو المشاركة الطوعية الاختيارية. وبالتالي إذا لم يتم القضاء نهائياً على هذه الفئات سواءً بالتصفية الجسدية أو دمجها بشكل من



للقانون والقضاء في روما هما : قانون قضاء المواطن وقانون قضاء القبائل. فالذين يعيشون في شبه الجزيرة الإيطالية وخارجها ببضعة أميال كانوا تابعين لقانون قضاء المواطن. أما التابعين لقانون قضاء القبائل فهم من تسري عليهم قوانين موضوعة من قبل المسؤولين المحليين في المناطق القبلية. الولايات تتم إدارتها طبقاً لأهميتها وقدرتها على المقاومة والدفاع. في عام ٣٩٥ بعد الميلاد وبعد مجموعة من الإصلاحات التي سميت بإصلاحات دقلديانوس تم تشكيل هيكل حكم جديد مؤلف من اثنتي عشرة أبرشية. كانت كل أبرشية تتكون من ٤ إلى ١٣ ولاية. وطبيعة الحكم كانت مؤلفة من ٤ مقاطعات، ١٥ أبرشية و ١١٩ ولاية. وتجدر الإشارة إلى أنه إضافة إلى حاكمي الولايات في روما كانت هناك زمرة من المتعاونين من أبناء الطبقات المحلية الذين كانوا يشاركون حاكمي الولايات في الإدارة. وعندما تم صلب المسيح كان للمجلس الديني اليهودي سنهدين ( المجلس اليهودي) المكون من ٧١ عضواً تأثير أكبر من تأثير والي روما بلاتوستان نفسه.

أغلب إمبراطوريات القرون الوسطى كانت تتضمن أشكالاً للإدارات المحلية الذاتية. الشكل الإداري في الإمبراطورية العثمانية كان يعتمد على نظام المقاطعات ( السنجق بالتركية) ونظام الولايات. بحيث يتم تعيين والٍ عثماني لكل ولاية تابعة للعثمانيين. وقد وصلت قوة والي مصر علي باشا القلبي إلى درجة أنه حارب السلطنة العثمانية ذاتها وكان قريباً من هزمها. السلطان العثماني يافوز سليم اتفق مع الأمير الكردي ادريس البتليسي على الاعتراف بتبعية الإمارات الكردية للسلطان العثماني لقاء منح هذه الإمارات الحكم الذاتي. فقد كانت شؤون القبائل والعشائر تابعة للأمرء الكرد والدولة العثمانية لا تتدخل في الشؤون الداخلية. بالمقابل كانت هذه الإمارات تساعد وتدعم السلطنة العثمانية في الحروب بالمقاتلين وتدفع ضرائب محددة للسلطان.

في أوروبا كانت هناك هيكل مستقلة ومدن ذاتية الحكم. الهيكل السياسي لإمبراطورية روما- جرمانيا المقدسة ( ٩٦٢-١٨٠٦ بعد الميلاد) كان مجرد حبر على ورق. فعلى الرغم من أن ملوك روما- جرمانيا كانوا يقلدون إمبراطورية روما القديمة ولكن الحكم المركزي كان ضعيفاً والهيكل الإدارية كانت منقسمة على شكل إمارات محلية مستقلة. نظامها الإداري كان كونفيدرالياً. في عام ١٢١٥ للميلاد قام ملك إنكلترا بتوقيع اتفاقية سميت بالوثيقة العظمى وبموجبها يقبل الملك منح الحكم الذاتي للمدن والإمارات المحلية. وتم بموجبها تحديد سلطات الملك وتشكيل ميزان القوى في مملكة إنكلترا.

في يومنا هذا ما يشبه الحكم الذاتي. ففي علاقات التبعية في تلك الحقبة كان الملك يمثل السلطة المركزية وكان يحمي الإمارات المحلية ويوفر لها الأمان مقابل مبايعة هذه الإمارات للملك وتقديم الدعم والتبعية له. وحتى علاقات التبعية بين الإمارات المحلية والممالك المركزية في أوروبا في العصور الوسطى كانت بشكل عام شبيهة بتلك العلاقة بين الحثيين والآخرين. وكل هذا يشبه أنظمة الحكم والإدارة الذاتية في يومنا الحالي. يبقى أن نذكر بأن الهيكل الفيدرالي الألماني في فترة الرأسمالية القومية ما كان إلا صفة موروثية من الكونفيدرالية المقدسة التي حدثت بين روما والجرمانيين يوماً ما.

الدولة الميمنية أيضاً كانت عبارة عن كيان كونفيدرالي مكون من مجموعة من العشائر. الميديون عندما قاموا بتدمير نينوى مركز الآشوريين كانوا متحالفين مع قبائل السكوثيين والبابليين. قامت الإمبراطورية الفارسية بتطوير نظام حكم للولايات تحت مسمى المزربانية ( أتروباتين). كان الفرس يديرون الأراضي التي يسيطرون عليها ويحكمونها من خلال والي يتم تعيينه من قبل المركز وفي الوقت نفسه لم يكن هناك تدخل من قبل المركز في الأمور العقائدية والثقافية لتلك المجموعات. في بابل تم الإفراج عن ٤٠ ألف أسير يهودي وتم إرسالهم لبلادهم. كما أن إسرائيل أيضاً وبقيادة عزرا قامت بإعادة بناء هيكل معبد سليمان وتحويله إلى ولاية تابعة للإمبراطورية الفارسية. فنظام المزربانية (أتروباتين) كان أسلوباً سهلاً وذكياً لإدارة إمبراطورية شاسعة الأراضي.

اليونانيون وليحافظوا على الحضارة والديمقراطية اليونانية من الهجوم الفارسي- الميدي قاموا بتطوير ما يسمى باتحاد ديلوس. الاتحاد الديلي ( ٤٧٧-٤٠٤ قبل الميلاد) في ظروف تلك الحقبة كان أشبه باتحاد كونفيدرالي ويذكرنا بالاتحاد الأوربي في يومنا الحالي. هذا الاتحاد كان يضم أكثر من ١٥٠ دولة للمدن الإغريقية آنذاك وقد كان اتحاداً عسكرياً وسياسياً استمر لغاية عام ٤٠٤ قبل الميلاد. وفي الأساس قد تم تطويره وتنظيمه من قبل أثينا لمواجهة تهديد الإمبراطورية الفارسية. ولكن فيما بعد حاولت أثينا استخدام اتحاد ديلوس أملاً في نشر نفوذها وفرض هيمنتها وسلطتها. لذلك فقد دخلت مع جارتها أسبارطة في صراعٍ سمي بحرب البيلوبونيسية والتي استمرت لمدة ٣٠ عاماً وأخيراً انتهت الحرب عام ٤٠٤ قبل الميلاد بهزيمة أثينا وتفكك اتحاد ديلوس.

كان شكل التنظيم في إمبراطورية روما أيضاً على أساس المناطق والولايات. وتم تصميم النظام القانوني القضائي أيضاً بناء على ذلك. فقد كان هناك نظامان

حاكمة. لم يكن أحد من هؤلاء يدّعي تأسيس دولته على أساس أنها عربية، فارسية، تركية، كردية الخ. فالسلالة الأيوبية إثنياً كانت سلالة كردية ولكنهم لم يذكروا أصلهم الكردي أبداً بل كان هدفهم الأساسي هو الحرب والإدارة باسم الأمة الإسلامية.

تم الحديث عن تأسيس الدولة القومية للمرة الأولى في الثورة الفرنسية. تم تعريف القومية كما يلي: هو نوع من الاتحاد الروحي الثقافي الذي تأسس تاريخياً نتيجة للشراكة في اللغة والأرض والمعيشة الاقتصادية. من الناحية الأيديولوجية فهذا هو التعريف الوطني للدولة القومية. فهذا يعبر عن نوع من الاتحاد الروحي لقومية واحدة، لتاريخ واحد، لوطن واحد، للغة واحدة ولثقافة واحدة. هذا المفهوم للدولة القومية انتشر تأثيره في كل أوروبا من خلال الثورة الفرنسية وحروب نابليون. وانتشر هذا المفهوم وتم تصديره إلى كل أنحاء العالم بعد الحرب العالمية الأولى.

ولكن تعريف القومية كظاهرة

أيديولوجية وليس كظاهرة اجتماعية أدى إلى ظهور مشكلات كبيرة وتناقضات مجتمعية. لأن الكثير من القوميات الحديثة التي ظهرت في أوروبا وفي بقية أنحاء العالم لم تدخل في نطاق هذا التعريف. على سبيل المثال إذا ما أخذنا دولاً مثل روسيا، الهند، إنكلترا، بلجيكا، سويسرا، إسبانيا، تركيا وسوريا فسلاحظ أن ظاهرة القومية في كل هذه الدول لا تتوافق مع التعريف المذكور للقومية. ففي كل هذه القوميات لا تتوفر عناصر اللغة الواحدة، أو التاريخ الواحد،

أو الثقافة الواحدة، أو الوطن الواحد، أو حتى نوع الاتحاد الروحي. إذا فهذه الدول القومية لم يتم تأسيس أي منها على أساس حدودها الإثنية الموجودة فعلاً. الطبقات المهيمنة والبورجوازية أسست حكمها القومي وعرفته على أساس الأراضي التي سيطروا عليها بالقوة نتيجة كسبهم للحروب. القوة الإثنية التي كانت تسيطر على السلطة هي التي كانت تحكم وكانت تعرف نفسها على أنها الممثل القومي لبقية الإثنيات وبالتالي تجبرها على العيش والتفكير والتحول وفقاً لمنظورها. وعندما تم تعريف القومية بهذا الشكل ولغرض إثبات نظرية المواطن الجيد فقد كان واجباً على بقية الشعوب والمجموعات الأخرى المنضوية تحت سلطة القوة الإثنية أو الدينية المسيطرة أن تقبل الاندماج والانصهار القومي. الغرض من هذا التعريف واضح وهو خلق نوع واحد من المواطنين.

**مع أن الفيدرالية لها معنى عام ولكن أشكال التطبيق تختلف من دولة إلى أخرى. وبحسب الظروف والأوضاع التاريخية، الاجتماعية، الثقافية وحتى الجغرافية لتلك الدول**

وتم تحديد صلاحيات وحقوق للإمارات والمدن التي كسبت الحكم الذاتي بموجب الوثيقة العظمى.

في العصر الاستعماري الكلاسيكي لما يسمى بفتوحات الحضارة الرأسمالية كانت إدارة الأراضي التي يتم السيطرة عليها تتم من خلال حكام مواليين للقوى المستعمرة. الكومنولث البريطاني المشهور كان يتشكل من المستعمرات البريطانية. فقد تم تعيين حاكم أو وال لكل مستعمرة مثل الهند. لكن هذه الإمبراطوريات الكبرى لم تؤسس هيكل الإدارات المحلية والولايات للأغراض الديمقراطية. لقد قامت القوى الاستعمارية بتطوير هذه النماذج من نظم الإدارة لتتمكن من إدارة الشعوب التي تعيش في هذه المستعمرات بسهولة وبدون مشاكل. هنا كان المراد هيمنة أحادية للطرف المنتصر في الحرب. فإرادة الطرف القوي وقوانينه هي التي تسري. وكان من الضروري لهذه القوى في الأراضي التي تسيطر عليها أن تخلق مجموعات محلية وقبلية خاضعة وتابعة لها وتتعاون معها للحفاظ على الأمن.

هذه النماذج من الهياكل الإدارية كانت ضرورية للقوى الاستعمارية لتسيطر بسهولة على مستعمراتها ولسنين طويلة دون مواجهة أخطار أمنية.

وهنا تجب الإشارة بأن الاتحادات الطوعية والديمقراطية التي تشكلت بين الشعوب والمجموعات المختلفة كانت بغرض مواجهة الأخطار الخارجية. فمستويات المقاومة للشعوب أو قواتها المنظمة كانت العامل المؤثر في تطوير نماذج ذاتية الحكم أو كونفيدرالية.

تاريخياً يمكننا القول إن نموذج الدولة القومية هو أكثر النماذج التي أحدثت أنظمة حكم مركزية. بداية هذا النوع من الحكم هو الثورة الفرنسية التاريخية. فالثورة الفرنسية كانت ثورة شعبية بكل معنى الكلمة. ولكن مع الزمن ومع سيطرة البورجوازية تحولت هذه الثورة إلى دكتاتورية. كان هذا ميلاداً لمفهوم جديد لإدارة الدولة. المصالح السيادية للدولة تشكلت على أساس أن الأمة فوق أي اعتبار. كان الإدراك السائد وقتها بأن الإرادة المطلقة للأمة هي الإرادة السيادية العليا للدولة وكل شيء يتم باسم سيادة الدولة واستقلاليتها. في السابق كانت السلالات الحاكمة تقوم بتأسيس الدول. فمالكو الدولة هم العائلات الكبيرة والقوية سياسياً. فالدولة الأموية، العباسية، السلجوقية، العثمانية والصفوية خير مثال على هذه السلالات. والأهداف الأيديولوجية لتلك الدول كانت الدين، وإدارتها كانت عبر سلالات عائلية





الأميركية، روسيا، ألمانيا، إسبانيا، إيطاليا، جنوب أفريقيا والهند الخ..

مع أن الفيدرالية لها معنى عام ولكن أشكال التطبيق تختلف من دولة إلى أخرى. وبحسب الظروف والأوضاع التاريخية، الاجتماعية، الثقافية وحتى الجغرافية لتلك الدول فقد تكون الفيدرالية ضمن إطار واسع أو إطار ضيق. وقد تكون الفيدرالية حسب الأقاليم إما سياسية أو إدارية أو جغرافية أو ثقافية. الفيدرالية، الكونفيدرالية والحكم الذاتي هي أشكال سياسية ولها صفات حقوقية دستورية. نطاق وطبيعة هذه الصفات تتحدد من خلال النضال نتيجة التناقضات المجتمعية. الفيدرالية تتحقق نتيجة للحاجة إلى حلول تفرضها ظروف اجتماعية محددة. لذلك يجب أن نسعى لمعرفة ما هي هذه الظروف الاجتماعية التي تفرض الحاجة للفيدرالية.

الدول القومية هي عبارة عن احتكار لتنظيمات السلطة والرأسمال. المركزية هي أساس اتجاهاتها وأساليبها. ويمكننا القول بأنها شخصية لها بنية غير ديمقراطية. ولكن الأحداث لا تجري دائماً بحسب رغبة هذه الدول المركزية. ففي بعض الأوضاع لا تتمكن هذه السلطة المركزية من ردع المقاومات المحلية أو التشكيلات المستقلة. لذلك قد تضطر للقبول بعلاقات على أساس المصالحة الديمقراطية في حال فشلها في ردع المقاومات المحلية بالقوة. وهي تضطر للقبول بالحلول الفيدرالية، الكونفيدرالية أو الحكم الذاتي بشكل خاص عندما لا يكون ميزان القوة لصالحها. وقد نستطيع الملاحظة بأن الكثير من الدول التي تحكم فيدرالياً اليوم عاشت مراحل تاريخية مشابهة لما ذكرناه قبل قليل. وسيكون من المفيد أن نذكر بعض الأمثلة البارزة في هذا الخصوص.

بداية تأسيس الولايات المتحدة الأميركية كان وفق هيكل كونفيدرالي. المستعمرات الثلاث عشرة الأميركية التي نالت استقلالها من إنكلترا اجتمعت في اتحاد كونفيدرالي. بيان فيرجينيا في عام ١٧٧٦ أشار إلى الحقوق الأساسية والحريات. الاتفاقية المسماة الكونفيدرالية وبنود الاتحاد الدائم للعام ١٧٧٧ تم التصديق عليها من قبل كونغرس الولايات ( مؤتمر الدولة) وتم التوقيع عليها رسمياً عام ١٧٧٨. النقاشات حول الفيدرالية والكونفيدرالية استمرت قرابة عشر سنوات. قام جيمس ماديسون بشن حملة قوية لتحقيق الفيدرالية. في عام ١٧٨٧ اجتمع ممثلو الولايات المتحررة من الاستعمار لتأسيس اتحاد كونفيدرالي ولكن الطبقات البورجوازية من الصناعيين في الولايات الشمالية قامت بفرض ثقلها وتمكنت من تحويل النظام الكونفيدرالي إلى نظام فيدرالي. الاتحاد الذي تأسس بداية بشكل طوعي تحول فيما بعد إلى

التحدث بنفس اللغة، وفرض مفهوم محدد على الجميع وهو مفهوم التفكير بخدمة الدولة وتقديسها دائماً. الغرض خلق طبقة اجتماعية من المواطنين الصالحين غير مقاومين ولا يخلقون المشاكل والعوائق. يمكننا تسمية هذه الحالة بالغزو العقلي الاستعماري.

هذا التعريف للقومية أدى لظهور خلافات وصراعات داخلية وخارجية استمرت لمئات السنين. الرأسمالية وباسم الحدائة كانت ترغب في صهر كل شخص في بوتقة حديدية واحدة وكانت ترغب بخلق أشخاص متشابهين تماماً وكأنهم خرجوا من مخرطة حديدية واحدة. وأكبر مثال على هذا المبتغى السياسي هو تعريف هتلر للعرق الآري الصافي للشعب الألماني. هتلر فضح وعبر عن حقيقة وجه وجوهر العقلية القومية لكيان الدولة. هذا التعريف المستند للعقلية القومية تسبب في حروب وصهر وإبادة لا تحصى. وكذلك تسبب في الحرب العالمية الأولى والثانية أيضاً.

نتيجة للحرب العالمية الثانية وبعد إدراك حجم الكوارث التي تسببت بها العقلية القومية في تلك المراحل، فقد تجاوزت الرأسمالية العالمية هذه المشكلة وقد كان للنظام الليبرالي الأوربي دور مهم في تطوير إصلاحات مناسبة لهذه السياسة. فقد تم تجاوز الحدود القومية المتحفظة. وتم تأسيس المجموعة الاقتصادية الأوربية كبداية. وفي الإطار السياسي تم تطوير نموذج الاتحاد الأوربي واتفاقية شنغن. وبهذا فقد نعمت القوميات الأوربية والمجموعات الشعبية بالسلام والاستقرار في آخر ستين عاماً منصرماً في أوربا. بدون شك فالاتحاد الأوربي لم يتجاوز هيمنة الدول القومية بشكل كامل. فالاتحاد مازال يتحمل صبغة الرأسمالية الاحتكارية للدول القومية القوية مثل ألمانيا وفرنسا. التجربة مهمة حتماً ولكن حظوظ النجاح تبقى غير مضمونة.

الفيدرالية في عصر الدول القومية

التعريف الحديث للفيدرالية: هي الدولة التي يتم فيها تقاسم الصلاحيات والمهام بين السلطة المركزية والسلطات المحلية أو الإقليمية اعتماداً على الدستور. في الدول ذات الأنظمة الفيدرالية يتم تحديد مستوى وشكل العلاقة بين الهيمنة المركزية وبين السلطات المحلية والإقليمية من خلال القوانين الدستورية. السلطات المحلية أو الإقليمية يكون لها حقوق ذاتية وصلاحيات للإدارة في جوانب أساسية سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وأمنية. وهذه الصلاحيات يتم تحديدها عبر الدستور. الأقاليم الفيدرالية لها أجهزة تشريعية وتنفيذية وكذلك قضائية. في يومنا الراهن هناك ٢١ دولة تتم إدارتها وفق نظام فيدرالي ومنها دول كبيرة مثل الولايات المتحدة



والتسامح

بشكل أكبر

مقارنة مع الدول

المركزية ذات النزعة

القومية. أما في الشرق الأوسط

فالوضع مختلف، لا يمكن أن نرى مثلاً

واحداً لدول تأسست اعتماداً على ثقافة التوافق

أو اعتماداً على عناصرها المحلية الداخلية. أما الدول

التي تشكل استثناءً مثل الإمارات العربية المتحدة التي

تشكل من ٧ إمارات محلية متحدة فهي لم تتشكل

بالاعتماد على عناصرها المحلية الداخلية. ولكنها

تشكلت من قبل الاستعمار البريطاني الذي كان يرغب

بصنع كيانات موالية لسلطته في ذلك الخليج. تم تأسيس

الإمارات العربية المتحدة وفقاً لاتفاقية الساحل المهادن

أو المتصالح. وكانت موالية للسلطة الإنكليزية في

شرق الهند في الفترة ١٨٧٣-١٩٤٧. وبعد هذه الفترة

أصبحت تدار من قبل وزارة الخارجية الإنكليزية. وفي

عام ١٩٧١ وبعد انسحاب إنكلترا من خليج البصرة قامت

هذه الولايات السبع بتشكيل اتحاد فيدرالي فيما بينها باسم

الولايات العربية المتحدة. وباستثناء هذه الحالة يمكننا

القول بأن كل الدول القومية التي تأسست في الشرق

الأوسط هي دول تميزت بالشخصية الفاشية والتي كانت

على الدوام تمارس سياسة الإنكار والإبادات الجماعية

والتصفية. كل الذين تناوبوا على السلطة لم يقبلوا إرادة

أي شعب أو مجموعات أخرى باستثناء أنفسهم. ولم

يسمحوا للفئات الأخرى بمشاركتهم في السيادة أو السلطة

أو إدارة المجتمع وكانوا يتخيلون أي مشاركة كأنها نهاية

لهم ولسلطتهم. هذه السلطات الفاشية ترى بأنه لا يوجد

أحد آخر غيرهم يحق له المشاركة في السلطة أو الإدارة

وتعتقد هذه السلطات الفاشية بضرورة العقاب الشديد

والقمع لأي فئة تسعى للسلطة أو الإدارة. أما الأشخاص

أو المجموعات التي تقاوم سياسة الإنكار والإبادة التي

اتحاد إلزامي دستوري. السلطة المركزية بدأت تضغط على الولايات وبالتالي اضطرت الولايات المتحررة من الاستعمار البريطاني إلى القبول بالمركزية. مع أن بعض الولايات قامت بالاحتجاج والتذمر ولكن مع مرور الزمن تم احتواء ردود أفعالها وتم دمجها في النظام الفيدرالي.

الكونفيدرالية السويسرية تم وضع أساساتها في عام ١٢٩١. الكانتونات الثلاثة المقاومة لنفوذ إمبراطورية روما- جرمانيا المقدسة اجتمعت ووقعت وثيقة الكونفيدرالية فيما بينها. ومع مرور الزمن انضمت كانتونات سويسرية أخرى بشكل طوعي للاتحاد الكونفيدرالي. شهد عام ١٨٤٧ صراعات ومعارك بين المؤيدين للكونفيدرالية والمؤيدين للسلطة المركزية. وانتصر المؤيدون للمركزية وتم وضع دستور جديد عام ١٨٤٨ وبموجبه تم تحويل النظام الكونفيدرالي إلى نظام فيدرالي.

الاتحاد الوطني الألماني تأسس في عهد بسمارك عام ١٨٧١ بقيادة بروسيا وذلك بفضل تطويرها وتبنيها لسياسات حربية حيل دبلوماسية، دسائس، وأخيراً عقد اتفاقيات. بروسيا وكونفيدرالية شمال ألمانيا اضطرت للكفاح والصراع لفترة طويلة من أجل تحقيق الاتحاد الفيدرالي الألماني. الإمارات المحلية كانت تتميز بكيانات مستقلة وكانت منقسمة لإمارات إقطاعية عديدة متصارعة فيما بينها لسنين طويلة. وانقسمت أيضاً لمذاهب كاثوليكية وبروتستانتية. السلطات المحلية لم ترغب في التنازل عن حقوقها في الإدارة. وقد تمكنت من الحفاظ على بعض من حقوقها الإدارية ولكن في النهاية ونتيجة الحروب والضغوط المستمرة نجحت الطبقات البورجوازية الحديثة في صهر هذه السلطات المحلية ضمن النظام الفيدرالي للدولة مع منحها بعض الحقوق الإدارية.

إذا عندما ندقق في تاريخ الدول الفيدرالية سنرى بأن الشعوب والمجموعات التي قاومت السلطة المركزية بشدة تمكنت في النهاية من فرض حقوق إدارية معينة على السلطات المحلية أو المركزية. أو نلاحظ بأن هذه الشعوب والمجموعات البشرية كانت تتجه للدخول في اتحادات واتفاقيات لمجابهة التحديات والأخطار الخارجية التي تهددها. من دون شك فإنه يمكننا القول بأن الدول ذات الأنظمة الفيدرالية تتمتع بالمرونة وبتقافة التوافق



الدولة لا تتصدق بالحقوق على أنها منحة ولا تضع لها حدوداً وأطراً متى ما شاءت. ولا تساوم على هذه الحقوق سواء أكانت كثيرة أم قليلة. فلكل قرية أو مدينة الحق، ولكل مجموعة من عشرة أشخاص وصولاً لفئة مجتمعية كبيرة الحق في إدارة نفسها بكل حرية وبالقدر الكافي من الخيارات. التنظيم يتم بالاختيار الديمقراطي المباشر للشعوب والمجموعات المحلية. الكونفيدرالية أيضاً تمثل شكلاً لتنظيم المجتمعات وعلاقتها والتي تلجأ لها الشعوب والمجموعات. الدول والشعوب والمجموعات والقطاعات الاجتماعية تجتمع فيما بينها وتشكل اتحادات كونفيدرالية. السمة الأساسية للكونفيدرالية أنه لا يوجد نص دستوري ملزم للأطراف. تقوم الأطراف بالاتفاق فيما بينها بشكل مؤقت أو دائم وفقاً لغايات محددة، وعندما تتضارب أو تتعارض مصالحها تنسحب من الاتفاقية. حيث أن أساس معنى كلمة الكونفيدرالية يعني عهد الأخوة. في الماضي كانت القبائل والعشائر تقوم بتنظيم مراسيم أداء اليمين لتوقيع اتفاقية عهد الأخوة أي الكونفيدرالية. عهد الأخوة كان اتحاداً يعتمد المساواة كأساس بين الأطراف المتفقة. اليوم هناك الاتحاد الأوربي ورابطة الدول المستقلة. وهذه الاتحادات تعتبر بمثابة شكل كونفيدرالي. الشيء الأساسي الذي تعتمده الكونفيدرالية هي المصلحة المشتركة والحقوق المتساوية. وبشكل عام فقد تشكلت الاتحادات الكونفيدرالية لمواجهة الضغوط والأخطار الخارجية.

نستنتج مما ذكرناه بأن الشكل التنظيمي لدولة أو شعب ما ينشأ نتيجة الظروف التاريخية والاجتماعية التي يمر بها. الأحداث التاريخية للمجموعات البشرية والشعوب، أشكال علاقاتها وتناقضاتها، وسائلها النضالية، موازين قواها، الاقتصاد، تطورها الثقافي والاجتماعي، وبنيتها الجغرافية. كل هذه الخواص تحدد أنظمة الإدارة لتلك الدول والمجموعات. إذا فالفيدرالية وأنظمة الحكم الذاتي ليست بدائل اختيارية أو كيفية، وإنما هي وسائل للحلول والإدارة تفرضها الظروف المجتمعية والنضالية للشعوب.

إضافة إلى ذلك لا يوجد شعب من صلب واحد في أية دولة. فجميع أفراد المجتمع لا يتمتعون بشكل واحد للحياة ولا يملكون اللون والميزات نفسها. إن المنطق الفاشي العنصري هو الذي يسعى لخلق شكل أو لون واحد للمجتمع. فالمجتمع يتكون من أفراد ومجموعات وفئات مختلفة. ميزاتهم الاجتماعية والثقافية مختلفة ولعنتهم أيضاً قد تختلف. كل مجموعة أو فئة بشرية وضمن إطار عام من القيم الديمقراطية ترغب في العيش وفقاً لغاياتها،

تمارسها السلطات الفاشية فيتم إعلانهم خونة للوطن ويتعرضون للحملات العسكرية والاعتقالات التي توصلهم لحبل المشنقة.

في العراق وبعد سقوط نظام صدام البعثي تم تأسيس النظام الفيدرالي. ولكن بسبب أن النظام الفيدرالي في العراق بني على أسس أثنوية ومذهبية فلم يجلب للعراق الاستقرار والبنية الديمقراطية المنشودة ليومنا هذا. فالعراق مازال يتأرجح بين الضغوط والممارسات المذهبية والطائفية للحكومة المركزية وبين الطموحات الانفصالية لإدارة إقليم كردستان. فالطرفان يتبنيان اتجاهات مذهبية وقومية ولذلك لم يتمكننا من تثبيت اتحاد فيدرالي ديمقراطي حقيقي في العراق. الهياكل الفيدرالية التي تستند لعقلية الدولة القومية أو السلطوية إنما يتمخض عنها الانفصال والتقسيم أو خيار الفرض بالقوة وهذا واضح من خلال الممارسات العملية في العراق مثلاً. وبالتالي فلا يوجد حل نهائي للمشاكل وإنما يوجد عراق ممزق بعيد عن الحل الدائم والنهائي.

كما أن كل شكل لتقاسم الواجبات والصلاحيات بين الإدارة المركزية والإدارات المحلية وفقاً للدستور لا يعتبر نظاماً فيدرالياً. فهناك مجموعات أو أقاليم ذاتية الحكم تتمتع بالصلاحيات أو الحقوق المحلية. الإدارة الذاتية يتم تعريفها على أنها فئة أو مجتمع أو مؤسسة لديها مبادرة لإدارة شؤونها ذاتياً ضمن إطار من الحقوق يتم تحديدها بالقوانين أو النصوص الدستورية. ولكن مفهوم الإدارة الذاتية يكون في إطار أصغر وأضيق فيما يخص الحقوق والصلاحيات مقارنة مع النظام الفيدرالي. الحكم الذاتي أو الإدارة الذاتية تسري على المجتمعات التي تعتبر أقلية وبالتالي تتمتع بقدر محدود من الحقوق الثقافية والاجتماعية أو أحياناً حقوق سياسية بشكل جزئي. وبحسب الظروف قد تكون حدود الحكم الذاتي أكثر أو أقل.

هنا تجدر بنا الإشارة أيضاً إلى أن أنظمة الحكم أو الإدارة الذاتية نفسها لم تشكل قوة لخلق تام للحلول وهذا يتضح من النتائج المتحققة من خلال هذه الأنظمة. أنظمة الحكم الذاتي الموجودة حالياً ستكسب معنى أكبر عندما تعتمد الإدارة الذاتية الديمقراطية كأساس أكثر من أخذها بالحلول المحدودة والضيقة الأفق. يجب فهم الإدارة الذاتية الديمقراطية على أنها قيام الفئات المجتمعية، الوحدات السكنية والقطاعات الاجتماعية بتنظيم أنفسها بشكل حر وديمقراطي من خلال شبكة علاقات أفقية. هذا النموذج يمثل كل وحدة مجتمعية وسكنية تقوم بتنظيم وإدارة نفسها بشكل حر في إطارها الطبيعي الذي تنسم به. في نموذج الإدارة الذاتية الديمقراطية

طموحاتها، ميزاتها الاجتماعية، الاقتصادية والفكرية. النظام الديمقراطي والحر يعني شعور وإحساس المجتمع نفسه بهذه الحرية وعيشها. الأنظمة الاجتماعية غير الديمقراطية تعتبر كل أفراد المجتمع متساويين وتسعى هذه الأنظمة لخلق نوع واحد من الأفراد لذلك تسمى هذه الأنظمة بالفاشية، غير الديمقراطية، والاستبدادية. بدون شك فرض أنظمة مستبدة على الشعوب بالقوة تنتكر للحقائق يعد خياراً قائماً ويلجأ له الكثيرون. ولكن هذا الفرض بالقوة نتيجته تكون دائماً الانتفاضات والمقاومة. الأنظمة الديمقراطية المعاصرة ولتحقق أهداف شعوبها في العدالة الاجتماعية، السلام، الأمان، الاحترام الديمقراطي والاتحاد قد قامت بتطوير أشكال تنظيمية لإداراتها الذاتية، الفيدرالية، الإقليمية، الوطنية، وإدارة الأقليات. على سبيل المثال فقد تمكنت كل من إسبانيا وإنكلترا من معالجة مشاكلها بهذه العقلية. فإسبانيا فيها سبع عشرة منطقة ذاتية الحكم مثل إقليم الباسك، كاتالونيا وغاليسيا. أما في إنكلترا فنرى ويلز، إسكتلندا وإيرلندا. وحتى الدولة الصغيرة سويسرا فيها ستة وعشرون كانتونا. وتحوي سويسرا ما مجموعه ٢٩٤٢ كومونا أو بلدية. أما بلجيكا مركز حلف الناتو فتعتمد ثلاث لغات رسمية وتحتوي ثلاث مناطق كأقاليم ذاتية الحكم. ألمانيا والتي يغلب عليها اللون القومي الواحد والشعب الذي يشترك كثيراً في المواصفات المجتمعية فيها نظام فيدرالي على أساس الولايات. الولايات المتحدة الأميركية تتألف من اثنتين وخمسين ولاية. مكتب الإحصاء السكاني في أميركا يشير إلى وجود حوالي ٨٤٩٥٥ إدارة أميركية ذاتية الحكم وهذا العدد يمثل المقاطعات، البلديات، البلديات الريفية، المناطق التعليمية والمناطق الخاصة. روسيا تضم ٨٥ إدارة مستقلة ما بين مناطق فيدرالية، مناطق حكم ذاتي أو ثقافي. الهند تضم ٢٥ إقليمًا، ٧ مناطق اتحادية والعشرات من المجموعات الثقافية التي تتمتع بنوع من الحكم الذاتي. جنوب إفريقيا مكونة من ١٠ مناطق حكم ذاتي وتعتمد ١١ لغة رسمية معترفة. العراق الدولة المجاورة لنا تدار بنظام فيدرالي اتحادي. بدون شك يمكننا ذكر العديد من الأمثلة ولكن من الواضح جداً بأن هناك اتجاه تصاعدي لتبني نماذج الأقاليم الفيدرالية ومناطق الحكم الذاتي. هذا النموذج بات مناسباً ليس فقط للأقليات والمجموعات الثقافية أو القومية، ولكن بات خياراً مناسباً للفئات الاجتماعية المختلفة وحتى للمؤسسات الاقتصادية. فالاتحاد الأوروبي أقر في أكتوبر عام ١٩٨٥ بمدينة ستراسبورغ الميثاق الأوروبي للحكم الذاتي المحلي وذلك لخدمة الأهداف الديمقراطية في أوروبا.

قوة الحل الفيدرالي الديمقراطي في سوريا الدول القومية التي تأسست في الشرق الأوسط عموماً وبشكل خاص في العالم العربي ونتيجة لواقعها الاجتماعي تسببت بالكثير من المتاعب لشعوبها ومجتمعاتها. وهذا واضح ومفهوم بشكل كبير من خلال التطورات التي حصلت في آخر ٢٠-٣٠ سنة في هذه المنطقة. الشعوب العربية التي تنتشر في شبه الجزيرة العربية وصولاً لجغرافية ميزوبوتاميا ( ما بين النهرين ) لديها تاريخ مشترك وثقافة وهوية مشتركة منذ مئات السنين. العالم العربي تعرض للانقسام والصراع الداخلي في القرن العشرين بشكل لم يشهد له مثيل في تاريخ هذه الأمة. الإمبراطوريات الأموية والعباسية كانتا تعتمدان في انتشارهما على نفوذ وسلطات الفئات العربية القوية. وحتى في ظل حكم العثمانيين استطاع العرب الحفاظ على وحدتهم الثقافية والاجتماعية. وكما حصل مع الكرد فقد تعرض العالم العربي للكوارث والانقسامات بظهور نموذج الدولة القومية. تعرضت الشعوب والمجتمعات العربية في هذه الحقبة لمختلف أنواع وأشكال الاضطرابات من التقسيم لأكثر من عشرين دولة، خلق العداوات نتيجة خلق حدود اصطناعية، الاستبداد، استعباد الشعب من خلال إغراقه في الجهل، والتخريض على الطائفية، القيام بحملات القتل الطائفي والمذهبي، إنكار حقوق وثقافة بقية الشعوب، تعريب الأقليات ومحاولة دمجها، والقيام بمجازر وحملات القتل والتطهير. باختصار شهد القرن العشرون مختلف أساليب الاضطهاد والقمع في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية من قبل الدول القومية الاستبدادية. وسوريا أيضاً تعرضت لمشاكل مماثلة نتيجة وصول نظام البعث إلى الحكم.

والنتائج واضحة للعيان في وضع سوريا الحالي، مدن تعرضت للدمار، مئات الآلاف من الضحايا، ملايين المهاجرين ومستقبل غامض مازال ينتظر هذا البلد. وباستثناء الحركة التحررية الكردية فبقية الأطراف منهكة بالقتال وليس لديها أي برامج أو مقترحات للحل أو لإيقاف الحرب. فالنظام يصّر على البنية القديمة الفاشية للدولة. وأفضل عرض يقدمه النظام البعثي هو عودته لما تسمى بالمعارضة السورية ببعض المناصب في حكومة ما، علماً بأن الأفراد والمجموعات الموالية لما تسمى بالمعارضة إنما تتحرك وفقاً لأجندات خارجية لبعض الدول. كما أن المجموعات التي تدعي أنها معارضة لا تملك برامج ومقترحات واضحة وجدية فيما يخص الديمقراطية للمجتمع السوري. الهدف الأساسي لهذه المجموعات هو أن تأخذ مكان نظام بشار



يوجد مفهوم اللغة الرسمية أو غير الرسمية. كل لغة تكون شرعية في كل مجالات الحياة. كما أن لكل شعب أو مجموعة الحق في البحث عن تاريخها وتطوير ثقافتها وحمايتها كضرورة تفرضها الحرية الديمقراطية في الحياة. نموذج الفيدرالية الديمقراطية هو أكثر نظام مجتمعي حقيقي يكفل جميع هذه الحريات.

نظام الفيدرالية الديمقراطية هو النظام الوحيد الذي يكفل للمناطق المحلية، القرى والمدن تنظيم نفسها على أساس الإدارة الذاتية الديمقراطية. لأن الفيدرالية الديمقراطية تتشكل من القرى، المدن والمناطق ذاتية الحكم. كل وحدة أو منطقة سكنية ستعيش وفقاً لهويتها الحرة وأسلوب إدارتها الديمقراطي الذي ترغب فيه.

في ظل الظروف الحالية لا يمكن الحديث عن وجود للتعاون الاجتماعي أو عن وحدة الأراضي السورية. فقات النظام السوري تسيطر على جزء من الأراضي السورية وتسعى للسيطرة على مناطق أخرى من خلال العمليات العسكرية. ولكن في الوقت نفسه هناك قوى مسلحة مختلفة ومتعددة تسيطر على مناطق متفرقة من سوريا. هذا الواقع الحالي لا يمكن تجاوزه إلا من خلال المصالحة الفيدرالية الديمقراطية هي الأرضية الأنسب لهذه المصالحة الاجتماعية. وبالارتباط مع هذا الوضع فقد أعلنت الفيدرالية الديمقراطية لروح آفا- شمال سوريا عن نفسها. الفيدرالية الديمقراطية: يمكن تعريفها على أنها اتحادات طوعية تنشأ بين الشعوب والمجتمعات وفقاً لأهداف اجتماعية ديمقراطية على أساس اتفاقية معاهدة محددة فيما بينها. الميزة الأساسية للفيدرالية الديمقراطية هي تواجد الأعضاء المشاركين ضمن الاتحاد مع الحفاظ على هوياتهم وكياناتهم القانونية. فالأعضاء ينضمون للاتحاد مع الحفاظ على حقوقهم الأساسية. ولكن لا يتنازلون عن بنيتهم الحرة الديمقراطية. لا يكون أحد الأطراف مجبراً. فلا توجد إملاءات ظالمة وقمعية أو من جانب واحد من قبل السلطة المركزية. اعتماد الفيدرالية الديمقراطية كنظام سياسي وتفضيله مقارنة بالأنظمة السياسية الأخرى إنما ينبع من محتواها الديمقراطي العملي. لأن دستور الفيدرالية الديمقراطية لا يلزم الأطراف عنوة في حال وجود مظالم. فالاتفاقية بين مختلف الفئات الاجتماعية تكون على أساس القيم الديمقراطية الحرة والمصالح المشتركة. بدون شك الدستور يكون ملزماً في نظام الفيدرالية الديمقراطية. فوجود اتفاقية ديمقراطية للحفاظ على تماسك المجتمعات ضروري وإلزامي. ولكن الجانب الإلزامي لهذا الدستور يكون لغرض الحقوق والقيم الديمقراطية الأساسية. في هذا الخصوص تكون

الأسد لتستمر بنفس العقلية ونفس الممارسات الإقصائية لنظام البعث.

في حين أنه من الضروري فتح صفحة جديدة في سوريا بعد كل هذه الكوارث. صفحة بيضاء تعبر عن ميلاد جديد لشعب ومجتمع سوري حر. بداية يجب أن يشمل التجديد العقلية السورية. الحقبة الجديدة يجب أن تعني للشعب والمجتمع العيش سوياً في سوريا بمزيد من مشاعر الأخوة. الحقيقة هي أن المواقف والممارسات السلبية مثل التمييز، العداوة، الإقصاء، الحرب والعنف إنما لا تنشأ بسبب الشعوب. الذين يحرضون على هذه الممارسات ويسعون لتحويلها إلى سياسة دائمة هي الدول والسلطات التي تعتمد على السيادة الرأسمالية. الشعوب السورية في المرحلة الجديدة يجب أن تضع حداً لهذا. من الواضح أن هناك حاجة ملحة لنهضة تنويرية في مجال العقلية الفكرية. يجب أخذ القيم الديمقراطية الجديدة كأساس لخلق حياة وثقافة جديدة تعتمد على مبدأ الأخوة في المجتمع. هذا التقليد موجود تاريخياً وبكل قوة في ثقافة الشرق الأوسط. حصر الشعوب في حدود ضيقة وصغيرة، العيش في دولة وسط أسلاك شائكة وأبراج مراقبة للحدود لم يكن أبداً خياراً مرغوباً للشعوب. هذا النوع من الحدود السياسية والعسكرية المرسومة نشأت من خلال اتفاقية سايكس- بيكو. لذلك يجب أولاً تجاوز هذه العقلية وتجاوز هذا الفكر.

و انطلاقاً من ذلك فالأزمة في سوريا لا يمكن تجاوزها وعلاجها بالمسكنات والأسبيرين. بعد الآن لا يمكن الوصول إلى حل للمشاكل مع نظام البعث كما أن المفاهيم المشابهة للبعث أيضاً لن تكون حلاً للمشاكل المزمنة التي تعاني منها سوريا. ففي سوريا تعمقت التناقضات والصراعات كثيراً. الصراع وعدم الثقة المتبادلة بين المذهبين العلوي والسني يمثل مشكلة جدية تراكمت تاريخياً. أنصار كل مذهب لا يقبلون العيش في ظل سلطة المذهب الآخر وحكمه. فقد انعدمت الظروف المشجعة لذلك. أنصار كل طائفة أو دين أو معتقد يرغبون في أن يعيشوا حريتهم وهويتهم في ظل الظروف الديمقراطية للمجتمع. والنموذج القابل للتطبيق في هذه الحالة هو الفيدرالية الديمقراطية. لأنه في ظل نظام الفيدرالية الديمقراطية يكون لكل دين ولكل معتقد كامل الحرية. الإدارة لا تميل لأي معتقد أو دين أو مذهب، ولا تتحدث باسم أي منها. كل شعب وكل فئة تستطيع أن تمارس حريتها الدينية ومعتقداتها بكل حرية. الفئات الشعبية من كل الثقافات واللغات والهويات تستطيع ممارسة حرياتها وتطوير نفسها والتعبير عن رأيها بكل حرية. في نظام الفيدرالية الديمقراطية لا

الديمقراطية أهمية كبرى في العصر الحديث لأنها لا تعتمد فقط على الدول القومية وإنما تستمد قوتها من الشعب. وستكون لهذه الأنظمة أهمية حياتية مصيرية ومعنى كبير في حل المشاكل المجتمعية. هذا النظام سيكون صالحاً ليس فقط في سوريا وإنما سيشكل حلاً للمشاكل المجتمعية والتاريخية التي تنقل الشرق الأوسط. وفي ضوء هذه التعريفات سيكون للهيكل الفيدرالي الديمقراطي الذي سيتم إنشاؤه في سوريا أهمية عظيمة في تنظيم الأسس الواقعية المناسبة لاحتياجات المجتمع والوصول للبنية العملية الصحيحة لتحقيق هذا الهدف. المهمة المثيرة للاهتمام والتي يجب اعتبارها أولوية في هذا الهيكل هو الحد من حجم آليات الإدارة المركزية ووضع حدود واضحة لحكمها. فليس من المقبول كما كان سائداً في الماضي أن يكون للمركز السلطة المطلقة أو ٩٩٪ من السلطة في الدولة. فالسماح من جديد بإنشاء دولة مركزية لها السلطة المطلقة سيعيق من جديد التحرر المجتمعي. الهياكل الكلاسيكية التقليدية للدولة المستبدة بدأت تتلاشى وتنتهار. فالهدف الأساسي ليس إحلال أنظمة أخرى مشابهة لتلك المنهارة المتلاشية، بل الهدف هو تطوير البنية الديمقراطية المجتمعية. فإذا ما قمنا بتحديد نسب السلطات مثلاً فسيمنح النظام الفيدرالي الجديد للمركز ثقلاً يعادل الثلث، أما ثقل المناطق والمجموعات والقاعدة الشعبية فسيشكل نسبة الثلثين من السلطة بشكل تقريبي. ففي الأساس الميزة الرئيسية للهياكل الفيدرالية هي توزيع قوة المركز، بحيث تستطيع كل منطقة وكل مجموعة أن تدير نفسها بنفسها. لقد أصبح من غير المعقول كما في السابق أن يتم وضع الخطط واتخاذ القرارات من قبل مركز واحد أو من قبل مجموعة صغيرة من السلطويين. فالخطط والقرارات الأساسية يتم اتخاذها من خلال صيغ التوافق والإجماع التي تطورها القوى الفيدرالية فيما بينها. فالركن الأساسي للقرار والإدارة هو للمجموعات والمناطق الفيدرالية. الإدارة الفيدرالية مسؤولة فقط عن تأمين الانسجام وتطوير التنسيق بين المناطق الفيدرالية. أي أنها تلعب دور مركز التنسيق. فلا تتدخل في الأمور الخاصة بالمجتمع والتي لا تخصها. لا تتدخل في الشؤون الداخلية للمجتمع. ولا تشكل طرفاً في الأنشطة السياسية. ولا تقوم بدور المتحدث نيابة عن أي مجموعة أو فئة مجتمعية ولا تساعد على تفوق طرف على طرف آخر. حيث تحافظ على حياديتها ووقوفها العادل المتساوي من جميع فئات المجتمع. فهي تؤدي الواجبات التي أعطيت لها من قبل السلطات الديمقراطية.

الإدارة الفيدرالية سيكون لها ثلاث وظائف رئيسية.

هناك حاجة لجانب إلزامي. على سبيل المثال: في الدستور الجديد لو تم ذكر التالي ( في النظام الاجتماعي الوطني الديمقراطي لسوريا الجميع لهم الحق في تطوير لغتهم وثقافتهم بشكل حر ) فهذا يعني إلزام دستوري. فكل الفئات الاجتماعية والطبقات الإدارية التي تعيش في سوريا ستكون ملتزمة وستتبع هذا الحكم الدستوري. بهذا الحكم سيكون دستور الفيدرالية الديمقراطية ليس الطرف الحامي للمظالم والاستبداد، ولكن سيقف في وجه هذه التصرفات وسيحتوي على الضمانة اللازمة للحقوق الأساسية لمختلف فئات المجتمع.

بالتالي فالفيدرالية الديمقراطية: نظام اجتماعي ديمقراطي يعتمد على الفئات الاجتماعية، الشعوب والمجموعات. تستند إلى وجهة نظر عالمية معينة، تستند على فلسفة نظام اجتماعي ديمقراطي ذات قوة فكرية نظرية. تستند على الاتحاد الطوعي للمجموعات والشعوب، إنه نظام اجتماعي ديمقراطي يضمن لكل مجموعة العيش بكل حرية ويحفظ لها هويتها وكرامتها وفقاً لنظام عادل وعلاقات متوازنة فيما بينها. في ظل هذا النظام لا يسمح بممارسة الحكم والوصاية على الشعوب والمجموعات. ولا يسمح بجعلها تابع يذعن للأوامر وينفذها. فمن ناحية يتم تأسيس روابط قوية وعميقة بين مختلف المجموعات والفئات المجتمعية على أساس الأخوة والحقوق المتساوية، ومن ناحية أخرى كل فئة أو مجموعة تتمكن من إحياء هويتها وتمتع بحريتها وتطلعاتها الشخصية. لهذه الأسباب الفيدرالية الديمقراطية هي الطريق الأمثل لتثبيت الحرية المطلوبة والضرورية بين مختلف المجتمعات والمناطق. ففي الوقت الذي يتطلب من كل من منطقة ووحدة سكنية الاكتفاء الذاتي من خلال الفيدرالية الديمقراطية يتم تجاوز الإطار المحلي الضيق وكذلك يتم التهرب من الارتباط العالمي والوطني المفرط. فكل مجموعة تتمكن من الحفاظ على هويتها وكماليتها وفي الوقت نفسه تنضم وبشكل متواز إلى جسم أكبر يستطيع تحقيق بيئة اجتماعية ديمقراطية أكبر. القرار والنقاش والقول الأخير هنا هو للمجموعات البشرية. الأساس في النظام الفيدرالي الديمقراطي يكون فرض خيار الديمقراطية من الأسفل أي من القاعدة. هذا النظام يعطي اعتباراً مهماً للاختلافات الطبقية والدينية والعرقية الموجودة في الأساس المجتمعي. إضافة صفة الديمقراطية لمفهوم الفيدرالية ينبع من الفلسفة والمفهوم لهذا المجتمع الديمقراطي. بهذه الصفة يتضح الفرق بين النظام الفيدرالي والاتحادي من جهة وبين أسلوب الدولة الأوليغارشية ( حكم الأقلية) من جهة أخرى.

و بالتالي سنكتسب الأنظمة الفيدرالية والذاتية



لسنوات طويلة ونجحت في العيش والاستمرار كدولة حيادية ومحترمة ومسالمة في شتى الظروف. من خلال الأمثلة والتجارب السابقة نستنتج بأن وجود الجيش النظامي من عدمه يمثل موضوعاً جدياً قابلاً للنقاش. وإذا كان هناك حاجة ضرورية للجيش لغاية الأمان فيمكن استمرار وجود الجيش ولكن كمؤسسة صغيرة متواضعة. قد تكون هناك حاجة لوجود مركز دفاعي ليقوم بمنع التسرّيبات الحدودية لبعض النوايا المبيتة، أو ليقوم الجيش بمهمة التوجيه والتنظيم لقوات الدفاع في إطار مؤسساتي في مواجهة التحديات والتهديدات الخارجية.

الوظيفة الرئيسية الثانية للإدارة الفيدرالية الديمقراطية هي: تنسيق الأنشطة والقطاعات الاقتصادية الكبيرة مثل: البترول، المياه، المواصلات، الطاقة، التجارة الخارجية. والتي تخص عموم المجتمع وتتجاوز صلاحيات وحدود المناطق الصغيرة. فالإدارة الفيدرالية مسؤولة عن المصادر والثروات الوطنية وحمايتها وتوزيعها بشكل عادل وتطوير الانسجام المطلوب المشترك لإدارتها. كما أن الإدارة الفيدرالية مكلفة بإنشاء صناديق مشتركة وعرضها للاستخدام المجتمعي حين تظهر الحاجة لهذه الصناديق. الإدارة المركزية والتنفيذية في هذه الحالات ليست صاحبة القرار بل هي قوة تطبيقية.

الوظيفة الرئيسية الثالثة للإدارة الفيدرالية الديمقراطية هي: متابعة تنفيذ القرارات التي تتخذها آليات المجتمع الديمقراطي مثل السلم والحرب، الانضمام للمواثيق الدولية أو الانسحاب منها، تحديد السياسة الاستراتيجية والتأكد من وضعها قيد التنفيذ. هنا يجب الانتباه لنقطة مهمة وهي أن البيروقراطية الإدارية لا تحدد السياسات الدولية ولا تتخذ القرارات. فقرة البت في القرارات وتحديد السياسات هي من حق المجتمع ومؤسساته الديمقراطية. السلطة التنفيذية للفيدرالية الديمقراطية هي المكلفة بتطبيق هذه السياسات والإيفاء بمتطلباتها العملية. من الواجب القيام برسم حدود الصلاحيات والوظائف الرئيسية للإدارة الفيدرالية الديمقراطية على هذا الشكل المذكور أعلاه.

أولها: توفير الأمان في حال التعرض لخطر أو تهديد خارجي. يمكن أن نقول عن هذه المهمة حراسة الحدود مثلاً. وعند تنفيذ هذه المهمة يجب عدم الإفراط في حشد ميزانيات مالية كبيرة وجيوش ضخمة. الدروس الأخيرة التي نشهدها في الشرق الأوسط هي أن معظم الدول لم تفلح في حماية حدودها بشكل رادع. فنظام صدام كان لديه جيش كبير وميزانية ضخمة ولكنه لم يصمد أمام التدخل العسكري الأميركي شهراً واحداً. هذه الحقيقة باتت واضحة من خلال الأحداث الجارية في كل من مصر، سوريا وليبيا. وحتى الجيش التركي أصبح عاراً على الدولة. فالجيش التركي يخطط دائماً للانقلاب العسكري ليستولي على السلطة. حيث

أن الجيش لم يساهم في تحقيق الأمان للمجتمع التركي بل كان دائم التوظيف لهذه القدرة العسكرية الكبيرة من أجل ممارسة الاستبداد والقمع على المجتمع، ودائماً يقوم بالانقلاب على السلطة الشرعية وينشئ سلطات موالية لقيادات الجيش. إذا الجيوش الكبيرة لم تساهم في حماية الدولة وتوفير الأمان للمجتمع وأصبحت تشكل تهديداً داخلياً ضد النظام الديمقراطي وضد تطلعات الشعب. ويمكن اعتبارها قوة استعمارية داخلية. ومن خلال الأمثلة عن تركيا وأنظمة البعث في المنطقة سنلاحظ بأن الجيوش أصبحت عدواً حقيقياً لشعوبها. وبدلاً من أن تقوم بحماية الدولة من التهديد الخارجي فقد أضحت أكبر خطر داخلي ومصدراً للتهديد والمشاكل داخلياً.

فئات الشعب الواعية التي تعيش في ظل نظام اتحادي ديمقراطي حرّ هي التي تشكل وسيلة الأمان والحماية للدولة والمجتمع. في هذا النوع من المجتمع الديمقراطي ليس هناك حاجة لهذه الجيوش الكبيرة. وفي حال وجود تهديد محتمل فإن آليات وردود الفعل للمجتمع الديمقراطي تحرك روح التعبئة للشعب ليقوم بحماية نفسه وأفرادها. فالمقاومة في هذه الحالة تنشأ ليس نتيجة وجود الجيش وإنما نتيجة للإرادة الحرة للأشخاص والمواطنين الذين يرفضون الخضوع للظلم والاستبداد. أما الجيش فيكسب معناه الحقيقي عندما يساهم في تحقيق هذه التعبئة وهذا التنظيم لدى الأفراد. في أوروبا الكثير من الدول الصغيرة لا تمتلك جيوشاً. سويسرا دولة صغيرة وليس لديها جيش ومع ذلك لم تدخل في صراعات وحروب

**فئات الشعب الواعية التي تعيش في ظل نظام اتحادي ديمقراطي حرّ هي التي تشكل وسيلة الأمان والحماية للدولة والمجتمع. في هذا النوع من المجتمع الديمقراطي ليس هناك حاجة لهذه الجيوش الكبيرة. وفي حال وجود تهديد محتمل فإن آليات وردود الفعل للمجتمع الديمقراطي تحرك روح التعبئة للشعب ليقوم بحماية نفسه وأفرادها**

## العقد الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا



### الديباجة

ستشكل كافة شرائح الشعب تنظيماتها ومؤسساتها الديمقراطية، وفي مقدمتهم المرأة والشبيبة، كما يكفل النظام الفيدرالي الديمقراطي ممارسة جميع الأنشطة السياسية والاجتماعية والثقافية بحرية، والتمتع بكل المميزات التي توفرها الحياة الندية الحرة والتمساوية. كما يعتمد النظام الفيدرالي الديمقراطي لشمال سوريا في هذا العقد على قيم الحضارة الديمقراطية المعنوية والمادية للشرق الأوسط. وبالإرادة الحرة لجميع مكونات شمال سوريا ووفق مبادئ الأمة الديمقراطية تم التوافق على هذا العقد.

نحن شعوب روج آفا - شمال سوريا من الكرد والعرب والسريان الآشوريين والتركمان والأرمن والشيشان والشركس، مسلمين ومسيحيين وإيزيديين وبمختلف مذاهبنا وطوائفنا، نعي بأن الدولة القومية جعلت كردستان وبيت نهرين وسوريا مركزاً للفوضى التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، وجلبت المشاكل والأزمات الحادة والمآسي لشعبونا.

إن النظام القومي الاستبدادي الذي مارس ويمارس الظلم والجور بحق شعبنا السوري بمختلف مكوناته هو الذي أوصل البلاد إلى حالة الدمار والخراب والتمزق في النسيج المجتمعي، وللخروج من هذه الفوضى نجد أن نظام الفيدرالية الديمقراطية هو النظام الأمثل لمعالجة القضايا التاريخية والاجتماعية والقومية في سوريا.

الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا متأسسة على مفهوم جغرافي ولا مركزية سياسية وإدارية، وهي جزء من الفيدرالية الديمقراطية السورية الموحدة.

النظام الفيدرالي الديمقراطي التوافقي الذي يضمن مشاركة كل الأفراد والجماعات وعلى قدم المساواة في النقاش والقرار والتنفيذ وبراغي الاختلاف الاتني والديني وفق خصائص كل مجموعة منظمة على أسس العيش المشترك وأخوة الشعوب، ويكفل مساواة جميع الشعوب في الحقوق والواجبات، ويحترم موثيق حقوق الإنسان ويحافظ على السلم الأهلي والعالمي.

وفي ظل النظام الفيدرالي الديمقراطي التوافقي

### الباب الأول

#### مبادئ عامة

#### المادة / ١ /

تسمى هذه الوثيقة العقد الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا وتعتبر الديباجة جزءاً لا يتجزأ من هذا العقد.

#### المادة / ٢ /

نظام الفيدرالية الديمقراطية لشمال سورية يعتمد النظام الإيكولوجي والديمقراطي وحرية المرأة.

#### المادة / ٣ /

تستمد الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا شرعيتها من إرادة الشعوب والمجموعات من خلال الانتخابات الحرة والديمقراطية.





البيئية والاقتصاد المجتمعي أساساً، ولا تسمح بالاستغلال والاحتكار وتشبيهي المرأة، وتعمل على تحقيق الضمان الصحي والاجتماعي لكل الأفراد.

المادة / ١٢ /

تعتمد الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا نظام الرئاسة المشتركة في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والإدارية وغيرها وتعتبرها مبدأ أساسياً في التمثيل المتساوي بين الجنسين وتساهم في التنظيم وتكريس النظام الكونفدرالي الديمقراطي للمرأة ككيان خاص بها.

المادة / ١٣ /

ضمان حرية وحقوق المرأة في المجتمع والمساواة بين الجنسين.

المادة / ١٤ /

تتمتع المرأة بإرادتها الحرة في العائلة الديمقراطية التي تؤسس على أساس الحياة الندية المشتركة.

المادة / ١٥ /

تعتبر الشبيبة القوة الفعالة والطلعية في المجتمع وتضمن مشاركتهم في كافة مجالات الحياة.

المادة / ١٦ /

التمثيل العادل لجميع المكونات الإثنية في جميع المؤسسات الإدارية التابعة للفيدرالية حسب الديمغرافية المناطقية.

## الباب الثاني

### الحقوق والحريات العامة

المادة / ١٧ /

«الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» تلتزم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وجميع لوائح حقوق الإنسان ذات الصلة.

المادة / ١٨ /

حق الحياة حق أساسي ومصان بهذا العقد الذي لا يجيز إقرار عقوبة الإعدام.

المادة / ٤ /

كل اللغات الموجودة في جغرافية شمال سوريا متساوية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، التعليمية، الثقافية والتعامل الإداري. وكل شعب ينظم حياته ويسير أموره بلغته الأم.

المادة / ٥ /

يكون للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا وإداراتها مركز وعلم خاص يرفع إلى جانب علم فيدرالية سوريا الديمقراطية ولها شعار وينظم بقانون.

المادة / ٦ /

القسم

( أقسم بالله العظيم وبدماء الشهداء أن ألتزم بالعقد الاجتماعي ومواده وأن أحافظ على الحقوق الديمقراطية للشعوب وقيم الشهداء، وأصون حرية وسلامة وأمن مناطق الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا وأحافظ على سوريا الاتحادية، وأن أعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وفق مبدأ الأمة الديمقراطية ) .

المادة / ٧ /

تتكون «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» من أقاليم مبنية على الإدارات الذاتية الديمقراطية المعتمدة على التنظيمات الديمقراطية للمجموعات العرقية والأثنية والنسائية والثقافية، ولجميع الشرائح الاجتماعية.

المادة / ٨ /

ترتكز «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» على المجتمع المنظم والفرد الحر، وتتخذ من التنظيمات المحلية للشعوب والمجموعات والمكونات أساساً لها ضمن هذا الإطار.

المادة / ٩ /

تتخذ الحياة الديمقراطية والبيئية والمجتمعية أساساً لبناء مجتمع ديمقراطي يبني من أجل منع التعامل الجائر مع الطبيعة ونهبها وتدميرها.

المادة / ١٠ /

ترسيخ العيش المشترك وفق مبادئ الأمة الديمقراطية المفعممة بروح التأخي فيما بين جميع الشعوب والمجموعات في شمال سورية ضمن نظام مجتمعي ديمقراطي حر وعادل.

المادة / ١١ /

تقوم «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» على مبدأ جعل الأرض والماء والطاقة كوموناً، وتعتمد الصناعة

المادة / ١٩ /

كرامة الإنسان مصانة ولا يجوز تعذيب أحد نفسياً أو جسدياً ويعاقب فاعلها.

المادة / ٢٠ /

للشعوب والمجموعات و الفئات المجتمعية حقها في تنظيم نفسها بحرية. ويُعد القمع والصحرة والإذابة الثقافية والإبادة والاستعمار جُرمًا ضد الإنسانية. ولها الحق المشروع في مقاومة ذلك .

المادة / ٢١ /

كل إقليم أو مجموعة لها الحق في البتّ في الأمور والشؤون التي تعنيها على ألا تتعارض مع هذا العقد.

المادة / ٢٢ /

للجميع الحق في حرية العقيدة والضمير والفكر، والحق في تنظيم نفسه والتعبير عن الذات.

المادة / ٢٣ /

للجميع حق المشاركة في الحياة السياسية، والترشح والانتخاب حسب القانون.

المادة / ٢٤ /

لا يجوز إهانة أي شخص أو إقصاؤه بسبب الاختلاف في اللون أو الجنس أو العرق أو الدين أو المعتقد.

المادة / ٢٥ /

تعتبر ممارسة العنف ضد المرأة أو استغلالها أو فرض التمييز السلبي عليها جُرمًا يُعاقب عليه القانون.

المادة / ٢٦ /

للمرأة حق المشاركة المتساوية في كافة مجالات الحياة ( السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإدارية وغيرها) واتخاذ القرارات المعنية بشؤونها.

المادة / ٢٧ /

للشبيبة الحق في تنظيم أنفسهم بشكل خاص شبه مستقل، وأخذ مكانهم الفعال في كافة مجالات الحياة.

المادة / ٢٨ /

كل متهم بريء حتى تثبت إدانته.

المادة / ٢٩ /

لا يجوز دخول أو تفتيش الأماكن الخاصة أو دور السكن إلا بإذن قضائي وفي حالات الجرم المشهود.

المادة / ٣٠ /

لا تُقيد الحرية الفردية دون مستند قانوني.

المادة / ٣١ /

حق الدفاع عن النفس حق مقدس، ولا يمكن تقييده. ويكفل القانون للجميع الحق بالتقاضي.

المادة / ٣٢ /

للجميع الحق في العيش ضمن مجتمع بيئي سليم.

المادة / ٣٣ /

للمجموعات والمكونات الثقافية والأثنية والدينية الحق في تسمية إداراتها الذاتية، والحفاظ على ثقافتها، وتشكيل تنظيماتها الديمقراطية. ولا يحق لأي أحد أو مكون أن يفرض عقائده على الغير إكراها.

المادة / ٣٤ /

التعليم مجاني في جميع مراحلها، والتعليم الابتدائي والمتوسط إلزامي.

المادة / ٣٥ /

لكل مواطن الحق في العمل والرعاية الصحية والتنقل والحصول على سكن.

المادة / ٣٦ /

ضمان حقوق الكادحين في العمل والحياة الاجتماعية ودعم تنظيماتهم وينظم ذلك بقانون.

المادة / ٣٧ /

يكفل القانون حرية الإعلام والصحافة والنشر.

المادة / ٣٨ /

للجميع الحق في الحصول على المعلومة والوصول إليها.

المادة / ٣٩ /

للجميع الحق في تطوير ونشر أنشطته الثقافية والفنية.

المادة / ٤٠ /

لكل إنسان الحق في طلب اللجوء الإنساني والسياسي ولا يُعاد اللجوء السياسي لبلده دون رضاه.

المادة / ٤١ /

الثروات والموارد الطبيعية ثروة عامة للمجتمع ينظم استثمارها وإدارتها وشروط التصرف بها بشكل عادل بقانون.

المادة / ٤٢ /

يحق الاستثمار في المشاريع الخاصة التي تراعي التوازن البيئي، وتقدم الخدمات اللازمة للتنمية الاقتصادية، وتهدف إلى تلبية الاحتياجات الاجتماعية، وتساهم في تفعيل وتكريس الأنشطة الاقتصادية المجتمعية.

المادة / ٤٣ /

حق الملكية الخاصة مصان بشكل لا يتعارض مع



المصلحة العامة وينظم بقانون.

المادة / ٤٤ /

مشاركة جميع المواطنين في الدفاع المشروع عن  
الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا أو فيدرالية سوريا  
الديمقراطية حق وواجب لردع أي هجوم.

المادة / ٤٥ /

ضمان حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، و تأمين  
الحياة اللائقة والكرامة للعجزة والمسنين.

المادة / ٤٦ /

حقوق الأطفال مصانة، ويمنع تشغيلهم واستغلالهم.

والمبادئ المعنية بالحياة الديمقراطية الحرة.

المادة / ٥٠ /

يتم تشكيل جميع المجالس وفق الأسس التالية:  
تتكون المجالس من عدد كاف من الأعضاء  
المنتخبين حسب الكثافة السكانية بنسبة ستون بالمئة  
(٦٠٪) من الممثلين الحائزين على أصوات الشعب  
الناخب لهم بصورة مباشرة، وأربعون بالمئة (٤٠٪)  
من الممثلين الذين تنتخبهم المكونات والمجموعات  
والشرائح الاجتماعية فيما بينها وتنظم بقانون خاص وفق  
الديمقراطية التوافقية

□ - لا يحق لأي عضو في المجالس والهيئات  
التنفيذية الترشح للرئاسة المشتركة بعد إشغاله المنصب  
لدورتين متتاليتين.

□ - مجلس القرية أو الحي أو البلدة أو الناحية أو  
المنطقة أو المقاطعة يتشكل من الممثلين الذين تنتخبهم  
المجموعات الأثنية أو العقائدية أو الثقافية أو الشرائح  
الاجتماعية أو الكومونات فيما بينها بشكل ديمقراطي  
ضمن حدودها. وتحدد مدة الدورة الانتخابية بنظام داخلي  
من قبل المجالس.

□ - يقوم بانتخاب عدد كافٍ من أعضاء الهيئة  
التنسيقية في الحي والبلدة والهيئة التنفيذية للناحية  
والمنطقة، وينتخب الرئيسين المشتركين له. وينظم  
أنشطته من خلال اللجان.

□ - يصادق على أعضاء أجهزة العدالة وإدارة  
الأمن الداخلي ويقوم المجلس بالإشراف عليها .

## الفصل الثاني

### مجالس المقاطعات

المادة / ٥١ /

يطلق اسم المقاطعة في نظام مجتمع «الفيدرالية  
الديمقراطية لشمال سوريا» على التكامل العضوي الذي  
تشكله المدن مع الأرياف التي تنضوي ضمن حدودها.

□ - مجلس المقاطعة هو الجهاز التشريعي المنتخب  
بالتصويت الحر للشعوب والمجموعات، ويتشكل وفق  
أصول قوانين الانتخابات، و يتكون من عدد كافٍ من  
الأعضاء حسب الكثافة السكانية وحجم المقاطعة.

□ - يرسم السياسات المعنية بعموم المقاطعة، ويتخذ

المادة / ٤٩ /

المجالس :

هي الوحدات المجتمعية التي تمثل الشعب، والتي  
تتداول شؤونها وتبت في أمورها وتحدد سياساتها  
بشأنها، بدءاً من القرى و الأحياء والبلدات والنواحي  
والمناطق. وتمتن حماية المجتمع، وتضمن استدامة  
وجوده، وتؤمن تحقيق أهدافه في المجالات السياسية  
والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وتنظم المجتمع  
بتمكن الديمقراطية المباشرة في آلياتها، وتضع القواعد

الداخلي والصحة والتعليم والدفاع والثقافة. وهي تتمتع بالحقوق والصلاحيات المحددة ضمن إطار القوانين التي تسنها «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا».

□ ينظم كل إقليم نفسه وفق أسس الاكتفاء الذاتي في القطاع الاقتصادي. ويشارك في تأمين الرفاه والغنى الاجتماعي العام في «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» حسب قوته وظروفه، وينال حصته من ذلك.

□ تعتمد كل الأقاليم التوزيع العادل للثروات الباطنية والسطحية أساساً لها في «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» و«فيدرالية سوريا الديمقراطية» (البترو، الماء، الاحتياط المعدني، الغابات). ينظم التوزيع العادل للثروات بقوانين.

□ لكل إقليم الحق في بناء وتطوير نظام العدالة لديه، بشرط عدم تعارضه مع العقد الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا، ومع معاهدات ومواثيق حقوق الإنسان الدولية.

□ كل إقليم مسؤول عن تنظيم وتمكين قوات الأمن الداخلي لديه.

□ كل إقليم له الحق في الدفاع المشروع تجاه الهجمات الخارجية، وهو مسؤول في الدفاع عن الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا و فيدرالية سوريا الديمقراطية.

□ بإمكان كل إقليم تطوير وتكريس العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مع الشعوب والبلدان المجاورة، بشرط عدم تناقضها مع العقد الاجتماعي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا وفيدرالية سوريا الديمقراطية.

□ يمارس ويكرس مكونات كل إقليم حياتهم السياسية والاجتماعية والثقافية بلغاتهم وثقافتهم.

□ تتحدّد أسس القواعد والآليات لكل بند من بنود حقوق وصلاحيات ومسؤوليات الأقاليم المذكورة أعلاه بقوانين منفصلة ومفصلة.

المادة / ٥٥ /

### مجلس الشعوب في الإقليم

□ هو مجلس تمثيلي للشعوب والمجموعات في كل إقليم يقوم بدور التشريع والرقابة ورسم السياسات العامة، مدة دورته الانتخابية أربع سنوات وتنظم آلية عمله بقانون.

□ يتكون أربعون بالمئة (٤٠٪) من أعضاء مجلس الشعوب في الإقليم من الممثلين المنتخبين بصورة ديمقراطية ومباشرة ضمن المكونات الأثنية

القرارات اللازمة في هذا الشأن.

□ ينظم مجلس المقاطعة أنشطته وفق أبعاد الأمة الديمقراطية، ويشكل لجانته وفق أسسها.

□ يتنخب مجلس المقاطعة هيئته التنفيذية.

□ يصادق على أعضاء ديوان العدالة وإدارة الأمن الداخلي في المقاطعة.

□ يشرف على أجهزة العدالة والأمن الداخلي والأجهزة الإدارية في المقاطعة.

المادة / ٥٢ /

### الهيئة التنفيذية للمقاطعة

١. وتتكون من عدد كافٍ من الأعضاء ومن رئيسين مشتركين يتم انتخابهم من قبل مجلس المقاطعة.

٢. تنفذ القرارات وتطبق السياسات التي يحددها مجلس المقاطعة. وهي مسؤولة أمام مجلس المقاطعة، وتقدم له تقارير فعاليتها الدورية.

٣. تنظم الهيئة التنفيذية للمقاطعة أنشطتها وتمارسها على أساس اللجان التي تتكون من أعداد كافية من الأعضاء. ويقوم الناطقان المشتركان في كل لجنة بتنسيق فعاليتها وأنشطتها. ويكون الناطقون المشتركون للجان من أعضاء الهيئة التنفيذية للمقاطعة.

### الفصل الثالث

المادة / ٥٣ /

### نظام الإقليم

الإقليم في نظام «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» هو وحدة الإدارة الذاتية المتكونة من مقاطعة أو أكثر أو من عدة مناطق تجمعها خصائص متشابهة تاريخياً وديموغرافياً واقتصادياً أو ثقافياً، وتتميز بالتكامل والتواصل الجغرافي.

المادة / ٥٤ /

### حقوق وصلاحيات ومسؤوليات الأقاليم

□ تقوم أقاليم الإدارة الذاتية الديمقراطية في «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» بتنظيم نفسها وإدارة شؤونها وفق أسس الإدارة الذاتية الديمقراطية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمن



- - يقوم بإقرار الموازنة العامة للإقليم.
- - يقوم بإقرار السياسة العامة والخطط التنموية للإقليم.
- - يقوم بإقرار ومنح العفو العام في الإقليم.

المادة / ٥٦ /

### المجلس التنفيذي للإقليم

- - يتشكل من الرئاسة المشتركة ونوابها وعدد من الهيئات، ويُعتمد التمثيل العادل للشعوب والمجموعات والشرائح الاجتماعية أساساً في المجلس التنفيذي.
- - هو الجهاز التنفيذي في الإقليم. يقوم بتطبيق مقررات مجلس الشعوب والمؤسسات العدلية ويقدم تقارير فعالياته إليه بشكل دوري.
- - ينظم نفسه على أساس الهيئات وفق أبعاد الأمة الديمقراطية، ويكوّن قوته التنفيذية الجماعية بموجب ذلك. تقوم رئاسة المجلس بتكليف هيئاته بالمهام.
- - يتم تمثيل الهيئة من خلال ناطقين مشتركين يكونان من أعضاء المجلس التنفيذي. وتتكون كل هيئة من عدد كافٍ من الأعضاء والممثلين حسب متطلبات نشاطها.
- - يتم تشكيل وتنظيم عمل المجلس التنفيذي ويحدد العلاقة فيما بين الإدارات والمؤسسات الأخرى وفق قانون ناظم لها.
- - بعد تشكيل المجلس التنفيذي ومنح الثقة له يصدر بياناً يحدد فيه جدول عمله للمرحلة المقبلة، وهو ملزم بتنفيذه خلال دورته بعد المصادقة عليه من قبل مجلس الشعوب.

### الفصل الرابع

المادة / ٥٧ /

### مؤتمر الشعوب الديمقراطي

- مؤتمر الشعوب الديمقراطي يمثل كافة الشعوب القاطنة في ظل «الفيدالية الديمقراطية لشمال سوريا».
- وهو رمز التكامل في العيش الأخوي المشترك، والاتحاد الحر الديمقراطي الذي تؤسسه شعوب المنطقة.
- يتكون مؤتمر الشعوب الديمقراطي من الشعوب (الکرد والعرب والسريان الآشوريين والأرمن والتركمان والشركس والشيشان)، وكذلك من المجموعات العقائدية

والدينية والعقائدية والثقافية وينظم ذلك بقانون خاص، وستون بالمئة (٦٠٪) من ممثلي الشعب الذين ينتخبهم كل الشعب في انتخابات عامة.

- - تعقد الجلسة الأولى في اليوم السادس عشر بعد إعلان النتائج النهائية في كافة المناطق من قبل المفوضية العليا للانتخابات. تدعو الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي إلى انعقاد الجلسة الأولى لمجلس الشعوب المنتخب، وفي حال عدم انعقاد الجلسة الأولى لأسباب قاهرة، تحدد الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي موعداً آخر لعقدها خلال خمسة عشر يوماً ويعتبر النصاب محققاً بحضور (٥٠ + ١) من المجموع العام، ويرأس الجلسة الأولى لمجلس الشعوب أكبر الأعضاء سناً، و تنتخب فيها الرئاسة المشتركة والديوان، وتكون جلساته علنية إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك وفقاً لما ينص عليه نظامه الداخلي.

□ - يجوز تمديد دورة مجلس الشعوب في حالات استثنائية وبطلب من ربع الأعضاء أو بطلب من ديوان رئاسة المجلس لمدة ستة أشهر وبموافقة ثلثي أعضاء المجلس.

□ - يتمتع عضو المجلس طيلة فترة عضويته بالحصانة، ولا يسأل عما يبيده من آراء، ولا يجوز ملاحقته قضائياً بدون إذن المجلس، إلا في حالة الجرم المشهود وإعلام ديوان المجلس.

□ - يرسم السياسات ويتخذ القرارات فيما يخص المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأمن الداخلي والتعليم والصحة والثقافة في الإقليم.

□ - يقوم بانتخاب ديوان من ستة أعضاء من ضمنهم الرئاسة المشتركة لتنظيم وتسيير نشاطات المجلس.

□ - يقوم بوظيفة الرقابة والإشراف من خلال لجانته.

□ - يقوم بانتخاب الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي بأغلبية الثلثين ويكلفها بتقديم تشكيلة المجلس التنفيذي للمصادقة عليها. كما يحق له حجب الثقة عن المجلس التنفيذي أو أحد أعضائه.

□□ - يصادق على أعضاء أجهزة العدالة، وجهاز الأمن الداخلي، وأعضاء مجلس الإعلام والنشر والاستعلامات، ويشرف على أنشطتها.

□□ - ينظم أنشطته ويسيرها وفق أسس اللجان. يعقد اجتماعاته الدورية ويجتمع أيضاً عند الضرورة.

□□ - ينشط وفق ثوابت نظامه الداخلي.

□□ - يقوم بسن وتشريع القوانين في الإقليم.

المطلقة من العدد الكامل لأعضاء المجلس. بينما يُنتخب أعضاء ديوان الرئاسة بتصويت النصف زائد واحد من المشاركين في جلسة المؤتمر العام. تنتخب الرئاسة المشتركة ونوابها مع كل تجديد لأعضاء المؤتمر العام. ٥. يعمل مؤتمر الشعوب الديمقراطي من خلال اللجان. يعطي الصياغة النهائية للقرارات والمشاريع المطروحة على اجتماع المؤتمر العام. وبإمكانه تشكيل اللجان اللازمة عند الحاجة. يسير أنشطته وفق مبادئ النظام الداخلي.

المادة / ٥٩ /

#### مهامه

١. يقوم بانتخاب الرئاسة المشتركة وديوان رئاسة المؤتمر.
٢. يقوم بانتخاب الرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي بأغلبية الثلثين ويكلفها بتقديم تشكيلة المجلس التنفيذي خلال شهر للمصادقة عليها. كما يحق له حجب الثقة عن المجلس التنفيذي أو أحد أعضائه.
٣. يرسم السياسة العامة ويحدد الأهداف الاستراتيجية في كافة مجالات حياة المجتمع.
٤. يُعدُّ أو يعدل العقد الاجتماعي بطلب من ربع أعضاء المؤتمر وموافقة الثلثين من أعضائه.
٥. إعلان حالة السلم والحرب في نطاق الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.
٦. يُشرِّع كل ما تُعنى به «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» من قوانين.
٧. يقوم بالرقابة على الهيئات عن طريق اللجان.
٨. يعقد المؤتمر اجتماعاته الدورية وعند الضرورة، وبيِّم نشاطاته، ويخطط أنشطته المستقبلية. ويناقش المشاريع المطروحة، ويبت فيها.
٩. يصادق على أعضاء مجلس العدالة، وجهاز الأمن الداخلي، وأعضاء مجلس الإعلام والنشر والاستعلامات، والمفوضية العليا للانتخابات ويشرف على أنشطتها.
١٠. يصادق على تعيين وترفيعات القيادة العامة للمجلس العسكري، ويراقب فعاليتها.
١١. يبحث ويبت في الموائيق والاتفاقيات القائمة باسم الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا مع المؤسسات العابرة للقوميات أو الدول أو مختلف المجموعات ويصادق عليها.

والثقافية (كالمسلمين والمسيحيين والإيزيديين) المنضوية تحت سقف الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا. ويراعي البنى والخصائص التاريخية والديموغرافية والجغرافية والدينية والعقائدية والأثنية والثقافية لكافة الشعوب والمجموعات، ويتشكل بالأساس اعتماداً على مطالبهم وإرادتهم.

يضمن مؤتمر الشعوب الديمقراطي حق الشعوب والمجموعات في إنشاء الإدارات الذاتية الديمقراطية. ويضمن حريات العقائدية والأثنية والثقافية بالقانون. يتبنى النظام الديمقراطي في تنظيم المجتمع. ويُمكنه من العيش ضمن توازن بيئي اقتصادي.

ينظر مؤتمر الشعوب الديمقراطي إلى تنظيم أقاليم الإدارة الذاتية الديمقراطية والمجموعات والوحدات المحلية على أنها ركيزة النظام الفيدرالي الديمقراطي. ويهدف إلى توحيد كافة المجموعات المنضوية تحت ظل الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا انطلاقاً من إراداتها الذاتية.

المادة / ٥٨ /

#### تشكيل وتنظيم مؤتمر الشعوب الديمقراطي

١. يتم انتخاب أعضاء مؤتمر الشعوب الديمقراطي كل أربع سنوات مرة من قبل الشعب وفق القانون الانتخابي وحسب الكثافة السكانية لكل إقليم.
٢. مؤتمر الشعوب الديمقراطي يقوم بدور التشريع والتمثيل العام للشعوب والمجموعات المنضوية في ظل «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا».
٣. يُنتخب أعضاء مؤتمر الشعوب الديمقراطي وفق الآتي: أربعون بالمئة (٤٠٪) منهم من الممثلين المنتخبين بصورة مباشرة وديمقراطية من ضمن المكونات الأثنية والدينية والعقائدية والثقافية حسب كثافتها السكانية ومن ضمن الشرائح الاجتماعية حسب أفاقها التنظيمية وذلك وفق القانون الانتخابي، وستون بالمئة (٦٠٪) من ممثلي الشعب الذين يُحدِّدون بالانتخابات العامة التي يشارك فيها عموم الشعب.
٤. تتم إدارة مؤتمر الشعوب الديمقراطي من قبل «ديوان الرئاسة» الذي يتكون من رئيسين مشتركين وأربعة نواب. يتم اقتراح المرشحين لديوان الرئاسة والرئاسة المشتركة على المؤتمر بعد توافق ممثلي المجموعات والشرائح الاجتماعية المتواجدة في المؤتمر العام. يتم انتخاب الرئاسة المشتركة بموافقة الأغلبية



فعالياته.

المادة / ٦٢ /

### مهام المجلس التنفيذي للفيدرالية

١. ينفذ القرارات ويطبق السياسات التي يرسمها ويحددها مؤتمر الشعوب الديمقراطي في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.
٢. يمارس الأنشطة الدبلوماسية باسم الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.
٣. يؤمن التنسيق والتعاقد بين الأقاليم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
٤. يشرف ويتابع أعمال الهيئات.
٥. يقدم تقاريره إلى مؤتمر الشعوب الديمقراطي في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.
٦. ينظم المجلس التنفيذي في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا نفسه من خلال هيئاته. ويُشكل قوته التنفيذية الجماعية وفق أبعاد الأمة الديمقراطية.
٧. تتألف كل هيئة من ستة أعضاء على الأقل من ضمنهم الرئيسان المشتركان اللذان يشرفان وينسقان أعمالها وهما من أعضاء المجلس التنفيذي.
٨. تقوم الهيئات في المجلس التنفيذي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا بالإشراف على عمل الهيئات في الأقاليم وتساندها وتنسق فيما بينها.

### الفصل الخامس

المادة / ٦٣ /

### مؤسسة الإعلام والنشر والمعلومات

١. تنظم مؤسسة الإعلام والنشر والمعلومات نفسها بصورة مستقلة وفق أسس الإعلام والنشر الحر والديمقراطي. تساعد على تطور مؤسسات الإعلام والنشر، وتساندها، وتؤمن أنشطتها الإعلامية الحرة ضمن الأطر القانونية. لا تسمح بالاحتكار في مجال الإعلام والنشر، و تراقب وتشرف على تحقق حرية الإعلام بموجب حرية المجتمع في تلقي الأخبار والمعلومات اللازمة. وهي مكلفة أيضاً بتأمين الدعم المادي لكافة أجهزة الإعلام والنشر بشكل عادل ومتساوٍ وفق الأطر القانونية.
٢. تتكون المؤسسة من عدد كافٍ من الأعضاء،

١٢. يجوز تمديد دورة مؤتمر الشعوب الديمقراطي في حالات استثنائية وبطلب من ربع الأعضاء أو ديوان رئاسة المؤتمر لمدة ستة أشهر وبموافقة ثلثي أعضاء المؤتمر.

١٣. المصادقة على انضمام منطقة أو إقليم إلى الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا بعد قبولها العقد الاجتماعي.

١٤. إقرار الموازنة العامة للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.

١٥. إقرار ومنح العفو العام في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا.

المادة / ٦٠ /

### مهام ديوان رئاسة المؤتمر

١. يمثل «مؤتمر الشعوب الديمقراطي في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» وهو مسؤول عن ترتيب وتنسيق وتنفيذ جميع أنشطة المؤتمر والإشراف عليها.
٢. ينظم اجتماعات المؤتمر العام، ويشرف عليها.
٣. يقوم بتفعيل اللجان ومراقبتها والإشراف عليها.

المادة / ٦١ /

### المجلس التنفيذي للفيدرالية

١. يتشكل من عدد كافٍ من الأعضاء. يتم تمثيل الجنسين بالتساوي. ويُعتمد التمثيل العادل للشعوب والمجموعات والشرائح الاجتماعية في الأقاليم. ويُمنح عضوية المجلس التنفيذي لعشرين بالمائة (٢٠٪) ممن هم ليسوا أعضاء في المؤتمر.
٢. ينتخب أعضاء المجلس التنفيذي من بين المرشحين الذين تقترحهم مجالس الأقاليم من أعضاء المؤتمر. ومن لم يصادق عليهم المؤتمر، يتم اقتراح آخرين بدلاً منهم. مع مراعاة التمثيل العادل للأقاليم.
٣. الرؤساء المشتركون للمجالس التنفيذية للأقاليم يحق لهم حضور اجتماعات المجلس التنفيذي للفيدرالية عند اللزوم.
٤. لا يحق للرؤساء المشتركين للمجالس التنفيذية للأقاليم أن يترشحوا للرئاسة المشتركة للمجلس التنفيذي للفيدرالية.
٥. الرئاسة المشتركة تمثل المجلس التنفيذي وتسير

التنفيذي والقوانين والقرارات الصادرة عن مجالس الأقاليم مع العقد الاجتماعي.

٣. الفصل في المنازعات المتعلقة بتطبيق هذا العقد بين مؤتمر الشعوب الديمقراطي والمجلس التنفيذي ومجلس العدالة.

٤. الفصل في الخلافات بين الفيدرالية والأقاليم أو فيما بين الأقاليم.

٥. إذا دفع أحد الخصوم في معرض الطعن بالأحكام بعدم دستورية نص قانوني تطبقه المحكمة المطعون بقرارها، ورأت المحكمة الناظرة في الطعن أن الدفع جدي ولازم للبت في الطعن، أوقفت النظر في الدعوى وأحالت الدفع إلى مجلس العقد الاجتماعي.

٦. تصديق نتائج الانتخابات والاستفتاءات العامة.

### الفصل الثامن

#### نظام العدالة

المادة / ٦٧

نظام العدالة الديمقراطية يقوم بحل المشاكل المعنية بالعدالة والحقوق الاجتماعية عن طريق مشاركة الشعب وتنظيمه الذاتي. وترتكز رؤية العدالة هنا إلى المبادئ الأخلاقية للمجتمع الديمقراطي. ويهدف إلى بناء مجتمع يعتمد النهج والرؤية الديمقراطية والبيئية المؤمنة بحرية المرأة أساساً ويتخذ من الحياة المجتمعية منطلقاً له، وينظم شؤونه على أساس المجتمع الديمقراطي. يتم تسيير خدمات العدالة عن طريق المشاركة الاجتماعية وتنظيم الوحدات المحلية المتشكلة بصورة ديمقراطية.

المادة / ٦٨

#### مبادئ العدالة

١. تعتبر العدالة الاجتماعية أساساً لتنظيم المجتمع وحمايته الذاتية. تعتمد على حل المشاكل الاجتماعية المعنية بالعدالة في كومونات القرى والأحياء والبلدات. وتتخذ من الحوار والتفاوض والوفاق أساساً في حل المشاكل.

٢. تُعتبر الأفعال التي تُلحق الضرر بالحياة الاجتماعية والبيئة جُرمًا. وفي حال ارتكاب الجُرم، فإنه يمنح الأطراف المتضررة فرصة الدفاع عن حقوقها، ويهيئ للمجتمع إمكانية تقييم الأمر وانتقاده وطرح مقترحاته والمشاركة في سياق صنع القرار.

٣. تهدف في عقوباتها إلى إصلاح المذنبين

يتم انتخاب النصف من قبل المؤتمر أو مجالس الأقاليم ويتكونون من ممثلي المكونات والشرائح الاجتماعية. والنصف الآخر من قبل المؤسسات الإعلامية الوطنية.

٣. تقوم بتسيير أنشطتها بموجب أسس ومبادئ قانون الإعلام والنشر. تنظم نفسها حسب مجالات عملها، وتُشكل لجانها، وتُسيّر أنشطتها وفق أسس ومبادئ نظامها الداخلي.

٤. يتم الإشراف على أنشطتها من قبل مجلس الشعوب في الأقاليم ومؤتمر الشعوب الديمقراطي.

### الفصل السادس

المادة / ٦٤

#### قوة الدفاع المشروع

«قوات سوريا الديمقراطية» هي قوات الدفاع المسلحة في «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا»، وتعتمد على الانضمام الطوعي لأبناء الشعب من جهة وواجب الدفاع الذاتي من جهة أخرى. وهي مكلفة بالدفاع عن الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا وفيدرالية سوريا الديمقراطية وحمايتها تجاه أي هجوم أو خطر خارجي محتمل. تؤمّن حماية الأرواح والأموال للمواطنين. تنظم نفسها بصورة شبه مستقلة وفق قانون نظام التجنيد. يتم الإشراف على فعاليتها من قبل مؤتمر الشعوب الديمقراطي وهيئة الدفاع.

### الفصل السابع

#### مجلس العقد الاجتماعي

المادة / ٦٥

يتكون مجلس العقد الاجتماعي من عدد من القضاة والعارفين بالقانون والحقوقيين، يحدد عددهم وتنظم طريقة اختيارهم وعمل المجلس بقانون يسن بأغلبية ثلثي أعضاء مؤتمر الشعوب الديمقراطي.

يراعي مؤتمر الشعوب عند اختياره لأعضاء مجلس العقد الاجتماعي تمثيل جميع المكونات.

#### مهام مجلس العقد الاجتماعي

المادة / ٦٦

١. تفسير نصوص العقد الاجتماعي.  
٢. النظر في عدم تعارض القوانين الصادرة عن مؤتمر الشعوب والقرارات الصادرة عن المجلس





العدالة في الأقاليم، وتشرف عليها. يُحدّد أعضاؤها بتصويت مجلس الشعوب في الإقليم. تؤمّن التمثيل العادل والديمقراطي للشعوب والمجموعات والشرائح الاجتماعية، بناء على الحصة (الكوتا) المخصصة لمؤسسات العدالة.

٥- مجلس العدالة في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا: مسؤول عن الإشراف والرقابة على نظام العدالة.

يقدم تقاريره ومشاريعه ومسودات قراراته بخصوص نشاطات العدالة إلى مؤتمر الشعوب الديمقراطي. يؤمّن التنسيق المتبادل بين الأقاليم. يُحدّد أعضاؤه باقتراح من مجالس العدالة في الأقاليم، وتصويت من مؤتمر الشعوب الديمقراطي.

٦- مجلس عدالة المرأة في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا: للمرأة جهاز خاص بها، تنظر في كافة قضايا وشؤون المرأة والأسرة ولها الحق في الرقابة والتنسيق مع مجالس القضاء في الأقاليم.

### الفصل التاسع

#### المادة / ٧٠ /

#### المفوضية العليا للانتخابات

١. يتشكل ثلث أعضائها باقتراح من مجلس العدالة في الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا، والثلثان الآخران باقتراح من ممثلي المكونات والشرائح الاجتماعية؛ ويصادق عليهم جميعاً مؤتمر الشعوب الديمقراطي.

٢. تتكون من عدد كافٍ من الأعضاء المتخصصين. وهي مسؤولة عن تخطيط وتنظيم وتسيير الاستفتاءات الشعبية المحددة بقانون، وانتخابات أعضاء المجلس العام لمؤتمر الشعوب الديمقراطي، وانتخابات أعضاء مجالس الشعوب في الأقاليم، وكافة الانتخابات القانونية والديمقراطية، وذلك حسب القانون.

٣. تبتّ المفوضية العليا للانتخابات في حالات النقض والاعتراض على الانتخابات، وقراراتها غير قابلة للطعن. وتعمل وفق نظامها الداخلي.

٤. تقوم بتنظيم وتشكيل مفوضية الانتخابات في الأقاليم. ويتشكل ثلث أعضاء مفوضية الانتخابات في الإقليم باقتراح من مجلس العدالة في الإقليم، والثلثان الآخران باقتراح من ممثلي المكونات والشرائح الاجتماعية، ويصادق عليها مجلس الشعوب في الأقاليم.

٥. تقوم مفوضية الانتخابات في الأقاليم بتنظيم وتشكيل لجنتها في المقاطعات وفق نظامها الداخلي.

٦. يمكنها إرسال أعضائها كمراقبين إلى اجتماع

وإلزامهم في جبر الأضرار، وتوعيتهم وإعادة إشراكهم في الحياة الاجتماعية بشكل سليم.

٤. فيما يخص المشاكل المعنية بالشعوب والمجموعات والشرائح الاجتماعية، فإنه يحق لها تشكيل آليات العدالة وتطوير أساليب الحل الخاصة بها، بشرط ألا تتعارض مع العقد الاجتماعي أو مع حقوق الإنسان الأساسية.

٥. فيما يخص المسائل المتعلقة بالمصالح العامة والأمن العام لكافة الشعوب والمجموعات فإنه يتم حلها في أجهزة العدالة التي تمثل عموم المجتمع.

٦. تعتمد التنظيم النسائي الخاص والتمثيل المتساوي للمرأة أساساً في مجال العدالة وأنشطتها المؤسساتية. والقرارات المعنية بخصوصية المرأة تبت فيها أجهزة العدالة النسائية.

المادة / ٦٩ /

### كيفية التنظيم وأسس العمل

أجهزة نظام العدالة: تتكون من: لجان الصلح، دواوين العدالة، لجان التحقيق، مجلس العدالة، مجلس عدالة المرأة. وهي مؤسسات رئيسية تنشط لتحقيق العدالة الاجتماعية وتكريسها، ويتم انتخاب أعضائها من قبل المجالس.

١- لجان الصلح: تعمل على حل الخلافات وفض النزاعات وتحقيق السلم والوفاق الاجتماعي. وتنظم نفسها في كل مكان وعلى كافة المستويات حسب الحاجة، بدءاً من الكومونات وحتى الأقاليم ويكون أعضاؤها من المتطوعين والمقبولين اجتماعياً.

٢- دواوين العدالة: هي أجهزة العدالة التي تنظم نفسها في المناطق والمقاطعات وفي كل الأماكن اللازمة، بهدف إزالة حالات الظلم تجاه المجتمعات والأفراد وتحقيق العدالة. يُنتخب أعضاؤها باقتراح من مجالس العدالة في الأقاليم، وتصويت من مجالس الشعب في المقاطعات. يتم تشكيل دواوين العدالة في النواحي والمناطق حسب الحاجة.

٣- لجان التحقيق: هي أجهزة العدالة المتميزة بمستوى ملحوظ من التخصص في مجالها، وتعمل على تقصي حالات الجرم المرتكبة، والكشف عنها، بغية تحقيق العدالة. يقوم أعضاؤها بمهامهم بعد تصويت المجلس الموجود في أماكن تواجدهم والمصادقة عليهم.

٤- مجالس العدالة في الأقاليم: تنظم مؤسسات

انتخابات الأحزاب السياسية والمؤسسات الرسمية في الفيدرالية والأقاليم.

#### الباب الرابع الأحكام العامة

المادة / ٧١ /

يُحدّد شكل العلاقة فيما بين «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا» و«فيدرالية سوريا الديمقراطية» على جميع المستويات وفق دستور ديمقراطي توافقي.

المادة / ٧٢ /

كل الإدارات المنتخبة تخضع للرقابة من قبل الجهات التي انتخبته. ويحق للأجهزة الناخبة أن تسحب الثقة من ممثليها عند اللزوم، وينظم ذلك بقانون.

المادة / ٧٣ /

يتم التوجه نحو الاستفتاء في جميع المواضيع المصيرية المعنية بمصالح المجتمع العامة، من قبيل: صياغة العقد الاجتماعي، المشاركة في الاتفاقيات الدولية أو الخروج منها، تعديل شكل النظام.

المادة / ٧٤ /

للمكونات المحلية الحق في الاعتراض على قرارات الأجهزة العامة التي تتعارض مع مصالحها ولا تتماشى مع إرادتها ومقرراتها، إذا لم يتم حل الاعتراض بتوافق يتم عرضه على الشعب المعني وتعتمد النتيجة.

المادة / ٧٥ /

في حال التعارض بين مقررات الأقاليم أو المكونات المحلية مع المصالح العامة أو تناقضها مع العقد الاجتماعي يمكن لمجلس العقد نقضها.

المادة / ٧٦ /

الحفاظ على الحياة البيئية والتوازن البيئي.

المادة / ٧٧ /

الموارد الطبيعية هي ثروة المجتمع ويتم استثمارها واستخدامها وفق احتياجات الأقاليم وينظم ذلك بقانون.

المادة / ٧٨ /

يُسمَح باستثمار رأس المال الأجنبي ضمن الأطر القانونية وبمصادقة مؤتمر الشعوب الديمقراطي ومجلس الشعوب في الإقليم المعني.

المادة / ٧٩ /

تتأسس الأحزاب والحركات السياسية وتنظم نفسها وتمارس أنشطتها بحرية ضمن إطار القانون.

المادة / ٨٠ /

المؤسسات والمنظمات الاجتماعية كالجمعيات والرابطات والنقابات والاتحادات والغرف وغيرها، تنظم نفسها بحرية ضمن إطار قوانين «الفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا». ويتم تطوير ودعم التنظيمات الديمقراطية للشرائح الاجتماعية في كافة المجالات.

المادة / ٨١ /

لا يحق لأي عضو في مؤتمر الشعوب الديمقراطي ومجلس الشعوب في الإقليم الترشح للعضوية بعد إشغاله لأكثر من دورتين متتاليتين.

المادة / ٨٢ /

لا يقل عمر الناخب والمرشح عن ثماني عشرة سنة لكافة مؤسسات ومجالس النظام الفيدرالي، ويحدد شروط الترشح والانتخاب وفق قانون خاص.

المادة / ٨٣ /

يستلزم تعديل المبادئ العامة لهذا العقد الاتفاق مع مجالس الشعوب في الأقاليم وموافقة ٧٥٪ من أعضاء المؤتمر.

المجلس التأسيسي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سوريا

٢٠١٦ / ١٢ / ٢٩

# الوثيقة السياسية لسورية المستقبل

على دستور ديمقراطي والحرية والمساواة هي التي يمكن أن تحمي وحدة الأرض السورية وتقوي نسيجها الاجتماعي، في حين أن الوحدة القسرية التي تعتمد على التعصب القومي، الديني والمذهبي ستؤول بسورية إلى الانهيار.

انطلاقاً من هذه الحقيقة وإذا ما تم تقييم خاصية المجتمع السوري من حيث التنوع الثقافي، القومي والاجتماعي فمن الواضح أن النظام الفيدرالي الديمقراطي الذي يعتمد على منظور الأمة الديمقراطية غير المبني على لغة واحدة، إثنية واحدة ودين واحد هو أنسب نظام يمكن أن يجمع ويوحد السوريين تحت سقفه. في حين أن العمل على إعادة إحياء الدولة القومية والإصرار على استمرارها أو إعادة إنتاجها لن يؤدي سوى إلى تمزيق وتشتت أكثر لنسيج مجتمعاتنا. ثمة توافق ضمن كافة الجهات السياسية الديمقراطية بشأن أهمية التحول الديمقراطي في سورية. ما ينقص هنا هو جعل هذه الرغبة إرادة حية ومكشوفة. والدستور الديمقراطي هو يقين هذا الواقع وحقيقته، والتعبير الجوهري عنه. وإننا كقوى مشاركة في المجلس التأسيسي للفيدرالية الديمقراطية لشمال سورية نرى بأن الخروج من الأزمة يمكن أن يتم عن طريق إعادة بناء هيكلية الجمهورية تأسيساً على الدستور الديمقراطي. وقد سعينا للحوار مع كل

على الرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمتها جميع الشعوب والمكونات في سورية ومرور ستة أعوام على الأزمة السورية، إلا أن الوضع لم يتغير نحو الأفضل، بل على العكس تماماً نرى بأن الأزمة الموجودة باتت كمرض السرطان يتوسع ويتعمق بشكل أكبر. وهذا ما يؤكد أن الأزمة الموجودة هي أزمة بنيوية وكي يتم تجاوزها هناك حاجة إلى حلول جذرية شاملة. وبما أن الأساليب والأطروحات التي استخدمت حتى الآن لم تأتْ بحل فمن الأصح إعادة النظر فيها واللجوء إلى طرق بناء جديدة.

خلال المرحلة الماضية تم الإدراك جيداً أن الحرب الاستنزافية المفروضة على الشعب السوري لا تخدم أي مكون في سورية بغض النظر عن هويته القومية والدينية والثقافية. لأنها ظهرت نتيجة رفض النظام للتغيير الديمقراطي وإصراره على نظام الحزب الواحد، ومن أجل أن ننهي المأساة السورية نحن بحاجة إلى تغيير جذري عن طريق تأسيس نظام ديمقراطي يضمن حقوق كل الأفراد والمكونات في المجتمع السوري. هذا وأكدت لنا هذه السنوات بأننا كسوريين لا خيار أمامنا سوى الحل الديمقراطي. وإذا ما أصر النظام الحاكم أو أي فصيل أو تيار سياسي على حلول ترميم الدولة القومية أو فرض هويته فإنه لا مجال سيخدم تقسيم وتمزيق سورية. لأن الوحدة المعتمدة

بصدد الوطن المشترك. أي أن مفهوم الوطن الذي لا ينتسب إلى أثنية ذات لغة واحدة، ولا إلى دين واحد، بل يتألف من مواطنين متعددي اللغات والقوميات والأديان، هو الأكثر واقعية. بالتالي هذا المفهوم يمكن أن يلبي متطلبات التكامل والتآخي أكثر ويحييهما ويرسخ من وحدة الأرض والمجتمع السوري بشكل أكثر. بينما الوطن الذي يزود بمشاعر الانتماء إلى أثنية واحدة فقط ويقصي القسم الأكبر من المواطنين ويجعلهم مجرد «آخرين» هو المفهوم الذي يثير التكتل ويؤدي الدور التقسيمي والانفصالي بالأصل. جلي تماماً أن مفهوم المواطنين المتشككين على نمط واحد ينبع من الفاشية. فالتباين يعبر عن غنى الحياة في الطبيعة والمجتمع على حد سواء. من هنا، الأصح هو التحلي بالروح الوطنية بناء على الارتباط بالأرض والأيكولوجيا والتقدم، وليس كشوفينية وعرقية.

ثالثاً: مبدأ الجمهورية الفيدرالية الديمقراطية:

إن تفسير الجمهورية كدولة قومية باعتبارها نظام دولة إنما هو عامل مؤثر في الإقصاء، نظراً لكونه الشكل الصارم لها، فمن المحال أن تكون دولة ما قومية وفي الوقت نفسه ديمقراطية. بينما النظام الأمثل بالنسبة للجمهورية هو الدولة الديمقراطية وهي الدولة المنفتحة على النظام الديمقراطي. في حين تقوم الدولة القومية بالقضاء على الخصائص الديمقراطية للمجتمعات مثلما حصل في الفترة الماضية.

في الحقيقة إذا ما تم إسقاط التنوع الثقافي على الواقع السياسي في سورية سنرى بأن مبدأ الحل الديمقراطي ينسجم مع نموذج الجمهورية الفيدرالية الديمقراطية السورية. المهم هنا هو تشييد الجمهورية الفيدرالية الديمقراطية السورية كنظام سقفي جامع لكل الفيدراليات. هذا وعدم أدلجة شكل النظام والدولة وعدم ربطها بأثنية أو دين معين يعتبر أمراً مهماً من أجل حل القضايا المتأزمة في سورية. لذلك سيكون من الأنسب القيام بصياغة تعريف حقوقي للجمهورية الفيدرالية الديمقراطية السورية بوصفها نظاماً قانونياً ديمقراطياً بالنسبة لكافة المواطنين. وبذلك يكون قد تم احتواء جوهر مبدأ الأمة الديمقراطية ومبدأ العلمانية

القوى السياسية السورية لكي نقوم بحل قضايانا ونرسم معالم مستقبلنا بأنفسنا، إلا أنه تم استبعادنا وإقصاؤنا من معظم الاجتماعات التي عقدت حتى الآن. ونريد أن نؤكد بأننا منذ البداية وحتى الآن تحركنا بأجندات وطنية ديمقراطية، إيماناً منا بأننا كسوريين نمتلك القوة والمقدرة التي تمكننا من حل مشاكلنا. إلا أننا، وللأسف الشديد، لم نر إرادة سياسية نخطبها ونتحاور معها، سواء من قبل النظام أو من قبل المعارضة الداخلية أو الخارجية. فعلى الرغم من عدم تقديمهم لأي مشروع حل إلا أنهم لم يقبلوا بالخيارات المقدمة من قبلنا أيضاً مما زاد من العمق والانسداد. لذلك فلا خيار أمامنا سوى أن ننظم المناطق التي تم تحريرها من القوى الإرهابية وفق نظام ديمقراطي لنتمكن من حماية مناطقنا من كل أنواع المخاطر. كما نهدف بذلك إلى خلق بديل، بحيث تتحول مناطق شمال سورية إلى نموذج للحل. هذا ومن الضرورة القول إن الفيدرالية الديمقراطية الذي نريد تطبيقها، وبالتكامل مع الفيدراليات التي نرى أنه من الضروري إنشاؤها في المستقبل، هي جزء لا يتجزأ من سورية الفيدرالية الديمقراطية. وبما أن الظروف الموضوعية والذاتية غير مواتية من أجل تأسيس دستور ديمقراطي لكل سوريا في الوقت الراهن فإننا في المناطق المحررة سنقوم بتنظيم حياتنا وفق هذا العقد الاجتماعي المتفق عليه من قبل كل المكونات التي تعيش ضمن جغرافية شمال سورية إلى أن يتم الاتفاق على دستور ديمقراطي يضمن حقوق كل السوريين. من هذا المنطلق نرى بأن المبادئ الأساسية التي يجب أن ترسم الإطار المعني بماهية الدستور الديمقراطي السوري هي بهذا المضمون:

أولاً: مبدأ الأمة الديمقراطية:

الأمة الديمقراطية هي الأمة المتألفة من الأفراد الذين ينشطون حقوقهم وواجباتهم ويمارسون حرياتهم الرئيسية بالتساوي، بقدر ما تتألف من شتى أنواع الثقافات والأديان والأثنيات، والمستندة بالتالي إلى دعامة وحدة الحقوق الفردية والجماعية.

ثانياً: مبدأ الوطن المشترك:

واضح جداً بأننا كسوريين بحاجة إلى مفهوم جديد



تضمن مساواة المرأة والرجل في جميع مجالات الحياة. لذلك فالمشاركة الفعالة للمرأة في عملية صياغة الدستور الجديد في سورية تعتبر من الأمور الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

سابعاً: مبدأ الاقتصاد:

يجب أن يتم العمل على ترسيخ سياسة اقتصادية تحقق حماية المجتمع والبيئة في وجه التأثيرات الاحتكارية والتدميرية القسوى الناجمة عن سياسة الاحتكار المسيطرة على الاقتصاد. لذلك هناك حاجة كبيرة لسياسة اقتصادية تغطي احتياجات المجتمع وتحقق التوزيع العادل للثروات التي نملكها كسوريين. بحيث يتم إغلاق الطريق أمام النهب الاحتكاري المتسلط على السوق. هذا ويجب أن يتم القضاء على ظاهرة البطالة التي تحولت إلى حالة متفشية في مجتمعاتنا. بحيث يتم تأمين العمل لكل فرد في سورية بغض النظر عن هويته الجنسية أو الاثنية أو الدينية.

ثامناً: مبدأ اللغة والثقافة: تعتبر ممارسة كل شعب للغة و ثقافته في المجال التعليمي والفني والعلمي والديني من الحقوق الأساسية للإنسان، لذلك يعتبر ضمان التعليم باللغة الأم في الدستور الجديد من أجل (الكردي، العرب، السريان الآشور، الأرمن، التركمان، الشركس، الجاجان) أمراً لا بد منه. وهذا سيقوي من النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمعات السورية وسيفتح الطريق أمام وحدة طوعية بين جميع المكونات.

انطلاقاً مما تم ذكره في الأعلى فإننا كمجلس تأسيسي لفيدرالية شمال سورية سنعمل كل ما في وسعنا من أجل تطوير حل ديمقراطي يشمل كل سورية. ونؤكد للرأي العام السوري بأننا مستعدون للتفاوض و الحوار مع كل القوى السورية من أجل تحقيق نظام ديمقراطي يضمن السلام والاستقرار لكل السوريين.

المجلس التأسيسي للفدرالية الديمقراطية

لشمال سوريا

٢٠١٦-١٢-٢٩

ضمن التعريف أعلاه. من هذا المنطلق فالتعبير عن الجمهورية الفيدرالية الديمقراطية السورية دون إرفاق مصطلح أنثي أو عرقي أو ديني سيكون شاملاً ومتكاملاً بشكل أكثر.

رابعاً: مبدأ الدستور الديمقراطي:

من أجل تكريس مبادئ الديمقراطية يجب الارتكاز إلى دستور يُسن بتوافق اجتماعي وتمثيل حقيقي وصحيح لجميع المكونات بحيث نتمكن من بلوغ نظام إداري راسخ لنتمكن جميع المكونات من حماية حقوقها بشكل دائم ويفتح المجال أمام المؤسسات المجتمعية والشرائح الاجتماعية لتنظيم وتطوير ذاتها وأخذ دورها الطبيعي في المجتمع وفي مقدمتها المرأة والشبيبة. هذا ويعد الدستور الديمقراطي أداة لا بد منها في سبيل الإبقاء على الدولة كعامل يؤمن الحل بوصفها ميداناً من زخم الخبرات والتخصص، لا كمؤسسة مولدة للمشاكل المثقلة من وطأتها باستمرار. الدستور الديمقراطي هو الضامن الذي يوحد بين الفيدراليات ضمن الوطن المشترك.

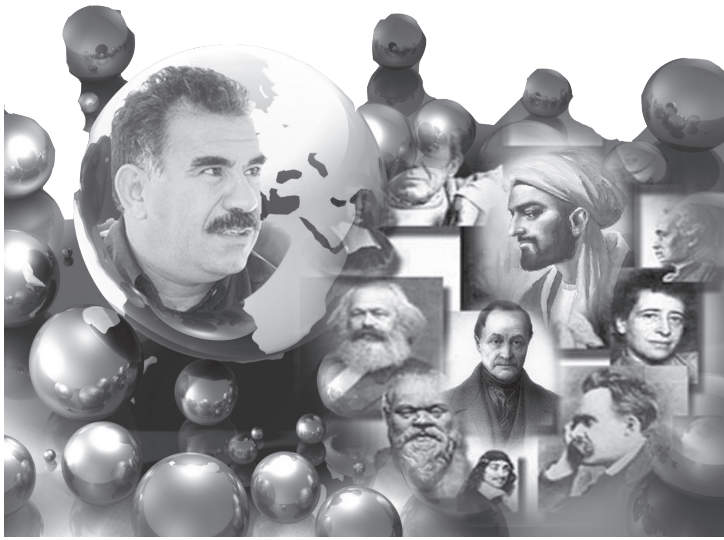
خامساً: مبدأ الدفاع الذاتي:

تأتي قضية الدفاع الذاتي في مقدمة القضايا التي نعيشها كشعوب وكهويات اجتماعية وثقافية في سورية. وتبين تاريخياً أن الحياة المجردة من الدفاع الذاتي تنتهي بالمآسي للمجتمعات سواء من الناحية الاجتماعية أو حتى تعرضها لكل أنواع الإبادة. لذلك يعتبر ضمان الدفاع الذاتي من أجل المجتمعات والأفراد في كل منطقة من سورية أمراً لا بد منه، هذا بالإضافة إلى أن ترسيخ نظام كاف من الدفاع الذاتي ضرورة حتمية من أجل حياة حرة متساوية وعادلة.

سادساً: مبدأ حرية المرأة:

تعتبر قضية تحرر المرأة من أهم القضايا التي تعاني منها مجتمعاتنا في سورية. وأحد الأسباب الأساسية للتخلف الذي يعيشه مجتمعنا هو تهيمش وإقصاء دور المرأة في عملية البناء المجتمعي وتحويل المرأة إلى عنصر من الدرجة الثالثة أو الرابعة. ومن أجل القضاء على الممارسات اللاديمقراطية وغير العادلة التي تتعرض لها المرأة هناك حاجة إلى مواد دستورية

# القائد أبو وعلماء الاجتماع



بعد وصول نابليون إثر الثورة الفرنسيّة إلى الحكم اعتنق أو غست كونت آراء الجمهورية وحلم بوجود دولة مستقلة حرّة قويّة، وجاءت آراء كونت متّفقة مع أستاذه (سيمون) حول حلمهما بوجود دولة قوية تقوم على تنظيم الحياة الاجتماعيّة، ولقد دعا كلّ منهما إلى أهمية وجود علم مستقل مثل الفيزياء الطبيعيّة، يهتم بدراسة الحياة الاجتماعيّة، والعمل على اكتشاف القوانين الاجتماعيّة التي يمكن استخدامها في دراسة الظواهر والمشكلات والقضايا الواقعيّة، حيث رأى أنّ الظاهرة الاجتماعيّة تخضع لقوانين محدّدة وليس للرغبات أو المصادفات دور فيها، لأنه إذا كانت أي ظاهرة غير خاضعة للقوانين فإنه يستحيل فهمها بطريقة موضوعيّة، واعتبر الظواهر الاجتماعيّة ثابتة نسبياً، فهي لا تتغير ولا تتبدل بسرعة، والقوانين التي تتحكم في الظاهرة الاجتماعيّة موجودة، لكنّها تحتاج إلى جهود العلماء في الكشف عنها .

فالمجتمع عند كونت تطور خلال ثلاث مراحل من المجتمع الخرافي – إلى التفكير الميتافيزيقي – إلى المجتمع المعاصر حيث بات التفكير فيه تفكيراً وضعياً أو علمياً .

والعصر الوضعي عند كونت يبدأ بالثورة الفرنسيّة، وأهم ما يميز هذا العصر هو استقلال الفكر الإنساني وأخذة بالأساليب العلميّة والبعد عن الخرافات، وهو يرى أنّ هذا المنهج يؤدي بالمجتمع إلى التقدم والتطور في كل الأنشطة والمجالات من صناعة وفن وعلم.

يُعدّ ماكس فيبر من رواد الحداثيّة في القرن التاسع عشر فهو الحداثيّ الذي حلّل ظاهرة الحداثيّة وكيفية نشوئها وتشكّلها وسيطرتها على المجتمعات الصناعيّة التي انفردت بها أوربا، فعقلنة العالم؛ أي دراسة العالم بشكل علمي موضوعي عقلاني، لا بشكل غيبي ميتافيزيقي خرافي، هو الهاجس الذي سيطر على فكر فيبر وأتباعه من الحداثيين، لقد أصرّ على فهم الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعيّ، ومن وجهة نظر الفرد كعضو في جماعة، وبالتالي اعتبر الفرد هو المدخل لنظرية علم الاجتماع، وبذلك لم يعتبر أنّ الجماعة هي طبيعة بحدّ ذاتها، والفرد لا معنى له خارج إطار الجماعة.

لقد اعتبر التنظيم الرأسمالي تنظيماً مثاليّاً وهو لا يتحقق في مجتمع يتسم أفراداه بالكسل ويتمسكون



الأيديولوجيا وسيلة للسيطرة على المجتمع وهندسته، كي تستطيع تلك الفئة المهيمنة استغلاله لتحقيق مآربها في النهب والاستغلال والاحتكار، ومن هنا بات من الضروري فهم المجتمع من خلال تفكيك السلطة. لقد كان لحركة ما بعد الحداثة والمدرسة الفرנקفورتية دور في تفكيك المجتمع وإن كان المدخل للغة تارة والأدب تارة أخرى والتعليم والتربية والسلوك، حتى بات تفكيك المجتمع المنفذ الوحيد لفهم هذه العلاقات، فأكسيل هونيث رأى أن الرأسمالية المتوحشة جعلت شروط تحقيق الذات نادرة وصعبة، ورأى أن مسألة تحقيق الذات في المجتمعات الحديثة صعبة جداً وخصوصاً مع انتشار أنظمة سياسية كالعولمة والرأسمالية، لقد رأى أدورنو أن التحرر من الأساطير لم يؤد إلى نتائج إيجابية، فقد تحول العقل إلى قوة لا عقلانية تسيطر على الإنسان والطبيعة، وهذا التقدم المنشود هو تقدم نحو الجحيم، فالعقل يريد السيطرة على الطبيعة، وصار أداة للسيطرة على المجتمعات، فصارت الوضعيّة المنطقية ترى أنه يجب على كل شيء أن يدخل دائرة العقل، حتى يفسح المجال للعقل التحكمي والشمولي، فليس المفروض هو التحكم بالواقع وإنما نقده حسب تعبير أدورنو.

لقد خصص التوسير دراسة لما يسميها الأجهزة الأيديولوجية للدولة التي تعمل برأيه على إعادة إنتاج نفس نمط الإنتاج، وعلاقاته السائدة في المجتمع، ويقصد بها مؤسساتها التربوية والتعليمية والثقافية التي تهدف إلى الحفاظ على الفوارق الطبقيّة، وإعادة نفس الطبقات، وكان فوكو يهدف إلى كشف تغلغل السلطة ونشاطها في اللغة، ورأى أن الجنون معرفة، وعالج مسألة المعرفة والسلطة بعد فرنسيس بيكون الذي رأى المعرفة سلطة، ورأى أن المعاهد الكبرى الخاصة قد تأسست للإنتاج المادي وليس للإنتاج المعرفي، وبالتالي فغاية المعارف هي السلطة والسلطة هي الخطاب المعرفي للتأثير على المجتمع.

إن نظرة القائد أبو في هذا الصدد واضحة حيث يقول: (إنّ الانفتحات الفلسفية للمُنظرين الألمان، وعلم الاقتصاد السياسي للمُنظرين الإنكليز، وعلم الاجتماع للفلاسفة الفرنسيين، والذين انكبوا جميعاً على تقديم البنى المعرفية لدولهم القومية؛ ليست سوى أدوات

بمعتقدات خرافية، ويتميزون بعدم الكفاءة، فلا بد من توافر مجموعة من الظروف إلى جانب الخصائص السيكولوجية التي ذكرها، وهذه الظروف هي رأس مال عقلي وإدارة للعمل وامتلاك كل وسائل الإنتاج وتوفر وسيلة للإنتاج وشيوع قانون عقلي وازدياد العمل الحر وتسويق لمنتجات العمل.

لقد تبني ماركس نظريات هيغل الجدلية، ورفض فرضياته الميتافيزيقية، وبالتالي كان تحت تأثير العلمية منطلق عصر التنوير، وانطلقت نظريات علم الاجتماع الماركسية من الاقتصاد، واعتبرت الاقتصاد المحور في تفسير المجتمع عبر التاريخ، والحمية التاريخية، وافترض أن المجتمعات كلها تتقدم خلال الصراع بين الطبقات الاجتماعية؛ صراع بين طبقة الملاك المتحكمين بالإنتاج وطبقة العمال الذين ينتجون السلع، واعتبر الرأسمالية دكتاتورية البورجوازية، التي رأى أنها مسيرة من قبل الطبقات الغنية لأجل مصلحتهم البحتة، وزعم أن المجتمع في ظل النظام الاشتراكي سوف يحكم من قبل الطبقة العاملة في ما سماه دكتاتورية البروليتاريا أو دولة العمال أو ديمقراطية العمال، وكان يعتقد أن الاشتراكية بدورها سوف تستبدل بمجتمع دون دولة ودون طبقية وهو الشيوعية، بالإضافة إلى إيمانه بجمعية الاشتراكية والشيوعية، نشط ماركس بالمحاربة لتطبيق الاشتراكية، زاعماً أن على العلماء النظريين الاجتماعيين والجماهير المعدمة تنفيذ عمل ثوري منظم للإطاحة بالرأسمالية والقيام بتغيير اقتصادي اجتماعي. لقد كانت تفسيرات ماركس للمجتمع تنحصر في أنه مادة، ولا بد أن يمر أي مجتمع ما بمراحل تاريخية حتمية، وبالتالي لم يخرج عن الإطار العلمي في تفسير المجتمع، نافياً عنه كل الوسائل الأخرى للوصول إلى الحقيقة، واعتبر الرأسمالية مجتمعاً مع أن البرجوازيين طبقة تقعات على المجتمع، ومن هنا كان نقد القائد أبو واضحاً لنظرية ماركس التي كانت منهجاً لحزب العمال الكردستاني حتى العقد الأخير من القرن الماضي، لكن بعد عملية التحول الديمقراطي في براديجما القائد أبو الذي اعتبر أن السلطة هي الداء المتجسد في النخبة الفوقية الهرمية التي سيطرت على المجتمع واستلبت التطورات المجتمعية ونسبتها إلى نفسها، من خلال الهيمنة السلطوية الفكرية الأيديولوجية التي اعتبرت

لم تُجدِ صرخات ننتشه الخفيفة نفعاً في تصوير هذه الحداثة الرأسمالية على أنها خطر سيدمر المجتمع،

وجعلوه المقياس لتحليل الأخلاق المجتمعية كما يحلّون فأراً في مخبر ما، فالكونتية والهيغلية والماركسية باتت أسيرة العلم والفكر والمادة، وكانت حلولهم كلها تكمن في الاقتصاد، فالالاقتصاد وحده هو المفتاح التقيمي للمجتمعات، ومقياس تقدّمهم حسب رأيه، فبالتالي خلقت الليبرالية الأيديولوجية الرسمية البديلة عن الدين، فتقدّس الإله في السماء قد نزل إلى الأرض وصارت مفردات تقدّس الفرد، وألفاظ تعظيم حرية الفرد هي العبارات التي تمنطقت بها تلك الفلسفة التي استخدمت شعاراً بديلاً دون أن تعي مدى خطورته على تفكيك المجتمعات وانتهاك حرّياتها.

بات العلم هو المقياس الوحيد لرفض ما لا يتناسب معه، فكلّ شيء صار علماً، حتّى الحاسة السادسة يجب أن يعرف قانونها، حتى الروح، والعشق والتمسك بالأرض، وحبّ الجماعة، وصارت مرادفة الغوغائية والديماغوجية تطلق على المجتمعات، فكلّ من لا يقيس ضوابطه الحياتية بالعلم ليس أخلاقياً، من هنا تشوّهت الأخلاق التي صارت تقاس وكأنّها مادة مثلها مثل أيّ شيء، من هنا صار المجتمع شيئاً، والعلم هو الأخلاق. لم تُجدِ صرخات ننتشه الخفيفة نفعاً في تصوير هذه الحداثة الرأسمالية على أنها خطر سيدمر المجتمع، فلم يلقَ صوته أذاناً صاغية لدى أولئك المندفعين إلى الحركة التنويرية التي مهّدت للحداثة الرأسمالية لتتغول وتصبح السبب الرئيس لأكبر جرائم التاريخ من حيث الحروب وتدمير البيئة والمشاكل السكانية والمجتمعية التي وصلت إلى أسوأ حالاتها في هذا القرن الذي نعيشه، لكن تلك الأصوات وإن تعالت قبل عقود بسيطة من خلال المدرسة الفرنكفورتية وروّادها حيث أطلقت عليهم تسمية ما بعد الحداثة لم تلقَ أذاناً صاغية أيضاً، فأولئك الحداثيون الرأسماليون باتوا يمتلكون ترسانة إعلامية تستطيع أن تبرمج عقول الناس، وباتت الحداثة الرأسمالية النظام المهيمن الذي يريد أن يغزو المعمورة برمتها، لكنّه اصطدم بصخرة الشرق الأوسط التي لم تستسغ هذه العلمية البحتة كما استساغتها الذهنية الغربية منقطة النسل عن الدين شرقيّ المنبت، فتخلّوا بسهولة عن الدين المسيحيّ.

من هنا نشأت نظرية القائد، القائد المطهر المخلص، لطالما كان الشرق الأوسط منبع الحضارات ومنبع

لشرعنة أجهزة السلطة وتكديس رأس المال لديهم. وفي نهاية المآل، لم تتخلص الفلسفة الألمانية وعلّم الاقتصاد السياسي وعلّم الاجتماع الفرنسي من تشكيل الأرضية لقومية الدولة القومية المتصاعدة. وعموماً، يمكننا القول، وبكل سهولة، أنّ تلك العلوم الاجتماعية الأوروبية المركز هي بُنى معرفية للنظام الرأسمالي العالميّ الأوروبيّ المركز. (شرح ضروريّ)

لطالما كان تقسيم المجتمع من قبل كارل ماركس واختزاله في (المجتمع العبودي، المجتمع الإقطاعي، المجتمع الرأسمالي، المجتمع الاشتراكي...) انتهاكاً بحقّ المجتمع، بل هو اختزال للمجتمع في مفهوم الطبقة والاقتصاد من خلال نظرة النخبة والاحتكار والجشع النخبويّ أيضاً، فالمجتمع إن لم يعرف من الناحية الأخلاقية والسياسية في آن معاً يعدّ ذلك انقاصاً من حقه، إنّ مقياس المجتمع يكون من خلال الأخلاق لا من خلال التراكم الربحيّ للطغمة الحاكمة التي سلبت المجتمع سياسته وحصرته في بوتقة السلطة والتحكّم فحسب.

إنّ النظريات العلمية التي جعلت المجتمع حقل تجارب، ومزرعة يجب تخطيطها وهندستها من قبل الطليعة التي ألّهمت العلم وجعلته المقياس الوحيد لتقييم المجتمعات، قد أفرغت المجتمع من صيرورته التاريخية والهندسة النابعة من القاعدة إلى أقصى الهرم، وهذه المعادلة هي التي لم يراعها علماء الاجتماع في تفسيرهم الفوقيّ من أعلى هرمهم وبرجهم العاجي الذي لم يبرحوه، ممّا أدى بهم إلى أن يلتحفوا رداء الربّ العارف العليم المدرك، الذي يستطيع أن يحلّل المجتمع بعيداً عن إدراكه أنّه طبيعة ثانية، فالتنويريّ الإسكتلنديّ آدم سميث كان الرائد في مجال التركيز على الفردانية التي أنهكت المجتمعات في القرنين الأخيرين، وكذلك أوغست كونت وإميل دوركايم وماكس فيبر وغيرهم الذين ألّخوا العلم وجعلوه نبراسهم وربّهم الأعلى،





لا بدّ من الإشارة إلى أن التركيز على محور الانطلاقة الفكرية التي ارتكز عليها القائد أبو في تحليل الحقيقة والبحث عنها في الاستناد إلى العقل المغيب عن الساحة منذ استيلاء الذكر على الإدارة وتحويلها إلى سلطة، وبذلك ضعف العقل العاطفي، وصار تفسير الأمور كلها باتجاه واحد، أي على خط واحد، لذلك كانت تحليلات المجتمع كلها تعتمد على الوضعية العلمية البحتة التي تعتمد على العقل والعلم والمنطق، ومنها بات زيف الحقيقة واضحاً، كمن يرى الحقيقة من منظار واحد، ومن هنا صار البعد الواحد في تقييم الأمور، وباتت الإنسانية أسيرة النزعة التحليلية، لكنّ القائد أبو استطاع أن يستعيد ذاكرته الممتدة إلى عصر الأوممة وينشط العقل العاطفي ويحكم على الأمور من تلك الزاوية، بحيث بات الذكاء التحليلي يعتمد على سرد المفكرين والفلاسفة والأنبياء ومقابلتهم بالذكاء العاطفي فبات الذكاء التحليلي أطروحة والذكاء العاطفي أطروحة مضادة لديه ليصل إلى التركيبة - الحل.

إنّ البحث الدؤوب عن أغوار هذه الحضارة الديمقراطية في موزوبوتاميا، تلك المنفية عن صفحات التاريخ التي دوّنتها الدولة لتمجّد بها أوابدها وكي تخدّ فيها سلطتها، كان العمل المنوط بأولئك المثقفين الأنتلجسيين الذين أدركوا مسؤوليتهم تجاه هذا المجتمع وتلك التضحيات الجسام التي صارت منبراً ونبراساً تهتدي الشعوب بهما، لتصل إلى حقيقتها، وتبني مؤسساتها التي سلبتها إياها الدولة القومية الهجين لتنسبها إلى نفسها، وهذا ما تغافل عنه علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر الذين سطرّوا التاريخ ابتداءً بالدولة، أي أن ما قبل الدولة صار ما قبل التاريخ، أي أنّ التاريخ يبتدئ بنهوض العقل التحليلي وواد العقل العاطفي، وبالتالي الغوا تاريخ المرأة المقموع الذي وُد مع الدولة الذكرية، وظهر العلماء الفرنسيون والألمان؛ (أوغست كونت، إميل دوركايم، ماكس فيبر...) الذين تأثروا بخط ديكرات العلمي الأحادي الذي يرى الأمور من نظرة أحادية الجانب تتمثل في العلم فحسب، فنشأت العلمية التي قدّست العلم، وجعلته إلهاً، وصار مقياس المجتمع يعتمد على أدوات العلم ( المنطق،

الأفكار والإنسانية، ولذلك لم تهضم معدته هذا المسخ الوليد (الدولة القومية)؛ أحد أركان الحداثة الرأسمالية الثلاثة؛ (الدولة القومية، الصناعية، الرّيح الأعظمي) لقد كانت نظرية القائد الذي يستطيع أن يعيد إحياء الذاكرة الأخلاقية السياسية من خلال عملية إعادة تنظيم المجتمع لنفسه بنفسه، أي إعادة الروح الطبيعية للمجتمع لتستطيع تلك الروح إعادة الحياة إلى المجتمع وإعادة الهوية لذاك المجتمع المسلوب من بناء التي أطرتها الدولة حسب هواها، وصارت تهندسه من خلال النخبة، إنّ التنظيم يختلف عن الهندسة، فالهندسة تأتي من الأعلى إلى الأدنى باتجاه عمودي، لكنّ تنظيم المجتمع لنفسه بنفسه يأتي أفقياً ويكون تلقائياً عفويّاً طبيعياً، وليس مخطّطاً تجريبياً مسبقاً، وإنّما إعادة الحياة إلى هذا المجتمع من خلال مأسسة البنى المجتمعية التي تتناسب مع المعاني المهرقة في الذاكرة الجمعية، فأولئك الأنارشيون أو الفوضويون أو مفكرو ما بعد الحداثة لم يمتلكوا الثلاثية التي امتلكها القائد عبد الله أوجلان؛ ثلاثية (القائد، الأيديولوجيا، المبشرون) هذا ما كان يفتقر إليه بوكين، والرشتانين، فوكو... وغيرهم من الذين اقتربوا من الحقيقة. في هذا الصدد فحسب تكمن عظمة الشعب الكردي الذي لم يذق مرارة الدولة، لكنّه امتلك من الآلام ما لم تمتلكه شعوب الأرض. إنّ القائد أبو يمتلك القيادة والفكر والنظرة التكتيكية والاستراتيجية، وتحليل الماضي والحاضر والمستقبل، ورجل سياسة وأفضل من شرح القضية المجتمعية العالقة في الشرق الأوسط ودور الكرد في إعادة إحياء الحداثة الديمقراطية كبديل عن الحداثة الرأسمالية من خلال التركيبة التي تتألف منها الحداثة الديمقراطية في تحديد الثلاثية المناهضة لثلاثية الحداثة الرأسمالية كما أسلفنا (الدولة القومية، الصناعية، الرّيح الأعظمي) ومقابلها ثلاثية الحداثة الديمقراطية (الأمة الديمقراطية، الإيكولوجيا، الاقتصاد المجتمعي) وهو الرائد في تحليل شعوب الشرق الأوسط والبحث عن صلات القربى بينهم، وتحديد الأواصر والقاسم المشترك بينهم، ألا وهو الحداثة الديمقراطية النموذج الأمثل لإنقاذ الشعوب من حروب الاقتتال التي تخدم الطبقة ولا تخدم المجتمع بل تدمره.



النهاية، هيغل ذاك الذي مَجَّد الفكر والعقل واعتبر أنّ كل ما هو منطقيّ فهو عقليّ وما هو عقليّ فهو منطقيّ، واعتبر أنّ الحقيقة في الفلسفة تعني تقاطع النظرية مع الواقع الخارجي، وعلى الرغم من أنّه مثاليّ على عكس ماركس الماديّ الذي يرى أنّ المادة قَبْل الوعي عكس هيغل، إلاّ أنّ الهيغليّة والماركسيّة وكل ما سبقتهما من فلسفات درست المجتمع لم تخرج عن إطار العلم ولا سبيل سواه للوصول إلى الحقيقة.

لقد بحث القائد عن براديجما للوصول إلى الحقيقة؛ (المرأة، المجتمع، الثقافة) من خلال الاعتماد على (الميثافيزيقيا والميثولوجيا والدين والفلسفة والعلم) فقد أكد على أنّه ليس بمقاييس العلم وحدها نصل إلى الحقيقة، وهناك كلياتيّة متكاملة في كافة المجالات والقضايا المناقشة فلا يمكن دراسة كل صنف على حده، فلا يمكن دراسة المجتمع وتطويره إذا لم تدرسه من النواحي كلها العلميّة والفلسفيّة والميثافيزيقية والميثولوجية والدينيّة، وكل ذلك غير كاف لتقدّم المجتمع دون تقدّم المرأة أي من خلال إعادة الحياة للمرأة من خلال نيل حرّيتها واستعادة دورها الطبيعيّ، وبالتالي كانت الجينولوجيا هي العلم المكملّ للسيولوجيا.

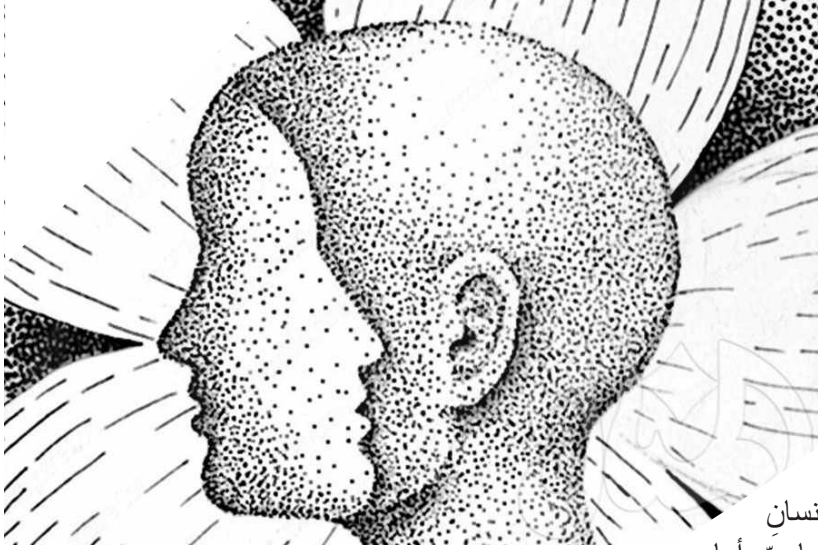
لقد كان تقسيم القائد أبو الطبيعة إلى طبيعة أولى؛ (الكون) طبيعة ثانية؛ (المجتمع) طبيعة ثالثة؛ (الرأسماليّة) تقسيماً يعتمد على التحليل الأكثر دقّة، حيث اعتبر الكون طبيعة أولى تمتلك قانوناً أخلاقياً كوانتمياً فيه من الذكاء اللامحدود يمكن أن يطلق عليه الذكاء الكونيّ.

الملاحظة، الاستنتاج، التجريب، الاستقراء... نايفين كلّ ما يمتّ إلى الأخلاق المتجسّدة في الميثولوجيا والدين والميثافيزيقيا، وبالتالي صار المجتمع يُدرس من خلال الأفراد، أي أنّك تستطيع تحليل ظاهرة اجتماعيّة ما من خلال أخذ عينات من المجتمع، أو أفراد منفصلين، وبالتالي ظهرت النظريّات الفرديّة، لتصور الإنسان المثاليّ الساعي نحو الكمال، وبات المجتمع يقسّم إلى (ناجحين وفاشلين) (أذكاء وأغباء) (متقدّمين ومتخلفين) (أصحاء ومرضى)... أي صارت هناك فئة مثاليّة من المجتمع تستطيع أن تطلق عليها الفئة الفعّالة والقادرة على قيادة المجتمع، وفئة قطع لا تعي ماذا تفعل؟ بل هي عالة على المجتمع، أو عليها أن تطيع فحسب، هي الفئة الغوغاء التي وصفها غوستاف لوبون في كتابه سيكولوجية الجماهير ورأى أنّ المجتمعات مجنونة بطبيعتها، فالجماهير في نظره غير مبالغة للتأمل وغير مؤهلة للمحاكمة العقليّة، حتّى وصل الأمر بالمالتوس الإنكليزيّ أن ألقى اللوم على الطبيعة ورأى أنّ الحروب والمجاعات والأوبئة والأمراض هي موانع إيجابيّة لإعادة التوازن بين نموّ السكان ونموّ الموارد الغذائيّة، وظلّت هذه النظرة الاقتصاديّة التي تتحكّم بالرأسماليّة العالميّة التي لم تتخلّص من المالتوسيّة إلاّ بعد أن صارت زيادة السكّان مرتبطة بزيادة الاستهلاك وزيادة العمال وبالتالي إلى زيادة البطالة كي يستطيع الرأسماليّ التحكّم بالعمال وأجورهم.

بعد أربعة قرون من وفاة ميكافيلي انتشرت أفكاره حول المجتمع والسلطة والدولة، والذي طرح فكرة أنّ كلّ ما هو مفيد ضروري، وبالتالي صارت النفعية والواقعية السياسيّة السمة الظاهرة للعصر، أي للقرن العشرين، وهذا ما تبدّى في الحربين العالميّتين الأولى والثانية التي تأثرت بالمالتوسيّة والميكافيليّة ضمن بوتقة هيغل الذي مَجَّد الدولة القوميّة، معتبراً إيّاها

## الصراع الإنساني... الأسباب والنتائج

«عبدالعزیز حمدوش»



كثيرٌ من النظم الفكرية المتصلة بالسياسة والدين والتي يُروَّج على أنها أيديولوجيا هي في حقيقة الأمر أدوات ترويض للإنسان لسلب الإرادة باعتبارها العائق الأساسي أمام مشاريع السيطرة، ووفق هذا المنحى يُنظرُ إلى قضايا الشعوب ومطالباتها بالحرية وتحقيق ذاتها على أنها حالات من التوحش والتمرد يجب وضع حد لها وإخضاعها بما أوتي من قوة، أي قيادتها بالخوف والقهر، وتدفع القوى المسيطرة بطوابير الجيوش لتحقيق هذه الغاية، فيما يشبه فعل السائس في ميدان ترويض الخيول البرية، لتستجيب نتيجة للتدريب لأوامر من يمتطي صهوتها ويُمسك بالزمام، ووظيفة الجيوش النظامية لا تختلف من حيث المهمة عن المرتزقة إلا بالاسم وهيكلية التنظيم، فهي تشاركها أيضاً عملية غسل الدماغ وتسبقها فيها، لتؤدي المهام الموكلة إليها بصرف النظر عن عدالة القضية أو مشروعية الحرب، بل من منطلق الولاء لولي النعمة الذي تمثله السلطة الحاكمة.

والمحصلة أن أبناء الطبقة الواحدة غالباً هم الضحايا على طرفي ميدان الحرب فهم ممثلو النظام القائم المدافعون عنه باسم الشرعية، والمتمردون الخارجون على القانون في الطرف الآخر، والقضية هنا تأخذ بعداً قانونياً تراكمياً ليس إلا، فالقوانين والدساتير ومعظم القواعد الاجتماعية تسهم في إيجاد مسوغات الحرب وشرعيتها لمصلحة السلطة القائمة، إلى أن يحدث الانقلاب على القانون نفسه ويُنسَف دفعة واحدة، فسقوط القانون هو إسقاط لشرعية النظام، الاستعصاء القانوني ومناعته أمام السقوط أو عدم التصدي لإعطائه تأويلات تمثل مصلحة العامة يعني استمرار الصراع السلطوي، ما دامت النصوص القانونية سارية المفعول، وهي كذلك غالباً، ويأخذ الصراع شكل جولات كلما توفرت له الظروف.

المرونة في إحداث التغيير القانوني أو الحد الأدنى منه هو علامة وجود حراكٍ فكري مجتمعي حرّ قادر على التصدي لمطالبات المرحلة ويلبي حاجات الناس، ويتوقف كل ذلك على تحديد الجهة المخولة أن تكون منبع القانون، ففي حالة الانقسام الطبقي والفئوي غالباً ما يستجيب القانون لمصلحة فريق دون آخر. والقضية تبدأ من اعتبارات اجتماعية أولاً والتأسيس عليها ومن ثم الانتقال إلى خطط العمل السياسي والاقتصادي والبيئة الثقافية التي تراعي التركيبة المجتمعية، فالإشكال قانوني يعكس واقع الإشكال الاجتماعي وعدم الانسجام فيه. فطبيعة

أو الانتقال إلى المستوى الوطني والقومي وما في حكمهما، بذلك يأخذ الصراع بعداً أيديولوجياً وفكرياً أو دينياً مقدساً، ففي الحروب الوطنية والقومية، يتم إبراز الشخصية الجماعية على أنها القيمة الأعلى ومن واجب الأفراد التضحية بحياتهم الخاصة لبقاء تلك الشخصية، ليصلوا الخلود أبداً أماماً في ذاكرة الأمة الجماعية، الحديث هنا لا يتصل بنوع حروب المقاومة التي تفرض نفسها على الأمة من قبيل الدفاع المشروع عن حق الحياة من التعدي، والتي تصوغ حالة التماهي بين الشخصييتين الفردية والجماعية، وما كان سبباً للحرب سيجتمع المقاومين في جبهة واحدة، فلو أن حرباً شنت على جماعة لسبب عقائدي فعندئذٍ ستتحول تلك العقيدة إلى رافعة واحدة تجمع الناس ليؤسسوا معاً مقاومة يدافعون فيها عن العقيدة، في حين أن تلك العقيدة فشلت في اختبارات التعاون والتقارب بين أولئك الناس أنفسهم قبل الحرب، هذا ينطبق على حروب الاستقلال الوطني ومقارعة المحتل.

تأخذ الحرب طابع الجهاد المقدس إرضاءً لإله صيغ وفق نسق من الأفكار والنظريات المتضاربة، يتخذ موقف الشاهد في عليائه يبارك المحاربين في سبيله ويكافئهم ويقربهم لديه زلفى، هنا لا بد لتلك النظريات أن تستغرق في خلق صور عن عالم غيبي، لا يسع الناس إدراكه لتجاوزه حدود الحياة، والموت هو العتبة التي يجب تجاوزها ليلوغ ذلك العالم، والذي يُقدّم على أنه نمط من

الاحتفاليات المستمرة بلا حدود، يُجزى فيها المحارب بكل المتع تعويضاً عما تخلى عنه في حياته الأولى، ولكن السؤال: لصالح من تم ذلك التخلي؟

الأصعب أن القضية لا تتوقف عند حالة الزهد بما توفر في اليد من متاع الحياة ومباهجها، بل بالإقبال في رسوخ من الإيمان وثبات القلب على بذل الحياة وقتل النفس والغير طمعاً بمزيد من الرضا الغيبي، ولعل عوامل داخلية أكثر من الظروف المحيطة تمنع المحارب فرصة مساءلة نفسه ولو مرة واحدة، ورغم أن العقل البشري سمته التمرد، والإنسان مزودٌ بالية دفاعية معقدة تتدخل في مواطن الخطر، حيث لا فرص متاحة للتفكير المنطقي ومراجعة المسائل، فتتخذ من التهلكة، وتمنحه طوق النجاة، ويبدو أن هذه الآلية تتوقف، وأن ثمة عوامل تعطل العقل وتأسره تماماً

الحياة الإنسانية لا تثبت على نمطية واحدة، بل تخضع للتغيير من مرحلة لأخرى. وإذا كان النص القانوني يمثل ذهنية المجتمع ومرجعية الفصل في الخلافات وقوتها السلوك، فإنه لا ينبغي له أن يكون متخلفاً عن الجراك الاجتماعي ومُقطعاً عنه زمنياً، ولا أن يتقدم عليه أشواطاً بعيدة فيحمل الناس ما لا تطيق، فالنص يجب أن يتضمن روح العصر ولا يتجاوز خصوصية المجتمع.

القانون يمثل حالة الأمة الثقافية ومعايير قياس السلوك، ليكون الميزان الذي تحاكم بموجبه أعمال الناس، وهنا يجب ألا يشكل تطبيقه عبئاً إضافياً يُثقل كواهلهم ومصدر خشيتهم.

لم تتمكن المجتمعات الإنسانية واقعاً من نمذجة قوانينها، سواء في صيغتها النظرية أو تطبيقها العملي، لأن ذلك قولاً واحداً هو الضمير المجتمعي، وهنا لا يحتاج تطبيق النص عمل أجهزة الرقابة والمحاسبة، وللمفارقة أنه عموماً يحتاج إلى القوة في التطبيق، ومحصلة جمع القوة والنص تعني الدولة تماماً ككيان سيادي سياسي وممثلاً لكتلة ديمغرافية قد تكون مزيجاً لأعراق وقوميات وأديان جمعتها ظرفية تاريخية في إطار جغرافي محدد، وواقع الفساد يكمن بحضور القوة دون النص، ليكون حالة تسلط بعض على آخرين، باسم القانون المغيب فكرة، والحاضر عبر أدياء له، وتحول القانون منقسماً إلى امتياز يختص بالبعض ومسؤولية تختص بآخرين هو عين الفساد.

اللباس الظاهر للحرب هو العقائد والأديان والنظريات التي تستند إليها ووفقاً لها يُجند مزيد من المقاتلين، أي حديث عن الحرب هو عن سلوك وحشي في غاية القسوة، وإن لم يكن القتل فيها غاية، فهو حتماً نتيجة محتملة جداً، والقضية متعلقة بأسمى قيمة لدى الإنسان أعطيت للناس دونما اجتهاد منهم وعلى قدر المساواة، والحرب هي شكل التنافس لنزع هذا العطاء، وأياً كانت قيمة الأشياء التي حولنا فهي لا تقارن بحق الحياة، وما يعيش المرء به لا يستحق أن يموت أو يقتل لأجله، ولذلك لا مبرر أبداً للقتل لأنه أقصى حالات التعدي، ومن أجل إملاء هذا الفراغ وإعطاء الحرب مسوغاً، تم اللجوء إلى البعد الغيبي لاقتباس المبرر،

القانون يمثل حالة الأمة الثقافية ومعايير قياس السلوك، ليكون الميزان الذي تحاكم بموجبه أعمال الناس، وهنا يجب ألا يشكل تطبيقه عبئاً إضافياً يُثقل كواهلهم ومصدر

واقعاً، فمساحة السلطة تُطابق تماماً حجم المساحة التي تخلي الناس عنها، وهم عندما يتوقفون عن التخلي المجاني، تسقط السلطة المستبدة المتألّهة.

شهدت أوروبا هذا النموذج من التلاعب بعقول الناس وتاجرت الكنيسة «بصكوك الغفران» على حساب تضحية السيد المسيح، وأن بوسع العامة أن يبتاعوا قسطاً من فائض القربان المقدس تكفيراً عن آثامهم، ومارس القساوسة ورجال الدين صوراً قاسية من الوصاية على العقول وحاربوها، ورموا المفكرين والمصلحين بتهم الكفر والهطقة، ومثل الكثيرون أمام محاكم التفتيش، ولم تتجاوز أوروبا تلك المرحلة السوداء من تاريخها إلا بدفع القرايين بالجملة على مذبح الحرية، لتطلق سراح العقل من زنانة التخلف، وترفع عنه الوصاية، ولتنوقف الأرض عن حركتها منتقلة من قرن إلى آخر لثور ضخم. وتأخذ مسارها في المجموعة الشمسية تدور حول نفسها والشمس حرةً، فالأرض أخيراً كروية.

المثير للغرابة هو حالة التبادل الفكري بين الشرق والغرب غير المتوازنة، فغابت عنها الندية، لتكون تبادلاً للأدوار وليس حواراً حضارياً، ولتعود الهوة واسعة يقصر عنها القياس؛ ولكن مع اختلاف جهة رجحان الكفة، فقد انتقل كل التراث الحضاري الذي راكمه الشرق عابراً ما كان يُدعى بحر «الروم»، وبالتالي لم تبدأ أوروبا نهضتها العلمية والمعرفية من العدم، بل من حيث وصل الشرق بكل حضاراته هندية، صينية، فارسية، عربية وكذلك إغريقية، وبالمقابل انتقلت محاكم التفتيش إلى الشرق تحاكم الناس على الدين والمذهب والهوية، وكذلك مقصلة الثورة الفرنسية وبدائية الصحراء، والمسافة باتت كبيرة جداً بين صاروخ يُطلق إلى الفضاء لغاية البحث العلمي ودراسة إمكانية الحياة على كوكب آخر، وبين سباق الهجن الذي يُعيد سيرة داحس والغبراء ويستحضرها من عمق التاريخ إلى الألفية الثالثة.

الحديث شائك عن أسباب تنازع البشر وحروبهم، وقد يقود للاستغراق في التاريخ لدرجة التيه، فلا تسعفنا فرصة للخروج بنتيجة مجملية.

البشر متماثلون من حيث الجوهر والأصل، وكل فرد حائز على حق الحياة بمجرد روده إلى حيز الوجود في الحياة كقدر لا يملك القرار فيه، باعتباره منحة أعطيت للناس جميعاً على نحو من المساواة التامة، على أن الوجود سابق للقوانين والقواعد على اختلاف أنواعها،

لصالح فكرة الحرب فقط، دون الخوض في أهدافها ونتائجها، إلا ضمن حدود ما تمّ تلقينه، والسؤال المهم: هل يحتاج الإله كل هذا العطاء من البشر؟ لا يمكن لتلك النظريات أن تعطي جواباً منطقيّاً، فهي تشبه إلى حدّ كبير نسيج العنكبوت يلف العقول، ورغم أنها واهنة جداً ولكنها تمنع وضوح الرؤية، والإله وفقها يجمع في صفاته بين جملة المتناقضات، فهو مانح الحياة، راغب بالتضحية وكأنه يسترجع ما أعطى، وهو رحيم بالبشر والخلق، متعطف لدمائهم، يشكرونه تارة حمداً وسلامتهم وأخرى لأنه أمكنهم من رقاب الآخرين.

إن فكرة الإله تقوم في أحد أهم جوانبها على الإقرار الإنساني بالعجز والقصور، تجاه القدرة المطلقة، وتتطوي على علاقة المحدود المادي في إطار ما يُصطلح عليه بالطبيعة مع اللامحدود أو ما وراء الطبيعية «المتافيزيقيا»، هنا المسافة جدّ كبيرة غير قابلة للقياس، وكان من شأن الأنبياء والرسل أن عملوا ضمن حدود هذه المسافة، فكانوا جسور تواصل رسالية، ولهذا كان من الممكن تصديق المعجزات تجري على أيديهم، ولكن ماذا عن اليوم وعن سائر البشر؟

إننا ننصّر الإله غنياً مطلقاً، وبالتالي فإن استغناؤه عما غيره هو مطلق كذلك، ومن كان غناه كذلك تنتفي عنه كل صور الحاجة، لا بل إن الحاجة تُسقط الألوهية، لأنها تنزل مقامه إلى مرتبة المخلوقات وسائر الكائنات التي خلقها من غير عون أو اتكال، ولا يستقيم عقلاً الجمع بين نقيضين الغنى والحاجة في صورة الإله، وأكثر من ذلك فالمطلق مفهوم يُسقط معه كل شكل للمحاكمة والمقايسة، إذ ليس لدى المحدود آلية قياس اللامحدود لاستحالة إدراكه، أو الجمع بين المطلق والشك إلا أن يكون تطفلاً فكرياً وإقحاماً مشوهاً للعقول، للوصول إلى الوصاية عليها بعد تعطيلها.

بهذه الصورة سبق المتدينون من يعتبرونهم مُلحدّين في تشويه صورة الإله، ولا نقول الإله نفسه، لإيماننا بأن الإله أعز وأجل من كل ذلك، وما يحدث هو هرطقة أو تجديف على الله باسم الدين، وخروج عليه باسمه، وخطورة المسألة تتأتى من كونها تلبس الكفر لبوس الإيمان، فتجعل من جرائم القتل جهاداً ومن الانتحار شهادة.

الحقيقة أن كل ما تمّ التخلي عنه طواعيةً بدافع الإيمان والتقرب من الإله تراكمه السلطة الحاكمة لصالحها فتزيد من رصيد سلطتها وحالة الاحتكار لها، ولتكون صورة الإله المحتاج هي نفسها السلطة القائمة

وتخيل وجود إنسان يعيش في جزيرة نائية فما حاجته للقيم والقانون الأخلاقي، هنا الحاكم الأساس للسلوك هو الحاجة المادية وضرورة العيش فقط، ولا داعي لرضه على أي قانون للنظر في مدى صوابها، مجرد الحاجة هو القانون الذي يقود الحياة، ثم هل في شكل هذه الحياة وجود لقوانين أصلاً؟ هي الفطرة في إطارها الغريزي البدائي ليس إلا، فتقييم السلوك يحتاج لجملة مقارنة وهي المحيط الاجتماعي، وبعبارة أخرى إن حاجة الإنسان لنمط حياة مجتمعية هو الذي يمنح الوجود الإنساني معنى ويوفر البيئة لتطبيق أمثل للقانون الأخلاقي.

السلوك الفردي يُقاس في سياق المجتمع ضمن أطر تتسلسل من أضيق إلى أوسع، والمجتمعات تُقاس في الإطار الإنساني العام، والطابع الاجتماعي مشترك بين الإنسان وباقي الكائنات ولكنه عند الإنسان أكثر استعداداً للتغير والعقلنة ما يحزره من سطوة البهائية والغرائزية التي لا تعي ذاتها إلا في إطار الحاجة التي تجذب البحث عن سبيل إشباع حتى تسكن وتهدأ حتى حين فتعود للثورة مجدداً، وكذلك فهو الباعث الحقيقي للعمران والتطور عند الإنسان، المعيار هنا أيضاً أخلاقي، فيما بقيت الكائنات الحية الأخرى في مستوى واحد من نمط الحياة تحكمها الغريزة فلا تتجاوزها، إلا إذا تم إخضاعها لشروط بيئية جديدة فإنها أيضاً تمتلك إمكانية الاستجابة المشروطة للتغيير، ولكنها لا تقارن بالإنسان أبداً.

ثمّة خلط خطير في المعنى بين مفهومي المساواة والعدالة، فقانون المساواة الصّارم يشتمل على المحاصصة المتساوية في خير الأرض والقيمة الأخلاقية بصرف النظر عن اللون والجنس والعرق، وأما مراعاة التفاوت وفق استحقاقات العمل والاستثناءات الظرفية والخصوصية فهو مضمون قانون العدالة، على أنّ حياة الإنسان تبدأ من التطابق بين القانونين، ثم إنهما يفترقان لتكون المساواة منطلقاً لتحقيق العدالة بين الناس.

يتوافق معنى الوجود دائماً بفكرتي الحضور والغياب ولهما معان اصطلاحية تتصل بحجم الدور الذي يقوم به الإنسان، وإذا كان الوجود مطلقاً فإن الحضور معناه نسبي متعلق بقيمة العمل ومعناه الأخلاقي، ربما يكون المعنى الآخر للغياب هو الفناء أو الموت، أو المعنى المناقض للوجود فهو العدم، والحديث عن صراع البشر يتصل بالموت كنتيجة له، قد يكون المصطلح الذي له علاقة بسبب الحروب هو «التغيب»، وهو

ومن المتفق أنّ الإرادة التي شاعت ذلك مقدسة ما يكسب الوجود قدسية تستحقها من قدسية تلك الإرادة، ولا معنى حاجة لإثبات شيء تساوى الناس فيه، تشكل مسألة التساوي أولى الحقائق الأساسية وتأسيساً عليها تبنى الحقائق الفرعية، فالإثبات ضمناً هو إقراراً بالتفاضل والتباين وهو ينسف فرضية التساوي، الوجود يُعرف بنقيضه وهو العدم، وهما مفهومان متقابلان غير قابلان للاجتزاء والقسمة، فإما وجود أو عدم، والقول بخوض الصراع أو التنازع من أجل إثبات الوجود شكل من الأدلجة للصراع لا أكثر، فالواقع أنّ الإنسان يخوض الصراع إذا مُنعت عنه حاجاته المادية الطبيعية أو صودرت أو تعرض لأي شكل من التعدي فتأخذ القضية بعداً حقيقياً، وأما لمجرد التجاهل أو التعامي والتجاهل فتلك ليست بقضية لعدم ترتب نتائج عنها، هنا خلط في المفاهيم، بين إثبات الوجود وإعطائه المعنى، وقد يعطيان المعنى ذاته كأحد مبررات الصراع يتقدم إلى صدارة الأولويات الحقوقية.

القضية الأساس ومحل الاختبار للأفراد والجماعات والأمم هو إعطاء معنى أخلاقي للوجود، وهنا محل التفاضل والتنافس، ومن المهم أن نعرف أنّ القانون الأخلاقي فطري طبيعي، وما من تغيير طراً على مضمونه ولا تبديل في مساره العام، وقيمة الوجود الإنساني المقدس لا ينتقص منها شيء، ولكن ثمة تطورات وتبدلات في المظهر والسلوك ومنهج العمل باتجاه حياة أقل تعبا وإرهاقا، ولكن ليس علي حساب المضمون أو القيمة الأخلاقية، بل هي نتيجة للتطور المعرفي والإنجاز العلمي الذي تحققه البشرية باطراد والتي ما زالت مقياس تحضر الأفراد والشعوب، وبالتالي ليس من شأن القانون الأخلاقي استيعاب المتغيرات الطارئة على حياة الناس، فتلك مهمة القواعد الاجتماعية والقوانين الوضعية التي يجب أن تسير حركة الحياة، بل أنّه يحافظ على صفة الثبات عبر الزمان والمكان، يلخص كل ذلك القول إن الإنسانية الحقّة هي القانون الأخلاقي.

المسألة تفتح الباب لمفهوم الشرعية، والتي تعني مدى مطابقة السلوك الإنساني للقانون الأخلاقي، وانسجامه مع الفطرة السليمة والتكوين الطبيعي، والفطرة تأخذ معنى النقاء والسلامة من كل انحراف في الفكر والسلوك.

الإنسان عاجز منعزلاً بذاته عن إنجاز المعنى الأخلاقي، والصحيح أنّه لا يحتاجه، ولو جاز أن

ذلك يقود للقول بأن مجتمعاتنا ونظامنا الاقتصادي يقوم على أساس فكرة زائفة تماماً مفادها أننا البشر فرديون أنانيون وأن تصرفاتنا وسلوكنا هي مصداق صفات فطرية ووراثية جينية لها اليد العليا في التحكم في طبيعتنا، وتم الترويج لهذه الفكرة وانتشر أتباعها بشكل خطير في بناء كل المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، وهي تنطوي على تبرير عملية ازدواجية في التطبيق، فمن جهة تلتزم المبررات للبعض في أخطائهم وتبرئ ساحتهم ومن جهة أخرى تضيق الخناق على آخرين وتقرح استخدام القوة في التعامل معهم لترويضهم، والفارق بين الطرفين هو القوة.

في الحقيقة إنَّ البشر كائنات اجتماعية وسماتهم البيولوجية والوراثية محكومة بالبيئة وبالتجارب الحياتية التي يخوضونها، وقد تتسبب هذه التجارب أحياناً بانحرافات جينية وليس العكس، وإذا افترضنا أن هنالك أشخاصاً يحملون انحرافات جينية وراثية تعزز أو تحرض فيهم السلوك العدواني وتم نقلهم للعيش في ظروف مختلفة أكثر ملاءمة، فمن المرجح أن هذه الانحرافات الوراثية تتحسر تدريجياً وصولاً للاختفاء، وهو الدور الطبيعي للبيئة في تكوين الإنسان وتأهيله، وكذلك لآليات الاستجابة لمقتضيات البيئة والتعديل السلوكي.

وتظهر التجارب العلمية الحديثة أن الحيوانات تغير تصرفاتها بحكم البيئة وبأن بعض الضواري والجوارح والزواحف الفتاكة كالأسود والنمور والأفاعي قد أمكن تغيير سلوكها العدواني عندما تنشأ في ظروف مختلفة مغايرة، وكذلك بعض الأسماك والحيوانات البحرية التي تعيش في أحواض خاصة قد تم ترويضها وتأهيلها وتلقينها وأنها تدريجياً تفلح عن اقتراس وأكل بعضها البعض عندما يتم توفير الغذاء لها ببسر، ووفق برامج منظمة زمنية تأخذ بالحسبان حاجاتها ونظامها الغذائي، هنا ثمة حالات انتقال متناقضتان، من وإلى التوحش، أو أنها بنفس الوقت من وإلى المودعة والمسالمة، ويظهر فيهما أن البيئة المحيطة تلعب فيهما الدور الحاسم، والفارق الجوهرية بين الإنسان والحيوان، إنَّ إشباع الحاجات المادية لدى الإنسان يأخذ طابعاً أكثر تطوراً ويمكنه ليس فقط إخضاعها وملاءمتها مع قواعد اجتماعية، بل وجعلها مناسبات وعوامل للتواصل

بمعناه الشامل الانتقاص أو مصادرة أي حق طبيعي للإنسان، وبذلك فإن كل أشكال التعدي من قبيل الظلم ومنع الحريات والاحتلال لا تخرج عن إطار التغيب، والحضور بمقابلها يرتب على الإنسان العمل على رفع التعدي أيًا كان شكله، الحضور يأخذ معنى الدور وليس الوجود، إذ لا تعدي على غير موجود، وأما تغيب الذات سواءً على مستوى الأفراد أو المجتمع، فهو شكل من التقصير وظلم يوقعه المرء بنفسه، وإعادة التوازن الطبيعي يستلزم أيضاً العمل لتكامل الأدوار كلها.

القانون الطبيعي لا يتطلب أبداً حضور أحد على حساب تغيب آخر، ومصادرة أدوار الآخرين، فالحياة تأخذ توازنها اعتماداً على حضور الجميع، وهذا القانون يسري على كل الكائنات الحية، والإنسان بات يدرك بعد مراحل التطور العلمي والإيكولوجي أهمية الحفاظ على بعض الأجناس الحية المهددة بالانقراض وينشئ محميات طبيعية لها لحماية

وجودها وتكاثرها، ويمنع الرعي الجائر وتحطيم الغابات وتجفيف المسطحات المائية ويعالج مصارف المياه المؤدية إلى الأنهار، لما يشكله كل ذلك من مخاطر للإخلال بالتوازن البيئي، والقول بأن الحياة تستمر صحيح، ولكنها مختلفة التوازن في كثير من الجوانب، وفناء أي من الأجناس الحية يعني غياب دور في النظام الطبيعي.

وفي كل أشكال الصراع الإنساني حالات تمرّد على القانون الطبيعي،

فالإنسان هو أحد أنماط الوجود، ومن تجليات هذا التعدي فقدان التوازن الاجتماعي ومظاهر المجاعات والفقر والأمراض في مجتمعات، والتخمة والثراء الفاحش ومظاهر الرفاهية المبالغ فيها في مجتمعات أخرى.

لا شيء في حاجات الإنسان الطبيعية الأساسية يمكن أن يخلق التناقض بينه وبين الإنسان الآخر، فهو في الحد الأدنى صورة أخرى للمثيل، ومرآته هو نفسه، وبذلك فليس ثمة ما يدعو للتنازع أو الصراع ما دامت كل حاجاته تؤمن ببسر ودون مصادرة، ولتستكين دوافعه في حالة من الإشباع، إذ لا مشكلة في الفطرة، والاختلاف يقع في ميدان المعارف والخبرات المكتسبة وعوامل التربية، ولنعود إلى تأثير المحيط المجتمعي، وحالات الانحراف عن القيمة الأخلاقية للسلوك.

**القانون الطبيعي لا يتطلب أبداً حضور أحد على حساب تغيب آخر، ومصادرة أدوار الآخرين، فالحياة تأخذ توازنها اعتماداً على حضور الجميع، وهذا القانون يسري على كل الكائنات الحية**



التنازع، وبمقابلها تقوم «الوفرة» وهي محكومة بالطرفية والبيئية، أو المكان والزمان كشروط طبيعية، وأما يسعى الإنسان لحيازة الوفرة فيفسره نزوعه إلى «التملك» بما يفيض عن حاجة الاستهلاك، ولا تكمن المشكلة بأخذ الاستهلاك صورة الترف والتنعم، بل بمراكمة الخيرات من فوائض الاستهلاك لدرجة مبالغ فيها.

جاءت الاشتراكية لتقدم تصوراً لحل، ومجتمع قائم على الندرة وعجز المجتمع عن إقامة مجتمع الوفرة. لذلك اقترح ماركس إبداع السلطة في عهدة الطبقة العمالية «البروليتاريا» وتبني فكرة توزيع الموارد بطريقة أمثل، وقطع الطريق على مراكمة فوائض الإنتاج لصالح طبقة أو أفراد.

نعتقد بأن البشرية قد تجاوزت مجتمع الندرة ومعها جميع الأيديولوجيات الليبرالية والشيوعية وغيرها، ولكنها مازالت قاصرة في توجهاتها ونظرياتها لحل مشاكل الإنسانية الأعمق، والأرجح أن الاشتراكية كانت تجربة رائدة في ظرفيتها التاريخية لو تكاملت شروط تحققها، إذ أصابها النخر من الداخل وتوقفت عند حدود ركنت فيها لنموذج إداري شبه ثابت واستعاض النقص في استيعاب طموحات الناس بالسلطة، بينما كانت الرأسمالية تحقق إنجازات متقدمة وتقطع أشواطاً بعيدة في نموذج حياة الرفاهية والمتعة، على حساب عرق الناس وأنحاء قاداتهم وكدهم، ولكن ماكينتها الإعلامية وأدواتها التنظيمية كانت في حالة استنفار وتعمل على إجراء عمليات التجميل وإخفاء العيوب وتبرير الخطايا بما فيها القتل والاحتلال، واليوم فإن البشرية قد تجاوزت كل هذه الحلول القديمة ضيقة

مع المجتمع، ولكنها لدى الحيوان لا تتجاوز حدود الاستجابة الطبيعية لإشباع الدافع بشكل متيسر.

وما يبدو غالباً أنه تصرف فردي أو قرار اتخذته الفرد بوحى من إرادته هو في الواقع نتاج التجارب التي مر بها الإنسان وتأثير البيئة التي نشأ فيها، ولذلك نرى أن الجرائم والسلوكيات المنحرفة تتزايد في الأحياء الفقيرة أو في تجمعات الأقليات السكانية المهمشة بالكامل وخاصة اقتصادياً وخدميًا، وتؤكد الإحصاءات كيف أن معدلاتها ترتبط مباشرة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان وبمعدلات الرفاهية ومستوى تحقق العدالة الاجتماعية.

ليس من شأن الطبيعة أن تصادر من الإنسان شيئاً من حاجاته باعتباره هو نفسه أحد تجليات الطبيعة ذاتها، وهي لا تقوم على مبدأ التناقض، بأن تعطي الشيء وتمنعه بأن واحد، وأدنى درجات القانون الطبيعي هو البدائي الغريزي، وهو يقود السلوك إلى حيث تشبع الدوافع، دون تحديد الشكل والأسلوب فذلك ميدان القانون الأخلاقي، حيث تتمثل حاكمية العقل على السلوك لتكون النتيجة «أنسنة الدوافع» وهي الارتقاء بالسلوك من طورها البدائي واقتران الحاجة المادية بالغاية الأخلاقية، أي إدراك مضمون الفعل وإمكانية تنظيمه وتجنب الصدام بين الأفراد في سياق سعيهم لتأمين حاجاتهم.

ومن المهم الإشارة إلى أن الحاجات المادية تتجلى بصورة الاستهلاك، وانسام الدافع بصورة البقاء يفسره التجدد بعد كل حالة استهلاك، وهي في حدها الأدنى «الكفاف» الذي يضمن البقاء، وعلى هذا فإن ضمان تأمين «حد الكفاف» عامل مهم في التخفيف من حالات



للفاني أن يمتلك الباقي، ذلك من سنن الحياة وحقيقة ثابتة عابرة للزمان، لا تحتاج نظريات تؤيدها، ولذلك يجب تحرر الإنسان من وهم التملك.

الأصل في الملكية هو المشاعية وهي نقيض الملكية الفردية أو التطبيقية بل هي نفي كلي لها، والبشر متساوون في الشراكة في خيرات الطبيعة والصراعات بما فيها أشكال المنافسة السياسية والاقتصادية هي عمليات إزاحة منظمة للاستثمار بحصص الشركاء ومراكمتها في جهة واحدة وحرمانهم منها، وبهذا تتجلى الصورة الأقسى والأدق للاحتكار لتشتمل على سرقة الكدح والتعب والاحتفاظ بالسلطة كعامل يتضمن القوة وامتياز محصور بفتنة معينة اقتصادية أو سياسية أو قومية أو دينية ونزع كل الحقوق عن الآخرين، فنزعة التملك لا تتوقف عند حدود الاستيلاء على الجغرافيا وخيرات الأرض وتجاوزتها بالتطلع إلى الأراضي غير الخصبة والمراعي والسيطرة على المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية والمعايير البحرية الأساسية في العالم، ولم يعد يُنظر إلى الإنسان كوسيلة للصراع ومحارب في الميدان، وإنما كشكل من الملكية لها قيمتها المادية، ففي ظل تطور نظم الإنتاج الاقتصادي ويُشترى في أسواق النخاسة وتنتقل ملكيته من سلطة سيد إلى سيد آخر، ولتعدد أشكال العبودية المُقتعة كأن يسلم الإنسان نفسه طوعاً وفق منهجية عقائدية أو نظام اجتماعي ليكون تابعا مسلوب الإرادة همّه قوت يومه وأبسط شكل للعيش، وتسمية الناس بموالي السلطان وأتباعه أو عبيد الملك الذي يملك الأرض وما عليها، هو تجسيد للفكرة ذاتها.

قضية المرأة تأتي في الإطار نفسه، إذ يُنزع عنها الجوهر الإنساني وتعامل على أنها ساحة للمتعة المادية، وجعل ذلك ميراثاً ثقافياً ساهمت المرأة نفسها في نقله والخضوع له وتصدت في مفاصل كثيرة للجهد النسوي للخروج من عباءات الوصاية وقصور العقل ونقص الدين، والقبول أن تكون عالة اقتصادية مستهلكة فقط. الإنسان هو ذاته في مستوى دوافعه المادية وحاجاته أينما ومتى كان، وما تاريخه الشخصي إلا جملة السلوكيات والأعمال التي يقوم بها في سبيل الاستجابة لتلك الدوافع وتلبية حاجاته، ولكنه يقوم بتكييفها وفق القواعد السائدة في الإطار الاجتماعي المحيط. إن معظم النظم الاجتماعية التي عاش الإنسان في كنفها فرضت عليه أنماطاً سلوكية تم بموجبها

الأفق وباتت تنتطلع لاستحقاقات تستوعب حالة التطور الحضاري والحقوق.

لم تعد هناك حاجة لتوزيع الموارد فالصحيح هو توفيرها، نحن لا نقسم التفاحة بالتساوي بل توفير التفاح للجميع، هذا ما لم يكن ممكناً في الماضي ولكنه ممكن اليوم وهو الطموح.

كارل ماركس كان قد أشار إلى مجتمع الوفرة والتوزيع حسب الحاجات بدلاً من التوزيع حسب العمل ولكن الماركسية كانت منشغلة بإيجاد حلول فورية لمجتمع الندرة و بنت نظريتها «السياسية» على أساس كيفية تحقيق ذلك. لسنا بحاجة إلى عبادة النظريات، والأفكار ليست هويات بالنسبة إلينا. هذا هو ما يجري للأسف في عالمنا ويقوم به الكثير من الاشتراكيين واليساريين الذين يبحثون عن هوية فيقول أحدهم بأنه ستاليني وآخر بأنه تروتسكي أو غير ذلك.

الاشتراكية كانت طروحات سياسية لمرحلة انتقالية بين الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد القائم على الموارد، ولكنها فشلت في إقامة هذا المجتمع الانتقالي. ولا يهّم أسباب ذلك الفشل ولا نود أن نخوض في جدال حول ما إذا كان تحقيق هذا النظام ممكناً أصلاً، فالأهم من ذلك هو أن هذا النظام يعتمد على بقاء الدولة والسلطة والنظام القائم على النفوذ، ويحتاج إلى أجهزة بيروقراطية لإدارته، هذه الأجهزة يفترض أن تقوم بمراقبتها مجالس عمالية لمنع فسادها، ولكن مثل هذه الرقابة الاجتماعية فشلت في الماضي لأن الأجهزة البيروقراطية تمتلك وسائل السيطرة من جيوش ونفوذ وأموال تجعل فرصة المجالس العمالية ضعيفة في مراقبتها ومنع فسادها.

عندما يكون التملك على حساب مصادرة ومنع الحاجات الأساسية عن أفراد آخرين فإن دوافعهم ستصبح معلقة دون إشباع، ما يخلق حالات كبت تتناسب في حجمها مع حجم المنع الذي مُرس، وعموماً فالكبت أقل من أن يلغي الدافع لكنه يراكم التعطش بانتظار الفرصة المواتية للارتواء بصورة قد تتجاوز السلوك السوي، وتتجلى بالانفجار أحياناً إن تجاوزت حد الاحتمال.

الأرض هي ذاتها منذ آلاف السنين، تُزرع وتُحصد ويؤكل من خيرها، ويتناوب على ذلك الجيل بعد الجيل كلهم مضوا وبقيت الأرض حيث هي لتضم في ثراها كل من مضى، ولا زالت الأرض تُزرع وتُحصد ويؤكل نتاجها، الإنسان فإن والأرض باقية، ولا يمكن



استغلال دوافعه وحاجاته واستثمارها لدرجة كبيرة في شكل من المقايضة اكتنفت الكثير من الغبن والظلم لتجعله عبداً لها بمحض إرادته، ويرى حرته في ظل تلك التبعية ذلك لأن النظام أخذ صورة التعميم، والحرية رسمت لها أبعاداً محددة لا تتجاوز الإطار الخارجي لحلقة ترويض الحصان، ويجد أن حرته مقصورة على الجري ضمن الحلقة بالسرعة التي يشاء، دون أن يدري أن الحرية هي خارج الحلقة تماماً، المسألة هنا تطويع للإرادة والعقل، فالحرية داخل الحلقة كانت جزئية، إلا أنه يتنازل عن

الفكري أولاً والتنظيم السياسي والاقتصادي والعسكري والخروج من شرائق الشعارات والتحرر من نزعات الانتهازية والتسلق والتماهي في قضية الجماهير، ولعله من السهل أن تحقق الثورة حالة الانقلاب ولكنها تعجز عن إحداث التغيير والاستجابة لتطلعات الناس بما فيهم العاملين عليها، والسر أن الثورات تسلم قيادة أمورها من حيث تدري أو لا تدري، وقد شهدت كثير من النماذج الثورية حالات تم فيها أخذ الثورة بكل إنجازاتها في لحظات مفصلية وتحت العناوين والشعارات الثورية نفسها وباسم محاربة الظلم ورفع المعاناة، إلى موقع آخر، يفرغ الثورة من أهدافها، المسألة هي وجود قوى أكثر تنظيماً ولها برامج عمل متكاملة وتمتلك أفضية العبور إلى خط الثورة ولكنها تنتظر لحظة الانقضاض المناسبة والمتمثلة بالمرحلة الانتقالية، فتقوم بالاستيلاء على الأدوار مباشرة، فالقوى المهزومة تفضل تسليم كل الصلاحيات والامتيازات إلى أي طرف معارض على أن تسلمها لقوى المجتمع، ذلك لأن العلاقة بينهما عضوية، ولتصبح السلطة الجديدة هي حالة تطوّر أو فقرة بالنسبة للسلطة القديمة، ولتنتهي الثورة بمجرد تغيير الجلاذ فيما بقي السجين أسير الزنزانة نفسها.

تعبّر الأزمات عن حالة عجز في الرصيد الفكري وقصور في الجهد المجتمعي في إيجاد حلول للمشاكل المتراكمة والمسائل الحياتية التي عولجت بشكل مجتزأ، فنصف الحل هو بقاء نصف المشكلة.

هناك تناسب عكسي بين حجم الطبقة الاجتماعية الغنية بنفوذها وقوتها وسلطتها والطبقة الفقيرة، ولتكون كل زيادة على حساب نقص، وليناسب حجم الترف والرفاهية في طرف مع حجم العوز والحاجة في الطرف الآخر، المسألة هنا بنيوية محضة تتعلق بمجمل

الكل بوهم بكفاف الجزء، وربما جهلاً بأنه غير ملزم بالسير الدائري يعيد ما أنتجه بشكل آلي مراراً.

لم يكن بالوسع التحرر من صورة الإنسان المحارب في الميدان على ذمة قضية لا مصلحة له فيها إلا أن يكون حامل السلاح، فالنهضة الصناعية جعلت منه محارباً في ميدان المعمل، والرأسمالية التي استلمت مقاليد القيادة باحتكارها السلطة واستغلالها التقدم الصناعي كرّست عبودية الإنسان وجعلته متماهياً مع الآلة نفسها مكملاً دورها، باعتباره أداة الإنتاج أيضاً، فيما كان الرأسمالي يراكم فوائض الإنتاج لنفسه، ولتزداد الهوة الطبقيّة في المجتمع والتي يصعب ردمها إلا بجهد مجتمعي منظم يتجلى بالسلوك الثوري وهو القيام بفقرة كبيرة بحجم الهوة بدل التدرج البطيء لعمليات الإصلاح التي تستهلك مراحلها قبل أن تخلص إلى نهاية وتعرض إلى خرق في مستوى نظرياتها وقياداتها فتحرفها عن مسارها وأهدافها، كما أن معظم حالات الإصلاح والدعوات إلى تطبيق نظام العدالة الاجتماعية التي لم تتجاوز إطار التنظير لا تملك القدرة الملزمة لتنظيم المجتمع وتوحيد جهوده وظلت تراوح في إطار الترف الفكري، كما أنها قوبلت بنتائج فكرية مقابلة ومناهضة دافعت عن الرأسمالية وجملتها بعناوين الحرية والليبرالية وأضفت عليها القداسة ديناً جاعلة لها مضموناً أيديولوجياً يستقطب مزيداً من الأنصار.

حينما يكون الوجود موضوع الحديث، فإن القوى الاجتماعية التي ضاق الخناق عليها والتي تتشارك الألم والمعاناة ستجد في إنجاز الفقرة متنفساً ونهاية لألمها، ولا ضماناً لنجاح الثورة إلا بتطوير المستوى

أخرى، وتأخذ أبعاداً إضافية وتُصوّر كقضية وجودية وتهديداً لمصير فئة أو طائفة، ووفقاً للتوصيف الطبقي يصبح الصراع أثنيّاً عرقيّاً أو دينياً مذهبياً مثلاً، ومن طبيعة هذه الصراعات أن تترك جراحاً لا تندمل وتنتقل الذاكرة، ولتأخذ كل حالة صراع مقبلةً طابعاً ثأريّاً على ذمة صراع سابق وجيلٍ راحلٍ، ويصبح إنجاز الانتصار لعقيدة وفكر الطائفة هاجساً يأخذ معنى ضمان استمرار البقاء.

ربما يكون ذلك صحيحاً لدرجة كبيرة، والمسألة ليست بمجرد الاختلاف بقدر ما تتعلق «بالدلجة الطبيعية الصراع» فيكتسب سمة الديمومة، ومردّد ذلك أيضاً أنّ كل سلطة قائمة تجهد من خلال الصلاحيات وقوة السلطة والأيدولوجيا المفروضة في الإبادة الثقافية لمن عداها من الفئات والطوائف، وبذلك تختلط في الصراع معاني المقاومة والثورة والثأر والتمرد والتأديب وسلطة القانون، وبكل الأحوال تقود هذه الصراعات إلى مزيد من التشدد الدينيّ درجة التطرف والتعصب القوميّ درجة العنصرية، وتبدلات جوهرية في المنظومة الفكرية للمتنازعين، والضحايا من كل الأطراف هم قرايين انتقال السلطة. الحروب الإسلامية تنقسم إلى نوعين أحدهما التوسع وسُمّي «الفتوحات»، والآخر جسّد حالة الصراع السلطويّ، فالأمويون استولوا على السلطة عبر حلفاء أولها الانقلاب في موقعة الجمل وإعلان التمرد في صفين وبالتوازي مع تعديلات مهمة في مستوى الفكر والأيدولوجيا لشرعنة الصراع، وحين سيطر آل الزبير على دمشق كانت موقعة مرج راهط تثبيتاً لدعائم الحكم، وجاءت موقعة النهروان كحالة تمردٍ كاملةٍ استغرقت في الشكلية ومارست أقصى درجات العنف، وانتقل الحكم إلى العباسيين عبر ميدان معركة الزاب وقطع رأس الخليفة، والعثمانيون دخلوا سوريا عبر مرج دابق وحينما سيطروا كان حكمهم بالغلبة حتى استهلكوا كامل قوتهم ومرّوا بمرحلة احتضار ليتوقف عداد الزمن على أربعة عقود ثم ينحسر المدّ العثمانيّ نتيجة المواقف الأوروبية وتبلور نظام عالمي جديد تقوده فرنسا وبريطانيا فكانت سايكس بيكو التقسيم، وأما موجات الغزو المغولي والصليبيّ والاحتلال الأوروبيّ فهي لا تتصل بمعنى انتقال السلطة بل كانت حروب توسع واحتلال كما فعل العرب في مرحلة الإسلام الأولى.

النظام المجتمعيّ، وتحدّد الإطار العام له وكذلك مسار حركته وعلاقات الإنتاج وأنماط الحياة وأسلوب عملية التربية وصولاً لأدق التفاصيل.

مفهوم السلطة يقوم على المعنى ذاته، أي علاقة التناسب العكسيّ نفسها، إذ هو تراكم الصلاحيات والامتيازات لصالح جهة حاكمة، مقابل الانقياد والخضوع من عوام الناس، هنا يصبح مُسمّى «العوام» أكثر ملاءمة للسواد الأعظم من المجتمع، وحمّ المسافة الكبيرة ينطوي على انقطاع العلاقة المتوازنة بين طبقتين غير متكافئتين بالسلطة والنفوذ، وهذا هو تماماً ما توصف به حكومات الاستبداد، التي تقوم على تسخير الموارد لصالح جهة واحدة وتجسّد معنى السلطة المطلقة.

إنّ مفهوم السلطة يقوم على اقتران المعنى القانوني بالقوة الملزمة لتطبيقه، ويُفترض وجود حالة من التوازن الدقيق، فالقانون يُعتبر مقياساً مجتمعياً للسلك العام، ويذهب البعض بتعريفه بأنه ضمير المجتمع، فالحاجة للقوة تساوي مقدار ما غاب من القانون، والمشكلة هي حضور القوة متجاوزاً معنى الإلزام إلى العنف مع غياب القانون، وتصبح أجهزة السلطة منزّهة عن المساءلة مهما كانت سياساتها ونتائج ممارساتها، ووفقاً لذلك يكون الناس موضع السؤال لمجرد التصيير في ضروب الخضوع والولاء وتحت طائلة توجيه تهم الخيانة والتمرد، وإذا كانت السلطة قائمة على أساس الدين بتطويع نصوص الدين بما يوافقها، فالتكفير والردة ستكون تهماً جاهزة، والسلطان يصبح ممثل الإرادة الإلهية على الأرض، وهذا إن لم تصل السلطة درجة التآله نفسه، بإضفاء صفات الخلود والحكمة البالغة عليها، وأن الناس تعيش من فيض نعمها وخيراتها باعتبارها مالكة الأرض وما عليها.

بالمقابل فإن الإدارة تعني معنى مختلفاً وحركة بالجهة المعاكسة أي صعوداً من القواعد الشعبية واعتبارها مصدر التكليف والتوكيل وتنقلب المناصب من حالة امتياز واستثناء إلى مسؤولية وأمانة وعهدة قانونية بموجب التوكيل، والمنطلق أنّ حاجات الناس هي الأساس، فتتقلب جهة المساءلة ومعاييرها.

يعاني النظام السلطويّ من استعصاء في تداول السلطة، إذ تمر عبر نزاع وحالة أزمة تهز أركان المجتمع وقد تتحوّل لأزمة مفتوحة، فالقضية ليست مجرد انتقال صلاحيات، بل هي الدفاع عن امتيازات احتكرتها طائفة أو طبقة ومنع انتقالها لطبقة أو فئة

# حقيقة الحقيقة، حقيقة المؤامرة الدولية...

» زاخو شيار



حوّل القائد سجن إمرالي إلى مكان للعزلة والوحدة والزهد والاستبطان، تماماً مثلما فعل سيدنا محمد في غار حراء، ومثلما فعل آخرون لا داعي لذكرهم كونهم أشهر من نار على علم، في سبيل إنارة السبيل للبشرية جمعاء، معششين في ضميرها الحي وذاكرتها الاجتماعية الغائرة.

لطالما دارت الجدالات المحتدمة فيما يتعلق بجوهر الإنسان وحقيقة الكون وكيفية نشوئه، وفيما يخص الحياة الحقيقية وحقيقة الحياة ومعناها، وعلاقتها بالحرية والعدالة والمساواة. فمنهم من قال إن الحقيقة هي الظاهر الظاهرة للعيان، لا غير. ومنهم من قال إنها الحدسيات والأحاسيس الباطنية القوية، لأن كل ما هو موجود باسم الحياة مخفي في تلك الحدسيات التي لا يمكن الادعاء باستقلالها عن الكونين الأصغر والأكبر. ومنهم من آمن بأنها الروح التي تسكن بدن الإنسان وتطوف في كافة كائنات الطبيعة الحية. ومنهم من دافع بقوة عن كونها العقل المفكر دون غيره من العوامل الأخرى.

فما هي الحقيقة التي شغلت بال الإنسان؟ كيف يمكن الوصول إليها؟ يبدو أن المقصود بالحقيقة هو أفضل أساليب الوصول إلى معنى الحياة. ويبدو أيضاً أن الأسلوب اصطلاحاً يعني الموقف السليم أو الطريق المختصر الذي يؤدي إلى الهدف. ولدى نبشنا في أغوار التاريخ نجد أن الأسلوب الأول الذي يواجهنا هو التناول الميثولوجي للحوادث والمفاهيم كطريقة للكشف عن الحقيقة لأنه يستند إلى مفهوم كوني. فالملاحم والأساطير والميثولوجيات المععمة بالمقدسات، كانت ذهنية الحياة الأساسية في العصور الأولى على وجه الخصوص. ويُعتبر التوجه من المفهوم الميثولوجي صوب المفهوم الديني الدوغمائي مرحلة انتقالية عظمى مرتبطة بسيطرة التحول المرتكز إلى الهرمية والطبقية داخل المجتمع على الميدان الذهني. ذلك أن علاقة المتسلط والمستغل تحتاج إلى قوالب محصنة عن المساءلة. أما سبب الحاجة للمواقف الدينية؛ فلأن الحراك بموجب كلام الرب المتفوق والمتعالي على الطبيعة والمجتمع كان يُعتبر هدف الحياة وسبيل الوصول إلى الحقيقة. في حين أن الفلسفة ومن ثم العلم قاما بعد ذلك بالبحث عن الحقيقة بشتى فروعها ومدارسها، ليظهر بعض الفلاسفة الذين لم يكونوا أقل شأنًا من الأنبياء في



كل انتقاد لها وكل عمل على خرق آلية عملها وكل فكر قادر على دك دعائمها دليلاً على واقعية تطبيق المؤامرة قبل أن تتفشى ويصحو من تم إقحامه في فترة السبات الفكري والتنويم العقلي. وتتقاسم نظريات المؤامرة الحديثة جهاز المناعة هذا مع سلفها التاريخي الميثولوجي المسمى بعلم العفاريات، والذي كان يسود القرون الوسطى معتمداً على المبدأ المشهور: مسكون بالشیطان كل من أنكر وجود الشيطان.

ولعل آخر المتعرضين لغضب الآلهة هو معتقل الفكر والرأي، وأسير الحرية، القائد عبد الله أوجلان، الذي غضبت عليه آلهة الحداثة الرأسمالية لرفضه الخضوع لها أو الخنوع لأفكارها التي تسمم الذهن وتغسل الدماغ وتخرج الإنسان من إنسانيته بتجريده من شخصانيته وعواطفه الإنسانية أولاً، ومن مجتمعيته ثانياً. بل ولدكه دعائمها من الجذور من خلال فضحه لأمرها وإطلاقه صرخة الإنذار مشيراً إلى جلال الأمر وعظمة الخطر المحيط بالشعوب المظلومة. وهذا ما جعل المُنظِّرين المستحدثين لنظرية المؤامرة يناصرونه العداء الصارم منذ خطوه أولى خطواته على درب حل القضية الكردية، التي كانت متروكة في الوسط دون صاحب في بداية السبعينات من القرن العشرين، والتي كان يُشاع حينها أن كل من يلمسها مسكون بالشیطان، وبالتالي فهو يستحق الرجم لتطهيره من الدنس الذي حل به، بل ويستحق إلقاء شتى أنواع التعذيب به ليكون عبرة لمن يعتبر!!!

على الرغم من انتهاز القائد عبد الله أوجلان من أفكار الاشتراكية العلمية التي كانت في أوجها في بداية انطلاقته، إلا أنه كان غير راض عن مسيرة الاشتراكية المشيدة والتطبيق الميداني لتلك الأفكار، باحثاً دوماً عن أسباب الخطأ والزيغ الجاري عملياً. أي أنه أولى قيمة كبرى لدراسة كافة أشكال النضال الاجتماعي والتحرري الوطني والديمقراطي الحاصلة في التاريخ أجمع، ولكنه لم يكن يستكين بتاتا لأشكال مسيراتها العملية، مؤمناً بضرورة البحث عن مكان العطب والخلل الذي يجعل كل تلك النضالات تنتهي بنتائج مناقضة للأهداف التي انطلقت من أجلها وأراقت الدماء الغزيرة إكراماً لها. وهذا بالذات ما قض مضاجع الحكام الرأسماليين، فدبروا له المؤامرة تلو الأخرى، لتكون آخرتها وأشملها تلك المؤامرة الدولية المطبقة في الخامس عشر من شباط عام ١٩٩٩، وذلك بعدما فشلت جميع المؤامرات الأخرى المطبقة بأشكال شتى وفي أزمنة مختلفة لا داعي لذكرها هنا لعلم الجميع بها.

تحمل المصاعب والمشقات في سبيل الذود عن الحقيقة التي توصلوا إليها، فكلفتهم حياتهم ثمناً لها.

ويتبين من مرافعات القائد أبو أن جميع الأساليب المجربة تحمل قسماً من الحقيقة، وأنه لأجل الوصول إلى حقيقة الحقيقة، لا بد من تناول الأمور بعين كلياتية متكاملة، دون اللجوء إلى الاختزالية والإسقاطية المرصية السائدة حالياً في كافة العلوم عموماً وفي علوم الاجتماع على وجه الخصوص. بمعنى آخر، وبما أن مجموع الأساليب المذكورة أعلاه يعبر عن جوهر الإنسان وكذلك عن المجتمع كطبيعة ثانية، فمن الأصح أن يشكل الإنسان والمجتمع وحدة الحقيقة الأولية التي يمكن الانطلاق منها في التوجه صوب الحقيقة، وذلك لما يتميز به الإنسان من ذكاء عاطفي وتحليلي، ومن مشاعر جياشة وعقل حكيم، ومن ذرات مرتبة ومنسقة بأعلى درجات الإحكام والرقي، ومن طاقة كامنة هي الأرقى والأكثر مرونة من بين جميع الكائنات الحية الأخرى.

فالذكاء العاطفي كأقدم أنواع الذكاء، وظيفته هي الدفاع عن الذات وحماية الحياة بأفضل الأشكال، نظراً لروابطه الوطيدة معها. لكن تطور الذكاء التصوري المجرد، والذي يمكن تسميته أيضاً بالذكاء التحليلي، ورغم كونه تطوراً مذهباً من حيث اختراع الأسماء والكلمات والجمل وترسيخها في الذهن؛ إلا أنه بالمقابل أدى إلى أوضاع خطيرة ومستجدات مروعة، نظراً لعمله بشكل منفصل عن العواطف، وكفأته في صياغة المخططات ونصب الفخاخ وحبك المؤامرات والدسائس. فيغدو بذلك بلوغ الهدف بالمكائد الممنهجة وبشتى أنواع الحيل سبباً رئيسياً وراء بروز واستفحال المشاكل داخل المجتمع وخارجه.

ونظرة خاطفة إلى التاريخ تشير إلى أن إسدال الستار عن الحقيقة أو السعي لكشف النقاب عنها لم يكن بالأمر السهل، بل كثيراً ما كلف ذلك المرء حياته ثمناً لها، ليشار له بالبنان بعد مرور قرون عديدة على قول كلمة الحق. وما آدم وإبراهيم الخليل وسيدنا محمد وموسى وعيسى وماني ومنصور الحلاج وسانت باول وبرونو سوي غيظ من فيض من أمثلة الأنبياء والفلاسفة والعلماء المتعرضين لغضب آلهة النظام القائم في شتى العصور والأزمنة، بعد قتل تقبيدهم بألف قيد وقيد إلى العجلات الدائرة في فلك النظام السائد، وعدم التمكن من صهرهم في بوتقته. من هنا كانت نظريات المؤامرة سلاحاً هاماً تم الإشهار به في وجه أولئك المتمردين على النظام القائم. فقد ركبت نظريات المؤامرة منزلقة نادراً، بحيث يصبح

تدوين نهاية سعيدة لصالح حرية الشعوب المضطهدة والمسحوقه أهم بكثير من التحول إلى جزء من خيبة الأمل التي تترك أثرها على تاريخها المأساوي وقدرها المتكرر حتى الآن بشكل أو بآخر.

بمعنى آخر، كان القائد على قناعة تامة بأن الحقيقة، أو بالأحرى الحقائق، مستورة بألف قناع وقناع، ومحصنة بألف درع ودرع. وانطلاقاً من ذلك حول القائد سجن إمرالي إلى مكان للعزلة والوحدة والزهد والاستبطان، تماماً مثلما فعل سيدنا محمد في غار حراء، ومثلما فعل آخرون لا داعي لذكرهم كونهم أشهر من نار على علم، في سبيل إنارة السبيل للبشرية جمعاء، معششين في ضميرها الحي وذاكرتها الاجتماعية الغائرة. أجل، لقد اعتمد القائد على الأدلة الأثرية المكتشفة مؤخراً، إلى جانب اعتماده على الدلائل العلمية، والمذاهب الفلسفية والطرائق الدينية والملاحم الميثولوجية والأديان التوحيدية الكبرى، منتهلاً من كل واحدة منها بعضاً من الحقائق الخفية المستورة فيها، وجامعاً إياها في تركيبة جديدة مؤطرة بتحليلاته الخاصة به، بالغاً بذلك قمة تعمقه، وبالتالي صفائه الفكري والذهني أيديولوجياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً وتاريخياً وعلى جميع الأصعدة الأخرى أيضاً، ليلحق الضربة القاضية بأعداء نهضة وتثور البشرية من قوى ظلامية رأسمالية متحكمة بالعالم عموماً ومهيمنة على منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص.

هكذا أفرغ القائد المؤامرة الدولية من فحواها، معتمداً في ذلك على تعمقه الفكري هذا، ومستمداً قوته أيضاً من الانتفاضات الشعبية المشرفة ومن المقاومات الباسلة التي أبداها كوادره الفدائيون على ذرا الجبال وفي كافة أجزاء كردستان وبلاد المهجر. بالتالي، فقد تحول القائد في سجن إمرالي المعزول إلى شعلة نور يقصدها كل المتخبطين في الظلمات الحالكة التي تسلطها الحداثة الرأسمالية عن طريق دعائمها الثلاث، أي الرأسمالية والدولتية القومية والصناعوية، والتي هي أشبه بالأحصنة الثلاثية العداة لإقامة القيامة. وهذا ما جعل آفاق بحثه عن الحقيقة تتخطى إطارها الكردستاني والشرق أوسطي، لتصبح بالتالي عالمية بل ومعنية بالكون برمته، بحثاً عن سبيل للخروج من قضايا الحياة المبعدة عن قيم الحرية، والمُتقلبة بالأخطاء والضلال.

نظراً لسيادة وجهة النظر القائلة بأن التاريخ عبارة عن تكرار فظ للحوادث والوقائع بسبب سيره على خط مستقيم، فقد كان أمل القوى الدولية أن يكرر التاريخ نفسه في حادثة اعتقال القائد العظيم عبد الله أوجلان أيضاً. وبناء على ذلك تم اختيار شهر شباط لتنفيذ هذه المؤامرة الشنيعة. ففي هذا الشهر كان قد تم الإقرار بإعدام الشيخ سعيد بعد إيقاعه في الفخ المنسوب له في بدايات القرن العشرين حصيلة مؤامرة دبرها له الإنكليز، لتأمين اقتتال الكرد والترک بعد تأسيس الجمهورية التركية، ضمناً لإبادة الكرد من جهة، ولعدم استتباب الاستقرار والأمن في تركيا من جهة ثانية، وبالتالي كي تبقى سرّة تركيا مرتبطة بقوى الحداثة، أي خانعة لأوامرها، ومقدمة لها التنازلات المطلوبة لإطالة عمرها من جهة ثالثة.

لقد كانت هذه القوى الدولية الخبيرة في شؤون المكائد والانسائس والمؤامرات تعقد آمالها على أن يسلك القائد مقاومة فظة، مثلما حصل لدى العديد من الشخصيات الكردية والتركية، خاصة في التاريخ الحديث، وفي السجون التركية بشكل أخص. وبالتالي كانت صفحة القضية الكردية ستطوى إلى الأزل حيث كانت ستطمر في قبر إسفلتي على حد تعبيرها، متحولة بذلك إلى خيال مخملي في ذاكرة أبناء الشعب الكردي. لكن القائد شنت كافة الحفظيات المألوفة، وبدد الآمال التصفوية المعقودة عليها، مشيراً بذلك وبشكل صارخ إلى أن مسار التاريخ المألوف ليس مجرد

**أفرغ القائد المؤامرة الدولية من فحواها، معتمداً في ذلك على تعمقه الفكري هذا، ومستمداً قوته أيضاً من الانتفاضات الشعبية المشرفة ومن المقاومات الباسلة التي أبداها كوادره الفدائيون على ذرا الجبال وفي كافة أجزاء كردستان وبلاد المهجر**

تكرار فظ للحوادث، بل إن القوى المتحكمة به تقرض فكرها وذهنيتها على حساب القوى الاجتماعية الديمقراطية التي بقيت بلا تاريخ مكتوب حتى الآن، قائلاً في هذا الصدد: «جميع التكوينات الاجتماعية هي ثمرة الذهنية. جميع الحوادث الهامة ومراحل التطور والبنى الموجودة في التاريخ ظهرت للوسط كثمرة من ثمار الإيرادات والذهنيات المؤثرة». بالتالي، أثبت القائد APO أنه ليس بكردي كلاسيكي، بل أنه مكلف بمهام أقدس بكثير من التضحية بنفسه بشكل تقليدي لا يجدي نفعاً. ذلك أن إزالة القناع عن الوجوه المموهة، وإزالة الستائر التي تخفي الحوادث أهم بكثير من إبداء مقاومة فظة ربما تغدو حكاية بطولية ذات نهاية مأساوية في أحسن الأحوال. وقد أكد القائد مرات عديدة أنه ربما يكون وهكذا مقاومة أيضاً قيمتها، لكن



مستوى ذكائها العاطفي جعلها تنخرط في تسيير النشاط الوطني التحرري دون تردد، ضاربة عرض الحائط بالعادات والتقاليد البالية التي تكبل فكرها وروحها. وهذا ما جعل المرأة الكردية ملتقة حول فكر القيادة من الصميم، مؤمنة بأن حريتها ستتحقق تماشياً مع مدى تعمقها في أيديولوجية حرية المرأة التي صاغها القائد APO، وتماشياً مع مدى ترسيخها لتنظيمها الخاص بها بطابعها هي وبلونها هي. هكذا حققت المرأة الكردية ثورة اجتماعية ضمن الثورة الوطنية، لتعدو مثلاً عصرياً حياً ونموذجياً لبنات جنسها من المتطلعات إلى الحرية، ومن الباحثات عن الحقائق المخفية المتعلقة بالمرأة. وبهذا الشكل ثبتت صحة مقولة القائد التي يشير فيها إلى أن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن حرية المرأة. ويبدو أن المرأة الكردستانية تلمست هذه الحقيقة الدقيقة منذ البداية، فلم تحتل الصدمة لدى سماعها نبأ المؤامرة، إيماناً منها من الصميم بأن أية ضربة تلحق بالقائد APO إنما هي ضربة موجّهة إلى قلب المرأة وعقلها بالدرجة الأولى. ولهذا السبب بالذات أضرت العديد من النساء النار في أنفسهن في كافة أجزاء كردستان مثلما فعل العديد من أبناء الشعب الكردي أيضاً.

إذن، والحال هذه، لا بد لنا من الوصول إلى المعرفة اللازمة، وإنشاء عالمنا الاجتماعي وإعداد القوى الريادية له، وبناء تنظيمنا المنيع في وجه سياسات الإبادة والتصفية المفروضة على الشعب الكردي على جميع المستويات. وهذا ما يقتضي اقتفاء أثر الحياة الحرة بعشق وهيام، سواءً من حيث الأسلوب، أو كنسق للحقيقة. وهذا ما يمر ببناء التنظيم والتحول إلى قوة تنظيمية على أرض الواقع، بحيث يحسب لها الجميع ألف حساب. بمعنى آخر، فإن هذا يتطلب الالتفات حول مشروع الإدارة الذاتية الديمقراطية، وبناء المجالس الشعبية أو ترسيخها في أماكن وجودها بدءاً من الحي إلى القرية إلى الضاحية إلى البلدة إلى المدينة إلى المحافظة... ودور المرأة الكردية في هذا السياق ريادي ومصيري. فبقيامنا بهذه النشاطات وبترسيخنا إياها سنبنّي حقيقةً التي تخصنا نحن كشعب كردي عموماً، وكمراة كردستانية بشكل خاص. فالحقيقة الدائمة والمعششة أمداً طويلاً، تلك التي ترى النور وتنتعش بفرصة تطبيقها ميدانياً بشكل قوي بما يخدم مصالح الشعوب العامة. وهي تقتضي الدفاع عنها وتبنيها وتجيدها والالتفاف حولها كما تلتف الفراشة حول النور حتى تحترق بناره، وكما يتشبث العاشق بعشقه لدرجة الذوبان في ناره.

وفي هذا الصدد قال القائد مشيراً إلى مدى جدية الأمر وخطره وعاجليته: «علينا ألا نفقد الأمل، وألا نخنق أنفسنا بذرف الدموع. ولكن، علينا البحث عن الحل. وإلا، هل كان بحثنا عن الحقيقة عملاً تافهاً أم فارغاً؟ أم أننا كنا نمر بعصر القوى الظلمية؟ أين، ومتى ارتكبت الأخطاء الفادحة؟ أين، ومتى تشبثنا بالأفكار الدوغمائية الجامدة؟».

كان القائد على يقين تام بأنه وجهاً لوجه أمام قوى الحداثة الرأسمالية المتكاملة مع مقولة «السلطة حقيقة، والعلم قوة»، وأن البشرية أمام عالم يُطلق فيه اصطلاح البحث عن الحقيقة على لعبة متجسدة في ثالوث رأس المال – العلم – السياسة، والذي يمكن تسميته بالشركة، ليتحول كل بحث آخر عن الحقيقة خارج إطار هذه اللعبة إلى عدو للنظام القائم، فيجب القضاء عليه أو جذبه لأروقة النظام وصهره في بوتقته.

ورداً على هذا الواقع المصيري والهرج في آن معاً، فقد قام القائد بتوحيد الذكاءين العاطفي والتحليلي بشكل مثالي، متخذاً من الأخلاق الاجتماعية والسياسة المجتمعية مبدأً أولياً يرسخ عليه المجلات الخمسة من مرافعه الأخيرة المعنونة باسم مانيفستو الحضارة الديمقراطية، والملتفة حول نظرية المجتمع الأيكولوجي والديمقراطي والتحرري الجنسوي، والمتمحورة أساساً حول قضية حرية المرأة. غير مكترث بتاتا بنظريات المؤامرة المحاكمة ضده، إيماناً منه بأن الحقيقة ماثلة للعيان، وأن الرّمح لا يسعه الكيس. وفي هذا الأمر يقول القائد: «إنّ تقييم هذه المرحلة التاريخية بالغنية والخصيبة من حيث بروز الأساليب الجديدة المغايرة ونظريات الحقيقة المختلفة، يُزيد من فرصة إعادة بناء المجتمع على مستوى الجماعات. فتجسيد يوتوبيات الحرية والمساواة بشكل ملموس في البنى الاجتماعية المنشأة قد أصبح بمثابة مهمّة عملية يومية تفرض نفسها بقوة. وما يلزم لذلك هو معرفة القيمة العلمية للطريق المسلوك، والتحلي بقوة إرادة الحرية. إننا نتحدث عن المرحلة التي يدنو فيها عشق الحقيقة من الحياة الحرة. ما نقصده باختصار: الحقيقة عشق، والعشق حياة حرة!».

وإذا كان العشق حياة حرة، وإذا كانت المرأة رمز الحياة الاجتماعية المفعمّة بالحرية والمساواة والعدالة، مثلما يتبين بكل جلاء في المجتمع الطبيعي الذي سماه القائد بالمجتمع الأخلاقي والسياسي؛ فبإمكاننا استخلاص عبرة هامة تتمثل في أن ترسيخ الحقيقة يقع على عاتق المرأة الكردية كونها قوة ريادية وديناميكية مؤثرة بل ومعينة. فروابط المرأة مع الطبيعة، ورقى



« بدرخان شباب »

## إحياء الذات... انتصارٌ على التاريخ

أو ما يمكن أن ندعوه بـ «المتغير الوسيط»، حيث يكون الشعور بالدونية هو أول ردود الفعل استجابة لأفعال الآخرين والسياسات المتبعة بحقهم، وبسبب فقدان الدعم الثقافي والسياسي، وطول المدّة التي مُرست عليهم فيها ظروف القمع وسيادة الثقافة الواحدة، في تجسيد تامّ لمفهوم البوتقة والذوبان في ثقافة الحاكم، كما وأن تأثيرها سلبيّ لدى الآخر المُختلف لكونه مستلب الإرادة ومُستبعداً ومُهمّشاً إلى حدّ الرفض ويتمُّ استغلاله لدرجة الاستعباد، ورغم الاختلاف في الإرث الثقافي فإن الذات إن لم تكن على قطيعة مع موروثها، فقد ابتعدت عنه وتبنّت مفاهيم الثقافة الحاكمة السائدة ابتداءً من اللغة، وبما أنّ السلطة الحاكمة تحتكر وتقبض على أدوات الثقافة (الإعلام المرئي والمسموع، الصحافة، التعليم، المسرح وكل أنواع الفنون) أي مجموعة التغذية الثقافية، وهي أيضاً من يحدّد المسار السياسي والاجتماعي والاقتصادي ويسخر طاقات المجتمع فإن التحلّل من القومية والتبرؤ من الانتماء إليها أضحي سبيل تحصيل ضرورات الحياة الأساسية والحاجات العلمية والاجتماعية والعمل، ما يعني أنّ التمثل بمفهوم الذات الذي حدّدته السلطة في أطوار التنوير والاستيعاب للدلالة على الفاعلية والتطور بات أمراً أساسياً وحاسماً من جهة الجاذبية، ومن ضروريات العيش، وبعبارة أخرى فإن ما يهّم السلطة في إطار سعيها لطمس الهوية

الذات هي جوهر الشخصية والمحور الأساس الذي ينتظم حوله السلوك الإنساني من فعل ورد فعل وهي مفهوم افتراضي لمجموعة الأفكار والتصورات والمشاعر والاتجاهات التي يكونها الفرد عن نفسه، لتعبّر عن خصائصه الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، وقد يختلف مفهوم الذات وفق اختلاف الثقافات فهي في الثقافة الأوروبية إجمالاً تتمتع بالاستقلالية والحرية في إطارها المجتمعي، فيما هي في ثقافة شعوب آسيا وأفريقيا جزء تابع لمجموعة خاضع لقواعدها، ووفقاً لهذا الاختلاف تتباين طرق بناء الذات عبر مؤسسات التربية والرعاية المجتمعية والخطاب الإعلامي ومجموعة التغذية الثقافية المعتمدة رسمياً.

لكن حقيقة ما نودّ الوقوف عليه هو جانب من سيكولوجيا الشعوب المظلومة والمقهورة، والتي مُرست عليها شتى أنواع العدوان، سواء أكانت على مستوى الوجود الماديّ والحيز الجغرافي أم الخصوصية الثقافية أم الأصل التاريخي، والكرد هم نموذج مثاليّ لبحث كهذا.

### طمس الهوية هو قضاء على مفهوم الذات

لنقف على مفهوم الذات لدى الكرد وكيفية بنائها من حيث المؤثرات والظروف المحيطة والنظرة السلبية اللافتة التي نطالعنا بها الشخصية كاستجابة وعامل تأثير



تجارب الفرد وخبراته بالإضافة إلى تاريخه وراثته، بما فيها القيم الأخلاقية والنظم الاجتماعية والعادات السلوكية، والتي تشكل مجموعها مفهوم «الأصالة» ومعاني العمق والترسخ والثبات، هي المصدر الأساس لتكوين مفهومه عن الذات

والمناطقية وصولاً للقبيلة والعشائرية والأسرية، وكل ذلك انعكاساً لتركيبة الأنظمة الاجتماعية والنفسية السائدة أو القواعد المسموح بها والتي تحدد المعايير وأساليب التوافق معها، والفرد ليس له إلا أن يمتص كل ذلك بالتنشئة والتوارث والتربية ومختلف أساليب التعليم على اعتبارها ثقافة البيئة المحيطة، والأصالة هي المعنى الشامل للتجذر وبيان علاقة الأجيال الحالية بما سبقها عبر جسر التوارث وقنواته المختلفة الاجتماعية والأدبية حتى الفلكلور والأغاني الشعبية والأزياء، وفق هذه التفاصيل تتميز القوميات عن بعضها البعض وتتجلى خصوصياتها وفردتها، بالمقابل فإن الثقافات الوافدة، سواء عبر الحوار والانفتاح الطبيعي ضمن علاقات التجاور الجغرافي أو المفروضة قسراً (بالتدوير أو الاستيعاب) أو التماهي معها أمراً واقعاً لا بد منه، سيكون لها تأثير بالغ على هذه التركيبة، وبالتالي ستحدث شخراً في وحدة الشخصية وفقاً لدرجة التأثير ومدى ثبات الخصائص الذاتية، وينعكس ذلك على مفهوم الذات وصولاً لحالة يمكن تسميتها إنجاز «الانزياح» في مفهومها، وهنا كان يأتي حرص السلطات المتحكمة عبر التاريخ على تثبيت الانزياح بتحديد مفهوم هذه الذات بواسطة وبدلته، واستنساخ نماذج من شخصية عصمت إينونو. ولتحقيق ذلك تم اتباع سياسات وأساليب متعددة بحق الشخصية الكردية، لتشويه معنى الذات وحرثها عن أصالتها وإفقادها الإحساس بخصوصيتها منها:

- ١- التدوير الكامل للمدرك الكردي في الثقافة المغايرة، وما يؤدي إليه ذلك من تناقضات وطمس لبؤرة الإحساس بالذات والكيونة والاستقلالية.
- ٢- العجز والاستلاب من خلال فرض القيود الثقافية والسياسية والأمنية التي تجعل الكردي محكوماً بإدراكه

هو القضاء على مفهوم الذات عموماً والمدرك خصوصاً لدى الشخصية الكردية، لأنها تمثل عامل الاستقطاب والإشعاع من خلال ضرب ذاكرته التي تخزن كل أنماط وعوامل الشعور بالانتماء والتمايز وخصائص التجذر الثقافي والاجتماعي والحضاري، وبالتالي الإرادة والشعور بالكرامة، على أن تحل محلها إرادات مناقضة جديدة، لجهة الاتجاهات والقيم والأدوار واستثمار القدرات، وهكذا نجد أن مفهوم الذات الذي تحدده السلطة المدعمة بتحصيل بعض الحقوق تقدم بصورة مزايا استثنائية كالتحصيل العلمي، التوظيف وفرص العمل والارتباطات والعلاقات المتصلة بالمصلحة الفردية، فتكرس من خلال ذلك الشعور الفردي والمذهب النفعي، وتجعله متقدماً على الانتماء القومي وهذا هو جوهر عملية التدوير، وهو الامتثال لبرامج السلطة بما يشبه الترويض ومواءمة الذات خضوعاً من غير إرادة. على أن الأمر لا يقتصر على هذا، بل أن السلطة تستهدف مفهوم «الذات المثالية» والتي تشمل علي التطلعات والطموحات والأهداف، وتضيّق عليها وتلاحق رموزها وتجهّد لإمحاء دلالاتها التفصيلية عبر التغييب الميرمج والإقصاء، وكذلك تقزيمها من خلال الدعاية ودعوات التفتير وحملات التشويه والمناهج المدرسية، وتوصيفها بنزعات الانفصال والتمرد والخروج عن الإطار الوطني، وصولاً لتهم العمالة والتخوين، ولكنها بالمقابل تلجأ إلى تقريب بعض الشخصيات من قبيل سياسة الاستيعاب، وعلى أنها واجهات لديمقراطية شكلانية، وهم ممن ارتبطوا عضويًا ومصيريًا بالسلطة القائمة لجهة الثقافة والقيم المتبناة وتلاقي المصالح، وتقدم الدعم لهم لخلق «المثال» الذي يفترض أنه يجسد قيم الوطنية والديمقراطية «المزعومة»، ولتكون هذه النماذج من حيث تريد أو لا تريد أبقاً في إطار البروباغندا وأدوات إعلامية لها وأذرعها داخل المجتمع.

### السلطات الحاكمة عملت على تثبيت «الانزياح» في مفهوم الذات

بالمجمل فإن تجارب الفرد وخبراته بالإضافة إلى تاريخه وراثته، بما فيها القيم الأخلاقية والنظم الاجتماعية والعادات السلوكية، والتي تشكل مجموعها مفهوم «الأصالة» ومعاني العمق والترسخ والثبات، هي المصدر الأساس لتكوين مفهومه عن الذات، بمعنى أن هذه التجارب والخبرات، تختلف تبعاً للثقافة والجغرافيا من منطقة إلى أخرى والتقسيمات السياسية والإدارية



نماذج وأمثلة يمكن الاستدلال بها.

هـ - تقزيمُ الإسهاماتِ الثقافية والعلمية والتاريخية والانتقاصُ منها، بهدف زعزعة الثقة بالنفس وبكل ما يتصل بالقيم والمثل العليا، ومن ذلك نزع الهوية القومية الكردية عن العلماء والقادة والشخصيات الفكرية الكردية التي ساهمت برفد الفكر الإنساني وإغنائه، وتجاهل دور الكرد في التاريخ العام للمنطقة.

و - التركيز على الجوانب السلبية ونكث جراح الماضي من جانب، ونشر ثقافة التشاؤم والخوف من المستقبل وكل ما من شأنه ضرب الروح المعنوية من جانب آخر.

### سياسات الصهر أفضت إلى مظاهر عامة دون تحقيق أهدافها النهائية

على أن تلك الأساليب والسياسات تفاوتت في شدتها وكتافتها، وكذلك في نتائجها وآثارها، ولكنها لم تحقق الأهداف المرسومة لها تماماً بالقضاء على مفردات الهوية، والدليل استمرار حالة الصحة والوعي بالذات والهوية، رغم اختلاف الظروف وتفاوت مستوى المناعة بين عموم الكرد، لكن بعض تفاصيل هذه الهوية كتب لها الاستمرار عبر التراث الشعبي، وبالمجمل فقد أفضت سياسات الصهر ومحاولات الإبادة الثقافية إلى جملة من المظاهر، اتضحت معالمها على مستوى الشخصية والذات، ومؤداها:

١- الانفصام الثقافي وذلك بسبب فقدان الدعم الثقافي الذي تلقاه من الثقافة الأصلية باعتبارها المنبع الأساس الذي يُغذي كل أبناء القومية الواحدة وتستقي أصولها من روافد التاريخ والتراث وخصوصية النظرة للجمال والإنسان والحياة بالإجمال، وما يحدث هو عدم التواصل مع مصادر التغذية وقطع العلاقة بالماضي.

لجهة عدم القدرة على التحكم فيما حوله أو التأثير فيه وإحداث التغيير فيه، ما سيؤدي بالنهاية إلى الإحساس الواقعي باللا جدوى والعبثية وبالتالي الاستسلام لما لا يرغب.

٣- الكبت من خلال عدم إتاحة الفرصة للتعبير عن المشاعر العفوية المختلفة التي تتصل بالانتماء والهوية كالموروث الاجتماعي والفلكلور، وإضفاء توصيفات متنوعة عليها من قبيل التخلف وعدم ملاءمتها لروح العصر أو بإسباغ دلالات سياسية عليها والمبالغة في ذلك، وكذلك التخويف وممارسة الإرهاب الثقافي، خشية أن تؤدي الثقافة رسالتها في بعث الروح القومية وخصوصيات الانتماء القومي، وتؤدي إلى وحدة العمل في هذا المنحى.

٤- محاولات تكريس الشعور بالدونية والنقص، رغم أن جزءاً غير يسير من العُبن الثقافي والتاريخي قد ألحق بالذات، وما زال النضال مستمراً ضده على المستوى الإدراكي وقد تم تمرير تلك المشاعر السلبية من خلال ما يمكن تسميته «سياسة التفريغ الممنهج» لمعاني الأصالة المتمثلة بالأبعاد والجزور التراثية والتاريخية والإنسانية ومن ذلك:

أ - التعاطي مع الأصل التاريخي للكرد على أنهم ينحدرون من أصول عربية أو تركية أو فارسية، وما ينطوي عليه ذلك من قطع صلته مع تاريخهم، وإلغاء خصوصياتهم، وتشويه حقائق الانثروبولوجيا، في تنكّر كامل لاستقلالية الكرد في جذورهم وصفاتهم الموروثة ولغتهم، وصولاً لترسيخ فكرة أنهم فرع نازل من أصل آخر، ووفقاً لذلك يُفرض عليهم سلوك الأدنى تجاه الأسمى، أو الفرع تجاه الأصل.

ب - إسقاط الهوية الكردية عن الجغرافيا والتاريخ كلياً وتجنب أي ذكر لوجودهم التاريخي في المنطقة، والتأكيد المتواصل على الهوية القومية للأرض وفق التقسيم السياسي الحالي، واعتبار الوجود الكردي طارئاً عليها.

ج - استهداف اللغة الكردية والنيل من استقلاليتها، لغة متكاملة في مفرداتها وقواعدها، والترويج لفكرة أنها لهجة مشتقة من لغة أخرى، أو أنها لهجة رقيقة قاصرة عن التعبير، ولا تصلح أن تكون لغة معتمدة في العلم والمعرفة.

د - قلب الحقائق والتشويه المتعمد لها ماضياً وحاضراً سواءً على مستوى الأحداث والسرديات التاريخية أو الرموز أو المنجزات، على أن الانتحال وسرقة التراث ما هي إلا



الأعاجم أسلموا اعتقاداً وإيماناً بفعل اختياريّ منهم، وكانت لهم أيدٍ بيضاء في العلم والمعرفة ولم يدخروا جهداً لخدمة الدين والدولة والدود عن حياضها، فكانت الدولة تتوسّع بفضل صنائعهم إلى أن أضحت إمبراطورية مترامية الأطراف، فالسلطة جندت أبناءهم لرفد الجيوش وتحقيق مزيد من التوسّع، وانقلب ولأى الموالى لسلطة العربيّ بدل الدين، ورغم كل ذلك ظلوا دائماً موضع الشك، وحكمتهم الدولة بالقوة، وكانوا هاجسها الأكبر خوفاً من تطلّعهم للانفصال والخروج من العباءة العربيّة، ويُفسّر ذلك بعقده «الاستحكام» التي بدأت مع الملك العضوض لبني أمية، ولم تنته بسلاطين بني العباس، فالدولة العثمانية سارت على النهج ذاته، ولعل المؤرخين العرب مازالوا يمتدحون الدولة الأموية بسبب تعريبها الدولة والمجتمع، وأما العباسيون فقد انقلبوا على الأعاجم بعدما كانوا حاضنة ثورتهم على أبناء عمومتهم، وبالتالي فإنّ تحوّل الإسلام إلى دولة قومية عربية أو عثمانية شنت الروافع القومية للشعوب الخاضعة لسلطانها وحدّ من تطلّعاتها «الانفلاتية»، وتمّ طرح شعار «أخوة المسلمين» لإسكاتها، والاحتكام إلى الإسلام صورياً لسلب حجة تلك الشعوب لإنتاج ثورة مضادة على أساس قوميّ، ونُسفت الأسس النظرية والمعنوية لهكذا خطوة، ومورس التهويل من مغبة الخروج على الأمر وشق عصا الطاعة، فيما ركّن العرب إلى عروبة الدين والنصّ لضمان قومية الدولة وطابقوا بشكل تام بين الدين والقومية.

عملياً وتماشياً مع النظرة الاستعلانية تمّ تطبيق سياسة التمييز «العنصري»، فكان العربيّ على رأس الترتيب في القيادة والإدارة، وأضحت البلاد المفتوحة باسم الإسلام إقطاعات ورعها الخليفة على من يشاء باعتباره مالك شؤون البلاد والعباد، ولولا ذلك فما المانع أن يُصبح أعجميّ خليفة أو أميراً، ربما يكون هذا الافتراض صعباً في ظل واقع الصراع على السلطة السياسية والتنازع بين أبناء الأسرة ذاتها، واستندت نظرية الحكم إلى أحاديث نسبت للنبي مفادها أن الخليفة يجب أن يكون عربياً، وأن العرب هم السادة والقادة باعتبارهم حملة الرسالة، وهم «خير أمة»، وهنا تمّ التجاوز والخلط بين



٢ - الخواء القيميّ والوجدانيّ، الدائرة اللا شنيّة، ومن تجلّياتها:

أ - الذهان الصّفريّ: هي حالة من التآكل القيميّ الذاتيّ أمام تنامي الحالة العبيّنة واستحوادها على الوعي الفرديّ والجمعيّ، رياضياً يمكن تشبيهه بنتيجة الجداء بصفر (العنصر الماصّ)، ويتمّظهر بالاجترار المتمحور حول جلد الذات والحط من قيمتها، على نحو اللا وزن، اللا دافع، اللا حافظ، اللا هدف، اللا اتجاه، اللا جدوى، اللافاعلية، اللا استجابة، وبالمجمل اللا دور وحالة بطالية ثنائية في الفكر والعمل.

ب - الفردانية: استفحال وسيادة الأنا في الوعي، والتماهي في المنفعة في مقاربة المسائل وبذلك يتمّ تعزيز هذه الأنا بنزعات حبّ الظهور وإثارة اهتمام الآخرين واستمالتهم أو التّحكم بهم أو بأرائهم أو الوصاية عليها ومصادرة حقّ التعبير، والمعادلة الصحيحة

هي بتنافي المنفعة الفردانية، وإحياء الفرد باعتباره عنصراً مشمولاً في الجماعة «نحن»، وهذا يتطلّب تقوية وشائج العلاقة بين الفرد والجماعة، فالشعور الفرديّ مدمك يهدّد بنیان الوعي والشعور بالانتماء. فالهوية لا تُعرف بذاتها، وإنما بنوعيّة ومستوى علاقاتها مع الجماعة، وما يمكن أن تضيفه إلى المحيط، وما التاريخ إلا ذاكرة مجتمعيّة يتشارك فيها كل أبناء المجتمع.

ج - الاستقالة: هي صورة الانكفاء أو الانسحاب الطوعيّ على أساس التبرؤ وإقالة المسؤولية، والنظر إلى التغيير على أنه المستحيل، وأنه سيرورة الزمن وقدّر ثابت، وبهذا فالتاريخ بمجرياته وأحداثه وتشوّهاته يمثل ماضياً لا سبيل لتغييره، وكذا هو الحاضر، من حيث كونه نتائج ذلك الماضي وإفرازاته. تحوّل الإسلام إلى دولة قومية شنت الروافع القومية للشعوب الأخرى

في سياق الثنائية التي قام عليها الحكم العربيّ الإسلاميّ (العروبة وهي القومية والإسلام كحالة فكر عابرة للقوميّات)، برز مصطلح «الموالي» إشارة للمسلمين غير العرب، الذين دخل العرب بلادهم «فاتحين»، والمفارقة أن هذا المصطلح ميّز المسلمين الأعاجم عن العرب، رغم أن الدين ساوى بينهم، وأن

الهوية لا تُعرف بذاتها. وإنما بنوعيتها ومستوى  
علاقتها مع الجماعة. وما يمكن أن تضيفه  
إلى المحيط. وما التاريخ إلا ذاكرة مجتمعية  
يتشارك فيها كل أبناء المجتمع

فقط، وربما في أحسن الأحوال كان أكثر ما بهم الأمير  
أو الزعيم أن يطبع صورته على العملة التي يسكها إن  
تسنى له ذلك، ويبنى مجداً شخصياً ويجعله إرثاً عائلياً  
بعيدا عن البعد القومي والعمل على توحيد أبناء قوميته،  
ورغم ذلك فإن السلطات العثمانية كثيراً ما كانت تتربص  
بهم الدوائر لتوقع ببعض هؤلاء الأمراء وتقودهم إلى  
ساحات الإعدام، وعملت على الترويج للأخوة الإسلامية  
بين الكرد والترک لذر الرماد في العيون، والحقيقة أن  
الزعامات أنفسها تنافست وكذلك الأسر المستقلة، وأما  
الحديث عن المجتمع ودرجة وعيه فلم يتعد عبثة الولاء  
المطلق لهذا الزعيم أو ذاك وبغيا به يذهب الولاء تلقائياً  
للدولة المتمثلة بالسلطنة كقوة مهيمنة على البلاد وتحكم  
رقاب الناس، وليبدو السؤال عن الذات وماهيتها ساذجا  
وفي غير محله.

مع ظهور الدول القومية في المنطقة - فالدولة  
العثمانية كانت دولة الخلافة الدينية - تم تقسيم كردستان  
وبقيت المسألة على حالها ورغم بعض الاستثناءات  
لحالات متقدمة على شكل ثورات وانتفاضات لم يكتب  
لها النجاح لأنها لم تستوف شروط الصحة ولم تستكمل  
العوامل الذاتية الموضوعية لبلورة مشروع قومي واضح  
المعالم، بل أنها لم تخرج عن إطار ردات الفعل أو الفعل  
المنفرد المثقل بعوامل الينم، مع التأكيد على دورها في  
تشكيل منصات وعي، وإضافاتها إلى رصيد الثقافة  
التوعوية العامة لاحقا، وإغناء التاريخ والفكر السياسي  
كتجربة نضالية.

**النهوض ورفض سياسات الإحماة والمقاومة هو  
سلوك طبيعي للكرد**

لا يختلف الواقع الذي يعيشه كل الكرد عموماً، إذ هم  
يعيشون في كنف دول قومية، تضع في اعتبارها إحياء  
قومية محددة وتكر ما عداها، ولذلك فالنتائج ومستويات

وبالجملة تماهى «الموالي» مع حالة الإسلام  
السلطوي قروناً طويلة وتشربوا الثقافة التي كرستها  
السلطة بصحيتها وسقيمتها، وما ظاهرة الشعبوية التي  
ظهرت في العصر العباسي وأصطلح على أنها نزعة  
تتكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم،  
إلا نظرية بانسة تختزل تلك النظرة الاستعلائية، وما  
يزال القوميون العربيون يتداولونها اليوم لتكون تهمة  
جاهزة للطعن بغير العرب وتقديم صورة مشوهة عنهم،  
تنطوي على الكثير من الانتقاص، ومبرراً للتغطية  
على مواطن الخلل والفساد، فمروان بن محمد الخليفة  
الأموي المعروف بـ «رجل الحرب والسياسة» ورغم  
عروبه الثابتة وحنكته، فشل في نيل الدعم العائلي  
وجمع البيت الأموي حول شخصه، لأنه كان مطعوناً  
في «نقاء دمه» ونسبه لجهة أخواله الكرد، وأما أبو مسلم  
الخراساني فلم تشفع له كل مآثره وخدماته الجليلة عند  
مقتله، فتمنع التشهير به وبكرديته، لأنه أخاف الخليفة أبا  
جعفر المنصور، إذ استقطب حوله كل الموالي من كرد  
وعجم وسواهم، ورغم أنه لم تبدر منه بادرة للانفصال  
أو الثورة على الدولة، إلا أنه اعتبر ولاية خراسان حقاً  
مكتسباً له ليكون والياً عليها بين أهله، فأريد بتوليته مصر  
نفيه وليكون القتل هو الجزاء. وكان صلاح الدين الأيوبي  
مثالاً واضحاً للانصهار في ثقافة الآخر، المسألة ليست  
حول انتصاره على الصليبيين في حطين، وإنما إسقاطه  
دولة الفاطميين الإسماعيلية في مصر وإتباعها لحكم  
الخليفة السني في بغداد، وسار ورثته بالمنهج نفسه،  
لكنهم كانوا أضعف فتناز عوا فيما بينهم، والبوتقة جعلتهم  
بعيدين عن تمثيل الهوية القومية.

**الترويج للأخوة الإسلامية بين الكرد والترک ذر  
للرماد في العيون**

على أن الحال لم يتغير أيام الدولة العثمانية لا من جهة  
السلطات التي استمرت في ممارسة شتى أساليب القمع  
والاضطهاد والإلغاء حتى آخر أيامها مع اشتداد الصراع  
السلطوي، ولا من جهة المجتمع بشكل عام فكان يعتبر  
السلطات على الرغم من كل مساوئها مصدر الشرعية،  
وعليهم الانضواء تحت سقفها، وكانت أرض كردستان  
قد شهدت إبان الحقبة العثمانية كما قبلها بمراحل كثيرة  
قيام إمارات كردية هنا وهناك، إلا أنها جميعاً لم تخرج  
عن إطار الإقطاعيات تخضع لزعامات أميرية، تنظر  
إلى المسألة من زاوية الملكية الخاصة وتوسيع السيطرة



عندما انطلقت الحركة الأبوحيّة كانت حركةً انبعاث في مواجهة الإبادة المتعدّدة الجوانب، وكان الهدف الأساس لـ PKK خلق الشعب الكرديّ على أسس معاصرة وإنجاز الحرية، لم تكن مجرد تعبير عن حالة رفض بل حركة مقاومة وطنية جوهرها إنساني وقوامها التضحية والنكران للذات، استمدت الحركة عنفوانها من قوتها الذاتية والصفات المميزة للشخصية الكردية المستندة إلى قيم مجتمعية، والتي تشكل طبيعتها ذاتها وهويتها، ووضعت الحركة نصب عينها تحقيق أسمى الأهداف الاجتماعية المتمثلة في الحرية وإلغاء العبودية والتبعية والتسلط ووضع حدّ للانهايار الأخلاقي، وكذلك مواجهة سياسة القمع من أجهزة الدولة الفاشية القومية التركية، واستطاعت الحركة أن تخلق وعياً يتجاوز بها الكرد حالة الانكفاء والانغلاق على القومية الكردية، وأعدت صياغة الشخصية الكردية ليكون ذلك منطلقاً لتأكيد المضمون الإنساني للقضية الكردية، فتنادي بحريّة كل الشعوب وإظهار الحقيقة وترسيخ مبادئ العدالة من منطلق المساواة بين الشعوب.

بدأت الحركة بعد عقود طويلة من الاستكانة والخنوع والقبول السليبي تحت سطوة الدولة، تکرست خلالها مفاهيم سلبية محبطة، واعتبرت المقاومة ضرباً من العيب والتهور، أو لعله المستحيل وشكلاً من الجنون. وبذلك فقد كان من المهم جداً أن تكون البداية بالعمل على مستوى الفكر بتنمية الوعي والتعبئة الفكرية وتحريير العقول من الخوف ورهبة الدولة التي فرضتها أدوات الدولة الفاشية على المجتمع، ووفق هذا المنحى بدأ القائد عبد الله أوجلان عملية صعبة لإعادة تشكيل العقل والمفاهيم الفكرية وتأهيل أبناء مجتمع كان مشرفاً على الانهايار والفاء، من خلال تحليل صحيح للواقع يأخذ العبرة من الماضي ويفسر وقائع الحاضر ويتطلع إلى آفاق رحبة للمستقبل، وهكذا تمّ بناء منظومة فكرية تعي ظرفية المرحلة وتستطيع أن تختار الوسيلة الناجعة لإنجاز الأهداف ضمن إطار تنظيمي تتم فيه ممارسة حالة المقاومة فعلاً عملياً من غير أن تبقى جامدة في إطار النظرية، وكل ذلك منح الحركة أسباب الاستمرارية والصمود والقدرة على تجديد ذاتها لتستوعب المتغيرات والتحوّلات، فلا ترهبها المصاعب فتتكص وتترجع أمام التحديات مهما بلغ حجمها، ورفع درجة الاستعداد لديها لتحمل المسؤولية أيّاً كان الثمن وصولاً للتضحية بالنفس.

كل أشكال المقاومة كانت بهدف تأكيد الهوية

الإنكار والإلغاء والصهر هي ذاتها، إلا أنّها تختلف بالبوته وشكل الثقافة التي يُراد إزالتها فيها، والهدف المشترك للسياسات الممارسة بحقهم هو استمرار محور الشخصية الكردية في مستواها الفردي والقومي، وقبل ذلك كان الكرد شركاء مع شعوب أخرى في الخضوع للاستعمار الغربي، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية، ولكن التحرر والاستقلال أفضى لقيام دول قومية وتقسيم المنطقة على هذا الأساس، ما جعل الكرد موزعين على عدّة دول، رغم التواصل الجغرافي لمناطقهم، ولتترك نزع الجرح لعقود طويلة ويتم الحديث عنهم مجرد «أقليات» ديمغرافية، وليسوا من أبناء المنطقة الأصلاء وتقطع صلّتهم بالتاريخ، وتسلب حقوقهم الثقافية والسياسية، ويستبعدون من الشراكة الحقيقية في بناء الوطن والسلطة. وأما قضيتهم فتحوّلت لملف للتداول والضغط حسب الظرف والطلب، وبشكل عام أصبح إبراز تفاصيل الهوية محل مسألة المؤسسات الأمنية والعسكرية. وتوجّه التهمة لهم بالانفصالية وزعزعة الأمن القومي أو الإرهاب، أو أنهم طابور خامس في حال مطالبتهم بحقوقهم المشروعة.

لم تشهد العلاقات الرسمية بين الدول التي يعيش فيها الكرد الاستقرار والانسجام والتعاون وحسن الجوار، بل تحكمها الخلافات ووصلت حدّ التنازع والحرب، إلا أنّ مواقفها إزاء القضية الكردية كانت محل التوافق بينها أو سببها، وتترك هذه الدول أن أية صيغة لحل ديمقراطي في أي منها سيؤدي بالضرورة لانتقال التجربة إلى الدولة المجاورة، وبذلك فإنّ تشاركية المخاوف تعني إقراراً غير مباشر منها بوحدة القضية والتأثير المتبادل فيما بين الأجزاء التي يُفترض أنّها مفصولة بحدود رسمية، وبذلك فإنّ صيغة اللا حل بقيت هي المعتمدة وعلى أساسها تقوم العلاقات بين هذه الدول.

مقابل كل ذلك كان السلوك الطبيعي للكرد هو النهوض ورفض سياسات الإمعاء، وتنظيم حالات المقاومة التي تفاوتت في مستوياتها حسب البيئة والظروف والمنطلقات الأولية، بعضها اتسم بطابع السلمية والحوار والتفاوض، فيما كان الكفاح المسلح يُفرض نفسه نتيجة الإفراط في استخدام القوة ضدهم، ولكنّ المقاومة في شكلها الثقافي والاجتماعي كانت مطلوبة لمواجهة سياسات التنوير.

### تأكيد المضمون الإنساني للقضية الكردية

كان الكرد على مشارف الاندثار والزوال في بداية سبعينيات القرن الماضي وكانت الظروف بالغة التعقيد،

## المجلس التأسيسي للنظام الاتحادي الديمقراطي



كاوا العصر، وبذلك فقد تجاوزت المقاومة معنى مجرد الرفض، وليكون السجن ميدان تحقيق النصر، وهنا محل المفارقة بأن ينتصر الشهيد بقيمه وخلوده ويُغني معنى الحرية ذاتها، لأن عدالة القضية تكفل بقلب المعادلة، فليس الأسير هو من وُضع بالقوة بين الجدران، بل من فقد الإرادة أو من تحكّمه نزعات التطرف والشوفينية وكان سلوكه القتل والإجرام، وبذلك يجترُّ القاتل والسجان مرارة الخيبة والهزيمة ويعتريهما الخوف دائماً من الأسير.

تأكيد المضمون الإنساني للهوية الكردية جاء على نحو واضح من خلال فكرة الأمة الديمقراطية التي طرحها قائد الشعب الكردي عبد الله أوجلان الذي أتمّ السنة الثامنة عشرة في سجن الفاشية التركية في جزيرة إيمرالي، ولكنه حولَه بصموده وفكره إلى ميدان مقاومة وجعله منارة للفكر الحرّ.

### الفيدرالية الديمقراطية، انتصار على مستوى الفكر الإنساني الحرّ

ما نشهده منذ ست سنوات في روج آفا من حالة صمود وبسالة للتصدي لمختلف تنظيمات المرتزقة وقوى الإرهاب المدعومة إقليمياً ودولياً هي صور نادرة للمقاومة الحقيقية المشروعة، إذ لطالما كانت المقاومة هي كل عمل في مواجهة محاولات الاجتثاث والاستئصال والإبادة، التي تصنف كجرائم بحق الوجود الإنساني والحياة، ولكن شعلة كاوا الرمز بقيت متألقة ينقلها الرفاق من يد إلى يد في كل الساحات في كوباني وقرها وعلى حدود عفرين وسري كانيه دون وهن أو ضعف أو يأس، ولتتحد ميادين النضال، رغم كل محاولات فصل الجغرافيا لأنها في الفكر والمنهج

انطلقت الحركة وهي مفعمة بروح النضال وبارادة متينة فأطلقت صرخة مدوية رددت كل أرجاء الأناضول وكردستان صداها، وجاءت الانطلاقة على يد مجموعة من الشباب شكّلوا نواة المقاومة الأولى فكانوا الرواد الأوائل لصياغة معالم الشخصية المناضلة، وكانت الظروف التي انطلقت فيها مرحلة الكفاح المسلح استثنائية بالغة التعقيد من حيث ضعف الدعم والتمويل وصعوبة الطبيعة الجغرافية لمناطق العمل، واضطلع المناضل عكيد بدور ريادي في التبشير للثورة والدعوة لها، وجاء تنفيذ العمليات النوعية ضد قوات الجيش التركي رداً حاسماً على الروح الانهزامية التي سادت أوساط المجتمع، وليصبح اسم «الكريل» علامة فارقة تميز هذا النضال، واليوم يمكن لنا أن نتأكد أن المناضلين الأوائل انتهجوا طريق الحرية والحق المشروع، وأن شهادتهم كانت ثمن إيقاظ الضمائر وشحن النفوس وصناعة الأمل، ومنذ ذلك التاريخ لم تخب جذوة النضال ولا انطفأت شعلة الأمل، فاستمرت حركة المقاومة في سبيل أهدافها، تستمد من قادتها العزم والإصرار والثبات.

مع بداية الثمانينات كان التحول النوعي إذ استطاعت الحركة توسيع آفاق نضالها ونشاطها في المجتمع وتواصلت مع الناس أكثر واقتربت من مختلف الشرائح، وامتدت على كامل جغرافيا كردستان فقصرت المسافات مع الفئات المتنورة والمعابة وطنياً، وفي هذه المرحلة أصبحت السجون ساحات نضالية ومقاومة، فالدولة الفاشية التركية بدأت حملات الملاحقة واعتقال المناضلين، ولم يكن إيقاد المناضل مظلوم دوغان شعلة الاحتفال بعيد النوروز عام ١٩٨٢ وهو سجين مجرد طقوس احتفالية فكلورية، بل تأكيد لمعنى الوفاء لاستحقاقات الهوية التي نذر حياته لأجلها، ما جعله مستحقاً بجدارة اسم



المستقبل مباشرةً، فيما عقول الكثيرين معتقلة في زنازين الماضي القديم، وتُحارب على ذمته.

### الفيدرالية مصداق لهوية الكرد بقبول الآخر والتعايش المشترك

الفيدرالية جعلت من الديمقراطية العنوان الأسمى لتعايش الشعوب في ظلّه، في وقتٍ ثبت فيه فشل كل نماذج الدول القومية على المستوى الأخلاقي والاجتماعي، وأنها لم تحقق للإنسان السعادة، ولم توفر الأمن والاستقرار ولا الحاجات المادية الضرورية، بل قامت على مراكمة الظلم وكانت سبب شقاء الإنسان ومعاناته، وبذلك فقدت صلاحيتها الأخلاقية.

طرح الفيدرالية أكد المضمون الحضاري للقومية الكردية وانفتاحها على الإنسانية، مقابل انغلاق الآخرين ضمن أطر شوفينية ضيقة، فالديمقراطية هي الإطار الأكثر رحابة لممارسة الوطنية والتمتع بها، ولعل الانتصار الأكبر والأعمق هو للإرادة والإطاحة بكل العوامل السلبية المحبطة، التي أريد زرعها وترسيخها لتكون مسلمات تحول دون أية حالة نهوض وعلي أي مستوى عبر الاستلاب الفكري والثقافي، ولينم إسقاط كل المخططات الهادفة لمحو الذات وإنهاء الشخصية الفكرية الكردية.

ما رصدناه ليس دعوة لليأس ولا مآتماً نجدد فيه الحزن على أطلال الماضي ولا محاكمة لجلد الذات أو تبخيس قدرها، فواقع اليوم يتجاوز كل ذلك، وما تحقق من منجزات هو حافز للمزيد منها، والعبرة هي مقتضى دراسة التاريخ من أجل لملمة ما فرط منا جميعاً وأفرطنا به ومن أجل بلورة وعي يرتقي بنا، ويقوم ما اعوج في ثقافتنا ويجسد خصوصيات هويتنا الحضارية، ونراكم به المنجزات، ولا نطمع جهد أحد ونسل خيط الأمل باتجاه مشروع فكري يؤسس لثقافة تتسع للمستقبل وتستوعب كل طموحاتنا، ونستكمل ثورتنا في البعد الثقافي والمعرفي.

الديمقراطية هي الإطار الأكثر رحابة لممارسة الوطنية والتمتع بها. ولعل الانتصار الأكبر والأعمق هو للإرادة والإطاحة بكل العوامل السلبية المحبطة، التي أريد زرعها وترسيخها

أعمق وأمتن، ولتكون نصيبين وسور وجزير في باكور كردستان صدى مباشر لثورة روج آفا في مواجهة إرهاب الدولة المنظم وسياسات القمع والتوحش لحكومة العدالة والتنمية، وما يجري في مناطق الكرد هي مآثر نضالية جديدة تُضاف إلى سجل التاريخ، فالمعتدون المجرمون لم يدخروا أي وسيلة لمحاربة الكرد والتضييق على سبل العيش من خلال فرض الحصار وقطع الطرقات ومنع وصول ضرورات الحياة إلى مناطقهم، وكذلك بقصف مناطقهم بقذائف الحقد، وحتى الأسلحة الكيماوية إمعاناً بالجريمة، من أجل إيقاع أعداد كبيرة من الضحايا في صفوف المدنيين الأبرياء.

أما اليوم ومع وجود هذا الكم الكبير من الأحزاب والعدد الأكبر من الشخصيات المؤطرة كردستانياً، وفي ظل التقدم التقني وصولاً لوسائل التواصل وثورات المعرفة، فإننا نجد بعضها عند كل منعطف خطير يحاول دفعنا القهقري، ومن هؤلاء من دخل لعبة السياسة على حساب شعارات أو على سبيل الانتفاع والعلاقات الخارجية وآخرون يمارسونها بعقلية تلك الزعامات الإقطاعية، ولتتوزع الولاءات بين الإقليمي والدولي، وعليه فإن التناحر والتنازع على أشده إلى حد التأمير والاصطفاف مع العدو في الخندق ذاته، وليكرر التاريخ نفسه مرّات ومرّات وليظهر «بكو» متقمصاً أدواراً شتى ويتكلم باسمنا ويفرض وصايته علينا على أننا جزء من إقطاعيته ويطعننا من الخلف فيما سهم العدو من الأمام، وليفعل ما عجزت السلطات الحاكمة أن تفعله.

وفي هذا الإطار وفي ظل الحرب الطاحنة التي تشهدها سوريا وحجم التدخل الإقليمي والدولي، والممارسات والسياسات العدائية التي تقودها حكومة العدالة ضد الكرد، فإن الفيدرالية الديمقراطية، هي بحق انتصار ليس على مستوى العمل الميداني والأرض فحسب، بل على مستوى الفكر الإنساني وإغناء له، إذ أنها تجاوزت مساحات كبيرة من الزمن تمتد لقرون طويلة، بكل ما فيها من حوادث ومأس، وراحت تخاطب الآخرين بلغة

# الديانات التوحيدية (السماوية) في كردستان



« عبدالله شكاكي »

## ٣- الخوارج :

هم الذين رفضوا نتيجة حكم الحكيم أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص في الصراع الدموي الذي جرى بين علي ومعاوية بن أبي سفيان في معركة صفين، ويرون أن الخلافة حق لكل مسلم تتوفر لديه الكفاءة بأمر الدين الإسلامي، حتى وإن لم يكن من العرب، إضافة إلى اتصافه بالعدل والحرية، ويرون ضرورة عزل الخليفة عندما يفقد ثقة الأغلبية. ويدعوهم البعض «الجمهوريين» في حين سماهم فان فلوتن في كتابه بـ«الديمقراطيين»، ولذلك كان معظم أتباعهم من المسلمين غير العرب من الكرد والفرس والأمم الأخرى، لأن الكرد بطبيعتهم يعشقون الحرية ويرفضون العبودية والتبعية ولجغرافيتهم تأثير قوي على نفسيتهم.

في الوقت الذي جاهدت فيه معظم الأمم الإسلامية من أجل امتلاك السلطة وكيفية إسلامها في سبيل ذلك ومن أجله انضم الفرس إلى الشيعة وقدموا الحسين أكثر من غيره، لأنه من سلالة محمد وزوجته شهربان ابنة يزدگرد الثالث آخر ملوك بني ساسان، ولذلك دعيت شيعة إيران بأنها الطريق الفارسي إلى الإسلام حيث يرون بأن امتلاكهم للسلطة الدينية يكون بامتلاك الحسين لها والسلطة الزمنية في شخص شهربان زوجته.

بينما اختار الأتراك الذين دخلوا الإسلام مؤخراً الخط الأموي مذهب أهل السنة والجماعة، وفي الفروع اتبعوا اجتهادات أبو حنيفة النعمان الذي يجيز أن يكون الخليفة مسلماً غير عربي، وعليه أصبح الإسلام السني الحنفي الطريق التركي إلى الإسلام. أما الطريق العربي إلى الإسلام الذي يخدم مصالحهم الطبقية والقومية فقد لمحوها في أتباع خط أبي بكر وعمر وعثمان (أهل السنة والجماعة)

خصوصاً بعد أن ابتكر عمر مصطلح الموالي، وأيضا ابتكار أحاديث نبوية لم تثبت صحتها «حبوا العرب لثلاث : لأنني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي».

ما ذكر أعلاه يُوضح الفرق الإسلامية الثلاث الرئيسية







زعيم العلويين وقائد انتفاضة ديرسم ١٩٣٧ (سيدرضا)

عشرة ذؤابة تحول اسم الطريقة من «الصوفية» إلى «قزلباش» ، ومن ثم اتخذ الشاه اسماعيل الصفوي الطربوش الأحمر شعاراً لجنده، وظهرت ملامح هذا التحول الديني مع نهاية العصر الأموي على خلفية استهداف أهل البيت.

حاول أنصار البكتاشية توسيع نشاطهم بين العلويين الكرد بتوجيه من الدولة التركية في كافة مراحلها بغية تغيير مذهبهم الموالي للدولة الصفوية الإيرانية، لكنهم لم يفلحوا في ذلك.

إن من يتتبع طقوس وأفكار العلوية الكردية (قزلباش) يلاحظ تقاطعها بوضوح تام مع الديانتين الزرادشتية والإيزيدية، حيث تخلو طقوسهم ونمط عيشهم من الفروض والأوامر الإسلامية الدينية والدينيوية كالصلاة والصيام والحج، وفيها عشق وتوق كبير إلى الانعتاق والحرية والعيش في كنف الطبيعة ونبذ السلطة ونظام الدولة وذلك أمل معظم الشعب الكردي، ولهذا رفضوا الانضمام إلى الحروب السنية - الشيعية ولم يقبلوا بكلا المذهبين، لأنهما يلهثان نحو السلطة التي تعبر عن مصالح الطبقة السائدة، واتخذوا طريقاً ثالثاً يركز أساسه على الجوهر الإنساني في الديانة الإسلامية وبما

يخدم الإنسان الذي كرمه الله، وقد دعاهم أفراد السنة والشيعية معاً «الخوارج»، في حين يصرح العلويون بموالاتهم لأهل البيت بدءاً من علي بن أبي طالب، لكن طقوسهم تثبت عكس ذلك، ويبدو أن

التي انتشرت في أرجاء بلاد المسلمين وقد تفرق كل مذهب بدوره إلى مذاهب وطرق شتى تعد بالعشرات ويصعب عدّها، منهم من جاهد من أجل الخلاص وبلوغ الكرامة والحرية، وآخرون سعوا لامتلاك السلطة والمال وإشباع غرائزهم وشهواتهم.

### العلوية (قزلباش) :

فرقة دينية إسلامية معتنقوها من الكرد، يعلنون صراحة أنهم «علويون»، لكنها تتضمن أيضاً بعض أفكار الخوارج حول مفهوم الحرية، ويشتهرون في كردستان وتركيا باسم «قزلباش» بمعنى الرأس الأحمر، وقد جاءت التسمية من العمامات الحمراء التي يلبسونها على رؤوسهم والمكونة من اثنتي عشرة لفة تيمناً بالأئمة الاثني عشر، تعدادهم يفوق خمسة ملايين نسمة، ينتشرون في الولايات الجبلية من شمال كردستان مثل : ديرسم، بينگول، العزيز، ملاتيا، سيواس، ماراش، وفي ولاية قيصري في غرب الأناضول بسبب التهجير القسري. انتشر صيتهم بعد معركة چالديران ١٥١٤ م لأنهم ساندوا الدولة الصفوية الإيرانية، ولذلك تعرضوا للمجازر والتهجير من قبل الدولة العثمانية، واستمر الظلم والاضطهاد وكافة صنوف العذاب بحقهم إثر قيامهم بانتفاضة شعبية عارمة في عامي ١٩٣٨-١٩٣٧ م بقيادة سيد رضا، وقد دُمرت مدنهم وقراهم وهُجّر سكانها وسُلبت أموالهم، ودُمرت مدينة ديرسم وتحولت إلى أنقاض بقيت معالمها حتى اليوم، وبُنيت بجانبها مدينة جديدة دعيت «تونجلي» التي تعني اليد الحديدية لسكنى عساكر الدولة التركية فيها في عهد رئيسهم السيئ الذكر عصمت إينونو ، لتذكير الكرد بما ينتظرهم إن تمردوا ثانية.

تعود بداية نشأة العلوية (القزلباش) إلى مؤسسها صفي الدين بن اسحق الأوردبيلي المتوفى سنة ٧٣٠ هـ، وهو الجد السادس للشاه اسماعيل الصفوي الذي كان من المشاهير في المعرفة والزهد والتصوف والسلوك الحميد، وبعيدا عن البدع والمغالاة ، ولذلك دعي قطب الأقطاب وهي أعلى مرتبة دينية، ودعيت فرقته بداية «الصوفية»، وقد تتلمذ صفي الدين على يد الشيخ زاهد گيلاني، وعندما وافته المنية أصبح خليفته في الهداية والإرشاد، وتوفي صفي الدين في أوردبيل وفيها ضريحه ، وعندما ألبسهم الشاه اسماعيل الطرابيش الحمراء ذات الاثنتي



وهداية فاطمة الزهراء، وبعناية ولطف وفضل الأئمة الاثني عشر، وبرواية هرمرز وحقائقه، أقسم على ألا أكذب، ولا أزي، وأرى أصدقاء آل البيت أصدقائي، وأعداءهم أعدائي، وأن أكون مساعداً ومتعاوناً وصالحاً للبشر والجيران والأهل والأصدقاء، وأن أرفع الحق والحقوق كاملة، وأن أرى حقوقهم حقوقي، وألا أخرج عن وعظ ونصائح الپير والمرشد الذي اخترته، وأن تكون علاقتي بمصاحبي الذي اخترته كعلاقة النبي محمد بعلي، وأن تكون محبتي وارتباطي المادي والمعنوي مع أصدقائي وأهلي وجيراني كالعلاقة بين محمد وعلي، وأن أعتبرهم أشقائي وشقيقاتي، وأن أكون بعيداً عن الحقد والبغض والسخرية، وأقسم على الالتزام بهذه الحقيقة ما دمت سائراً على نهج ودرج النبي وآل بيته».

ولدى القزلباش مجموعة من الأعياد والمناسبات مثل:

١- عيد النوروز: يعتبر بداية الربيع وميلاد الإمام علي بن أبي طالب، وليلة ٢١ آذار تدعى «نوروز السلطان».

٢- عيد عاشوراء: يأتي بعد ١٢ يوماً من الصيام في شهر محرم، ويتم إعداد طبخة عاشوراء المؤلفة من: الماء، الملح، القمح، الحمص، الزبيب، التمر، المشمش المجفف والمكسرات بحيث تكتمل ١٢ مادة، وتوزع على الأهل والجيران، ثم ينعقد مجلس الجم وتتلّى الآيات والأدعية والأناشيد والمدائح المصاحبة للموسيقى ورقصة «سما».

٣- لقمة موسى الرحال: وهي جمع الطعام والقرايين وطبخها وتوزيعها على الجميع، ويعتقدون أن ذلك يدر البركة على المحصول.

٤- بوكا باراني Bûka Baranî (عروس المطر): حيث يزينون فتاة ويجوبون بها جميع البيوت لجمع السمن والبرغل أو الرز ويطبخونها خارج القرية ومن ثم يوزعونها على جميع السكان، ثم تقام الدبكات على أنغام الموسيقى والغناء الشعبي احتفاءً بقدم الربيع، وهذا العيد أت من الزرادشتية. كما أنهم يحتفلون بعيد خضر الیاس وعيد الأضحى كما يحتفل بقية المسلمين بتقديم الأضاحي وزيارة القبور والأضرحة وننوه بأن عيد الأضحى عيد مقدس تحتفل به كافة الطوائف الدينية الكردية. ومن عاداتهم أنهم لا يتزوجون من أقربائهم

ولاءهم شكلي فقط من خلال تقاطعهم مع الزرادشتية والمزدكية (في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد) والمانوية (في القرن الثالث الميلادي) حيث يذكر في أدعيته «هرمس» و «هوما»، وتقرب طقوسهم من الطائفة النصيرية في سوريا الذين يسكنون في جبال العلويين المطلة على ساحل البحر المتوسط مع تشابه بينتيهما.

في حين تخلو الطقوس العلوية القزلباشية من الصوم والصلاة حسب طريقة أهل السنة إلا أنهم يؤدون صلوات خاصة في «الجم Cem» أو بيت الجمع المعادل لمصطلح «الجامع»، حيث يجتمع الرجال والنساء معاً ويؤدون صلواتهم على شكل دعاء وابتهالات وحركات راقصة تدعى «سما» بإشراف «پیر Pîr» أو «دده Dede» ولا يوجد فيها سجود، ويقول بعضهم أنه يجوز عند غياب الپير أو الدده أن تتوب عنه زوجته «أنا Ana».

لا يصوم العلويون في شهر رمضان وإنما لديهم صوم بداية شهر محرم اثنا عشر يوماً حزناً على مقتل الحسين، ولذكراه لا يشربون الماء ولا يذبحون القرايين ولا يحلق الرجال شعورهم، كما يصومون ثلاثة أيام في شهر شباط ويدعى صيام الخضر (النبي شعيب)، ويقدمون الأضاحي في مقام «بابا دوزغون» وبمواجهة نهر موندور الذي يرويه مقدساً، ويسجدون أمام المراقد والمقامات وصور علي بن أبي طالب والخضر مناجين وداعين بالخير والصحة، وعندما لا يستجاب دعاؤهم يلومون أصحاب المقامات والمراقد، أي أن علاقة العلوي القزلباشي بالله وكذلك طقوسه وصلواته تخلو من العبودية للخالق ومثاليه، إنها علاقة صداقة، ويعلمها صراحة: «لا أؤمن بالله خائفاً بل عاشقاً».

كما يقام في «الجم» إضافة إلى الطقوس الدينية اجتماعات حقوقية يتم فيها مناقشة الشكاوي والمظالم المرتكبة، وتصدر الأحكام الشرعية باسم «ديوان الحق» تحت إشراف الپير أو الدده وبحضور جمع من الناس للإشهاد وتنفيذ الأحكام.

ويؤدي العلويون القزلباش قسم اليمين عند اللزوم حسب النص التالي كما ورد في كتاب «تاريخ كردستان- دبرسم» لمؤلفه الطبيب النائر المرحوم محمد نوري دبرسمي:

«باسم الله الواحد الأحد، وشفاعة الرسول المصطفى محمد، وولاية الخضر علي ذو الفقار،

سيئة ليحاسب على أخطائه، أما الصالحون في مرتبة «بير» فتصعد روحهم إلى ملكوت السماء، ومن طقوسهم عقد حلقات الذكر السري لاسم الله يترافق ذلك مع العزف على آلات موسيقية، ولهم أعياد مثل الاحتفال بالنوروز، و (برخ بران) أي ذبح الخراف بعد الصوم .

### الإيزيدية:

ديانة شرقية قديمة انحدرت من معتقدات شعوب الشرق الأدنى وخاصة المعتقدات الآرية، وانتشرت بين الشعب الكردي في زمن غير معلوم قد يصل إلى بداية العصور التاريخية استناداً إلى أساطيرها وطقوسها، وهي ديانة بعيدة عن الوثنية لكنها تقدر عناصر الطبيعة خصوصاً الشمس، وبهذا تقترب من الميثرائية والزرادشتية حيث يتوجه الإيزيديون في صلواتهم نحو الشمس، ويؤمنون بوحدانية الله خالق الكون ومن بعده بالملائكة السبع وعلى رأسهم طاووس ملك، ويؤمن معتنقوها الكرد بأن طاووس ملك يعود بجذوره إلى الإله السومري دوموزي الابن البكر لله، وهذا يؤكد أن الإيزيدية تستند على الشرائع والطقوس المتركمة من ديانات ميزوبوتاميا القديمة، كما يؤكد الباحث الأثري الإيزيدي لافاري نابو «إن تاريخ الإيزيدية يرجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد» وهذا يشير إلى أنها من أقدم الديانات الكردية، وقد وصلت تعاليمها بالغة الكردية إلى الأجيال اللاحقة بالتواتر شفاهاة أو ما يسمى «علم الصدر».

وردت تسمية الإيزيدية من (إيزي ، أزدهي ، يزدان) بمعنى «الله- الخالق) ، حيث يؤكد القول الديني المقدس التالي إيمانهم بوحدانية الله:

Sultan îzî bi xwe padişaye  
Hezar û yek nav li xwe danaye  
Navê herî mezin xwedaye  
السلطان إيزي هو نفسه الملك «الله»

له ألف اسم واسم

وكنيته الكبرى هي «الله».

يُعتقد أن الإيزيدية مرت بمرحلة عبادة عناصر الطبيعة وتعدد الآلهة ومن ثم شكلت «مجمع الآلهة»، وبمرور الزمن وانتشار الديانات التوحيدية العالمية تسربت أفكار وطقوس التوحيد إليها، وتقبلها معتنقوها حيث أصبح كبير الآلهة هو «الله»

حيث يعتبرون أولاد العم والعمات والخال والخالات أخوا لهم وهم في ذلك يشبهون المسيحيين، وأن كل فتى يختار من بين أسر معارفه أو جيرانه فتاة يتخذها اختاً له مدى الحياة، وكذلك تفعل الفتاة حيث تتخذ أختاً لها مدى الحياة، ويجرون ختان الأولاد في ذكرى ميلاد الإمام علي، ويطبقون احتفالات الزواج في ذكرى ميلاد الحسين، كما أنهم يكثرون شرب الخمر، وننوه إلى أن المرأة مكرمة ومبجلة في المجتمع العلوي، حيث تقام كافة الاحتفالات والأحزان والطقوس الدينية بشكل مختلط ولا يوجد فصل بين الجنسين، كما لا يشاهد أي أثر للنقاب أو الحجاب حيث الفتاة العلوية حاسرة الرأس بينما المتزوجات منهن يضعن على رؤوسهن منديلاً يغطي نصف الرأس دلالة على أنها متزوجة.

### أهل الحق:

فرقة دينية إسلامية من غلاة شيعة علي، يؤلهون الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ويؤمنون بالتناسخ والحلول، ويقولون بأن روح الله تجسدت في سبعة أجسام أحدها علي، ويرافق الإله المتجسد أربعة ملائكة، ومن هذه الملائكة التي يؤمنون بها (باقي غوره Bavê Gewre) و (بابا طاهر) الهمداني الشاعر المعروف، و (باقي ياديگار Bavê Yadîgar) الذي يقال إن روح الحسين بن علي تجسدت فيه.

ومن طقوسهم توزيع الخبز واللحم المسلوق في المجالس الدينية، ويعتقدون أن الروس سيجاربون العثمانيين بالسيف الذي أهداهم إياه علي بن أبي طالب، ويوجد بين أفراد هذه الفرقة «التأخي» بين رجل ورجل أو امرأة وامرأة أو رجل وامرأة، وينتشرون بين فروع من عشائر الكلهور وهم السنجاويون في شرق كردستان، وفي جنوب كردستان تدعى هذه الفرقة بـ «الكاكائية» نسبة إلى مرشد قديم لقب بهذا الاسم ويتواجدون في أطراف كركوك قضاء توزخورماتو وخانقين وكفري، وفي منطقة شيخان ظهر سلطان اسحاق وكذلك يتواجدون في شهرزور وكرميان وهورامان .

ونشير إلى أن بعض آثارهم مدونة باللغة الكردية (اللهجة الكورانية) وتدعى إحداهما ( سر ) أنجام (Ser Encam) وتعني المصير، ويقولون عن جزاء الخطيئة أن المرء يُبعث من جديد في ظروف

المتصوف الذي يُعتقد أنه ولد بين أعوام (١٠٧٣-١٠٧٨) وتوفي بعد بلوغه التسعين من عمره، وكان قد أمضى شطراً من حياته مع المتصوف الإسلامي الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولم يكن في رؤيته انحراف عن الإسلام حسب ما يشير إليه روجيه ليسكو في كتابه (التحقيق عن الإيزيدية في سوريا وجبل سنجار). وورد في كتاب (سيدي أحمد الرفاعي) أنه في السنة التي زار فيها (الرفاعي) مكة للحج كان من جملة الحجاج الشيخ عدي بن مسافر» وبعد استقرار الشيخ عدي (أدي) في هكاري انتهز فرصة ضعف وارتخاء الدولة العباسية ليقوم بإصلاحاته، ودعا إلى التقشف والتمسك بالمعاني الروحية والخضوع لله، ووضع منظومة فكرية وطقسية للمعتقد الإيزيدي استناداً إلى المعتقدات والأدبيات الشفهية القديمة الباقية في صدور المؤمنين الكرد، وقام بترميم مزارات لالش في جبل سنجار التي ربما كانت من قبل معبداً وثنياً أو ديراً مسيحياً، وجعلها مكاناً مقدساً ومحجاً لمعتقي الإيزيدية، وهناك تبلورت آراؤه وفلسفته ومذهبه حول القدرة الإلهية ومنها «إذا كان الشر موجوداً رغم إرادة الله وبمعزل عنها فذلك دلالة على أن الله عاجز، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون عاجزاً وإلا لما كان إلهاً» كما وضع نظاماً لاهوتياً هرمياً لطبقات أتباعه (الشيخ- البير- المريد)، وتلخص نظرة المعتقد إلى قضية الخلق في: أن الله خلق في يوم الأحد الملك عزازيل (طاووس ملك) يمثل عز الله وقوته واعتبره رئيساً للملائكة (وهو الذي اعتبر في الكتاب المقدس والقرآن إبليس) والحية التي أغوت آدم، وفي يوم الاثنين خلق الملك دردايل ويمثل إله القمر سن، ثم خلق في يوم الثلاثاء إسرافيل وهو الذي ينفخ في الصور، ثم خلق ميكائيل يوم الأربعاء، وخلق جبرائيل أو عزرائيل يوم الخميس، وشمنايل يوم الجمعة، وفي يوم السبت خلق الملك نورائيل.

يشير روجيه ليسكو أنه بعد وفاة الشيخ أدي برزت من بين مريديه جماعتان متنافستان إحداهما تمسكت بالدين الإسلامي التقليدي مع مسحة أموية، والأخرى تأثرت بالمعتقدات الدينية القديمة في كردستان مثل الزرادشتية والمانوية وعقائد قد تصل إلى العصر السومري، أو ما يمكن قوله العودة إلى رأس النبع لتوافر الشروط الذاتية والموضوعية، وبعد صراع طويل بين الجماعتين دام زهاء مئة



معبد لالش

وأعضاء المجمع الآخرون ملائكة ورسلاً أو أولياء صالحين، وعلى رأسهم «شيخادي» وهو بمثابة رسول يأتي من حيث الترتيب بعد طاووس ملك، وبهذا الشكل يتكون ثلاث لاهوتي مقدس مؤلف من (الله - طاووس ملك - شيخادي) على غرار المسيحية والديانات القديمة في بداية مرحلة إزاحة الآلهة الأم ليشاركها في مجمع الآلهة الزوج والابن.

تعرضت الإيزيدية للظلم والاضطهاد وطُبقت بحق معتققيها أعمال بربرية ومجازر وحشية واعتبروا كفرة وعبدة الشيطان بسبب رفضهم للدين الإسلامي خصوصاً في عهد عمر بن الخطاب والمرحلة الأموية اللاحقة واستكملت فصولها في المرحلة العثمانية، وأصبح وضعهم أشبه بحال اليهود في المرحلة الرومانية ومحاكم التنقيش والنازية، وقد كانت أعنفها حملة الحجاج بن يوسف الثقفي على منطقة هكاري حيث قتل حوالي مائة ألف إيزيدي، وحملة السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٥ م التي تمت بناء على فتوى أبو السعود العمادي الذي أباح قتل الإيزيديين وسلب أموالهم، مما أجبر البعض على إعلان إسلامهم والتأقلم مع الدين الجديد، وآخرون قبلوا بعض التعاليم الإسلامية وطقوسها شكلاً، ولذلك وصفهم بعض الكتاب على أنهم طائفة إسلامية منحرفة عن الدين الحق.

في بداية القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت حركة إحياء وتجديد للإيزيدية على يد الشيخ أدي الهكاري (أو الشيخ عدي بن مسافر) الفقيه والشاعر



مدخل لالشا نوراني وكانيا سبي

من الجنة. يظهر هنا أن طاووس لعب دوراً سلبياً بأمر الله، وعندما طلب الله من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلا طاووس ملك (في القرآن إبليس) حيث رفض أن يسجد لغير الله، فعاقبه الله وأبعده على خطيئته، لكن طاووس ملك ندم وبكى دموعاً أطفأت نار جهنم، فغفر الله له وأعادته إلى مكانه

ووكله بأمر الخليفة وإدارة الكون، ولذلك فإن الإيزيديين يعظمونه لأنه مدبر الكون وراعي شؤونه ويلتمسون منه كل ما يحتاجون إليه عن طريق الشيخ آدي، وبهذه الطريقة وكأنهم شكلوا مجمعاً إلهياً أو ثالثاً مقدساً على غرار المسيحية مكوناً من (الله - طاووس - شيخادي).

تنقسم زعامة الإيزيدية إلى مؤسستين إحداهما زمنية ويرأسها المير وأخرى دينية تتوزع على ثلاث طبقات دينية هي الشيخ والبير والمريد ومنها تشتق المراتب الدينية: (بابا شيخ - پيش إمام - فقير - قوال - مير حج - بابا جاويش)، وتختص طبقة الشيوخ بالقيام بالواجبات الدينية (البسك، الزواج، الدفن، التحليل والتحریم)، وتتحدر هذه الطبقة من ثلاث عوائل عريقة هي: (الأدانية والشمسانية والقاتانية)

عام انتصرت الجماعة الثانية، وانتشرت مبادئها في كردستان وتقبلها الناس وذلك في القرن الثالث عشر، وأعيد الاعتبار لإبليس كرئيس للملائكة ودعي بالكردية «طاووس ملك»، ومع أن المبدأ الإيزيدي العام يعتمد على إله واحد يعاونه سبعة ملائكة إلا أن أسماء هؤلاء الملائكة تتغير من فرقة إلى أخرى حيث يرد لدى البعض اسم الشيخ أبو منصور الحلاج ويتكرر الاسم نفسه لدى طائفة أهل الحق والعلوية القزلباشية الكرد.

شغلت مسألة إبليس مخيلة عدد من المتصوفين المسلمين، ودخلوا في جدال عميق حول لعن إبليس وطرده من الجنة، أمثال الشيخ عبد القادر كيلاني، محي الدين ابن عربي، أحمد الغزالي والحسين أبو منصور الحلاج ويرون أن رفض إبليس السجود لآدم كان تكريماً لله سبحانه وتعالى وحبه المفرط له، وبدلاً من لعنه إلى الأبد يتوجب تبرير فعلته وتوقيره، كما تجب الإشارة إلى أن الطوائف الدرزية والتختجية والمندائية يجلون إبليس أيضاً وأن الشاعر العباسي المشهور بشار بن برد يقول في قصيدة له:

إبليس أفضل من أيكم آدم  
فتبينوا يا معشر الأشرار  
النار عنصره وأدم طينة  
والطين لا يسموا على النار  
الأرض مظلمة والنار مشرقة  
والنار معبودة مذ كانت النار

ويعتقد الإيزيديون أنه في كل سنة ينزل أحد الملائكة السبع في كردستان ويضع الشرائع لأمة «يزدان» ثم يصعد إلى ربه، وأن طاووس ملك نزل قديماً وتكلم مع البشر بالكرمانجية، وسلم الحقائق والشرائع إلى الإيزيديين، وأن أحد الملائكة سلم السناجق (الرايات) إلى سليمان الحكيم، وبعد موته تسلمها ملوك الإيزيدية، وقد يكون لهذا المعتقد علاقة مع ما جاء به المسعودي أن الكرد ظهروا نتيجة زواج الجن من نساء سليمان اللاتي أبعدن إلى الجبال، وعندما قرر الله أن يخلق آدم «إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»، أمر جبرائيل أن يدخله في الجنة ويأكل من كل الثمرات ما عدا الحنطة (في التوراة شجرة المعرفة)، قال طاووس ملك (عزازيل) لله: كيف يظهر نسل آدم؟ أجابه: «الأمر والتدبير سلمته بيدك»، فطلب من آدم أن يأكل الحنطة، فلما أكل انتفخ بطنه حالاً، وأخرج



ووضعهم في جيوب الخرقه وطلع من الجوهرة ومعه ملائكة فصاح صيحة عظيمة على الجوهرة فانفصلت وصارت أربع قطع ومن بطنها خرج الماء وصار بحراً وكانت الدنيا مدورة...» .

أما الجلوة فقد جاء في الديباجة (الترجمة العربية)

:

«إن أول مخلوق هو الملك طاووس حيث أرسل عبطاوس إلى هذا العالم لكي يميز قومه الخاص وينجيهم من الضلال وبعد أن أبلغهم بالحقيقة شفاهة ثم عن طريق هذا الكتاب المسمى جلوة الذي يحرم قراءته من قبل الخارجين عن هذه الملة».

وننوه إلى أن عدداً كبيراً من الباحثين خاضوا غمار البحث عن الديانة الإيزيدية للتعرف عليها وسبر أغوارها وكشف توجهاتها عن حسن أو سوء نية، لكن أغلبهم فشلوا بسبب اهتمامهم بالشكل والابتعاد عن الجوهر أو أنهم أطلقوا أحكامهم مسبقاً، كون معتقياً من الكرد حيث أن أغلبهم اعتبروا الإيزيدية (عبدة الشيطان) أو طائفة إسلامية منحرفة عن الدين بسبب اكتشافهم أسماء ومصطلحات قريبة من الإسلام ويعتقد أن الشك في انحراف كتب الإيزيدية يعود إلى أنها كتبت بالعربية بينما طقوسها تقام بالكردية، لكن الغوص في الجوهر ومناقشة رجال الدين في العمق يؤدي إلى نتيجة مفادها: إنها ديانة شرقية توحيدية تتخذ من عبادة الشمس كرمز للتوحيد وملائمة لمناخ كردستان وسيكولوجية شعبها أساس في العقيدة والعبادات والطقوس.

تنتشر مساكن الإيزيديين في الأجزاء الأربعة من كردستان أغلبهم في جنوب كردستان وخاصة أفضية الشخان وشنغال من ولاية الموصل، وفي الحسكة وعفرين في غرب كردستان، وولايات أورفا ماردين ديار بكر سيرت آغري بشمال كردستان، وبعض مناطق كرمناشاه ومهاباد وأورميه في شرق كردستان، إضافة إلى وجودهم في أرمينيا وجورجيا، أما تعداد الطائفة فيقدرهم أعضاؤها بحوالي مليون نسمة لعدم وجود إحصائية دقيقة بسبب عدم اعتراف الأنظمة الحاكمة بوجودهم العرقي والثقافي، كما أن معدل النمو السكاني لديهم يكاد يكون صفراً بسبب حملات الإبادة وتغيير الدين بشكل قسري أو طوعي.

ويحرم الزواج بين كل عائلة من تلك العوائل الثلاثة، كما يحرم الزواج بين طبقات الشيوخ والبير والمريدون حيث تعتبر كل طبقة أعلى مرتبة وبمثابة آباء للطبقة الأدنى، وعكسها أولاد الطبقة الأعلى، وتشكل طبقة البير مع الشيوخ وظيفه ومفهوماً دينياً واحداً، أما المريد فهم يشكلون عامة الشعب وينتمون إلى عشائر متعددة، وبنوه إلى أن الزواج بين أفراد الديانة الإيزيدية وأفراد الديانات الأخرى محرّم.

ويأتي على رأس طقوسهم الصلاة ثلاث مرات في اليوم (عند شروق الشمس ومنتصف النهار وغروب الشمس) حيث يتوجهون نحو الشمس بالدعاء للخالق، أما الصيام فتلاثة أيام في السنة على أن يدخل العيد في أول جمعة من شهر كانون الأول حسب التقويم الشرقي، إضافة إلى صوم أربعينية الصيف وأربعينية الشتاء لطبقة رجال الدين، كما يوجد واجب الحج ولو لمرة واحدة في العمر إلى معبد (لالشا نوراني) الذي يعتبر مركز الكرة الأرضية حسب معتقدتهم والموجود في جبل شنغال وفيه نزل طاووس ملك من السماء في الأول من شهر نيسان الشرقي حيث يحتفل به كعيد لرأس السنة وتتم زيارة مرقد الشيخ آدي والتعميد بمياه النبع الأبيض (كانيا سبي).

للإيزيدية كتابان مقدسان هما «مصحفي رش والجلوة» اللذين كتبا بخط خاص بهم يدعى (خطا سري) ويعتقد البعض أن النسخ الحالية محرفة عن الأصل الضائع لكنهما غير بعيدين من حيث المضمون عن العقائد والمبادئ الإيزيدية، حيث يتحدث مصحف رش عن أسطورة الخلق وخروج آدم وحواء من الجنة، وقصة الطوفان وأصل الإيزيدية والواجبات الدينية، حيث يرد في الترجمة العربية:

«في البداية خلق الله درة (جوهرة) من سره العزيز، وخلق طيراً اسمه أنغر، وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعون ألف سنة، خلق يوم الأحد ملكاً سماه عزرائيل وهو طاووس ملك ورئيس الجميع، ويوم الاثنين خلق الملك دردايل وهو الشيخ حسن، ويوم الثلاثاء خلق الملك اسرافيل وهو شيخ شمس، ويوم الأربعاء خلق الملك ميكائيل وهو شيخو بكر، ويوم الخميس خلق الملك جبرائيل وهو سجادين، ويوم الجمعة خلق الملك طورائيل وهو فخر الدين، ثم جعل طاووس ملك رئيساً للجميع، خلق فخر الدين الإنسان والحيوان والطير والوحوش

# مقتطفات من حياة ثائر في مسيرة الحرية



## خوف فجن جديد

### المسير لخطو خطوة جديدة

عام ١٩٩٦ أتت مجموعة من ساحة القيادة إلى إيالتنا، وكان من ضمن المجموعة الرفيق هبون القصير من أركاني فهو كان قد ناضل سابقاً في المنطقة الرابعة ويعرف تفاصيل المنطقة بشكل دقيق، وعند مجيئه تم فرزه إلى تلك المنطقة، كنا ننتظر أن يشرف كقائد على المنطقة، ولكن الرفاق فكروا بشكل آخر، حيث تم تعيينه مسؤولاً عن المجموعة، لأنه في السنة الماضية كان قد ذهب من الخط نفسه وعاد ثانيةً. ومع مجيء شهر آب تم تحضير مجموعة للذهاب إلى المنطقة نفسها، وسوف تسلك المسار نفسه الذي سلكناه العام المنصرم، صرح الرفاق بأن أفراد المجموعة التي ذهبت العام الماضي باستثناء الرفيق روجيات سوف يأخذون أماكنهم في المجموعة الجديدة أيضاً، وقالوا بأن المهمة في هذه المرة هي المرور من إيالة كوناياتي، ومنها الذهاب إلى مهمة أخرى، وهي الوصول إلى جبل أريجيس. وفي غضون يومين تم تشكيل مجموعة تألفت من اثني عشر رفيقاً، كان الرفيق هبون يقود المجموعة ومساعدته كان سرهلدان هذا الأخير لاذ بالفرار بعد ذلك، أنا والرفيق حمزة ذهبنا بمهمة قادة المجموعة. وكان من ضمن المجموعة بهزاد قولب، هبون ليجاء، دلوفان أرغاني، وشادي وكذلك كان هناك هبون ملاطيا الذي لاذ بالفرار أيضاً، كنت قد ذهبت مع الرفيق زندان إلى بيتهم الواقع في جوار كورجي.

بعد أن أصبحت المجموعة المؤلفة من اثني عشر رفيقاً جاهزة في غضون يومين بدأنا بالمشير، سلكنا الطريق ذاته حتى وصلنا إلى سيفرجا، وبدون أية إشكالية تذكر، ولكن أينما ذهبنا كانت تظهر مشكلة التموين مثل سابقتها، لقد قمنا بإخراج بعض العسل من صناديق العسل التي رأيناها في البساتين في إحدى القرى التابعة لناحية ألف بابا، ولهذا فقد كان التموين الموجود لدينا هو ذلك العسل فقط. بقينا حوالي يومين في محيط تلك المنطقة لأن الرفيق هبون أراد معرفة الجغرافيا هناك بشكل جيد.

كان علينا الرحيل عن المنطقة بعد بقائنا لمدة يومين متتاليين فيها، ولكن قبل ذلك توجب علينا حل مشكلة نقص التموين لدينا، لهذا كنا مجبرين على الذهاب إلى نفس البساتين لجلب العسل. كلفنا الرفيق بهزاد بتلك المهمة، أردنا في هذه المرة جلب كمية جيدة من العسل لكي تسد حاجتنا من الطعام لعدة أيام، وصلنا إلى مكان

أن نجربه، قلنا له توجد لدينا مشكلة في التموين لهذا اضطررنا لأخذ العسل، وقلنا له هل تستطيع الذهاب إلى أقرب قرية لتجلب لنا بعض المواد التموينية من عند البقال؟ وقمنا بإعطائه لائحة بالاحتياجات وعندما جاء الوقت لنحدد له الساعة تحدث قائلاً: إذا لم أرجع في غضون ساعتين هذا يعني أنني أدبر لكم مؤامرة، ولهذا عليكم اتخاذ التدابير اللازمة، قال ذلك ليثبت مدى صدقه.

عاد الرجل إلينا بعد ساعة، وقد جلب لنا القسم الأكبر من الحاجيات التي طلبناها، وقبل أن نودعه شكرناه وقلنا له بتقربك هذا قد أدت خدمة للثورة وللشعب الكردي، وبدأنا نصافحه ونودعه وأكملنا المسير، منذ أن بدأنا بالمسير نحن الآن في يومنا الخامس، المهام والوظائف التي سنقوم بتنفيذها واضحة ودقيقة، كم ستستغرق هذه المسيرة لا أحد منا يعلم، أين ومتى ستنتهي لم نكن نعلم ذلك أيضاً. كم سنستغرق من الوقت لتنفيذ مهامنا لم يكن هذا معلوماً أيضاً، ولكن في ظل كافة الظروف والشروط وعلى الرغم من كل شيء كنا نريد تنفيذ مهامنا خلال أقصر مدة ممكنة، طبعاً إن لم نصادف في طريقنا أي عائق مثل الشهادة، وإذا لم يواجهنا العدو بسوء طالع.

أكملنا المسير بدون أن نتوقف في تلك الليلة حتى الصباح، وبدأت الشمس تشرق على المنطقة، قمنا بإخفاء أنفسنا طيلة النهار وعند حلول المساء بدأنا بالتحرك مرة ثانية. كنا نحتاج إلى دخول إحدى القرى وذلك لتأمين قسم من التموين، وبما أنه لم يكن بوسعنا الدخول إلى القرى بسهولة، فقد كنا نستهدف الدخول إلى القرى الصغيرة، والسبب هو سهولة وضع القرية تحت الرقابة وملاحظة أي طارئ قد يحدث بسرعة، وبعد السير قليلاً صادفنا إحدى القرى، ودخلنا القرية بسرية تامة، ولدخول أحد البيوت المتواجدة خلف القرية كان علينا الابتعاد كثيراً بسبب ضوء الإنارة في القرية، لهذا ذهبنا إلى نهاية القرية، وطرقتنا على باب أحد البيوت. وإذا بامرأة عجوز تفتح لنا الباب وترحب بنا بحرارة كبيرة، طلبت منا الدخول إلى البيت وبعد دخولنا وجدنا شاباً يسكن مع العجوز، جلسنا وبعد شرب الشاي قمنا بالنقاش معهما كنا نحسب أنها تنظر إلينا كضيوف الرحمن ولكن بعد جلوسنا كانت قد أخبرت

قريب من البستان وأرسلنا الرفيق بهزاد إلى البستان ومكثنا نحن في أسفل الجدار المحيط بالبستان.

الرفيق بهزاد كان قد ذهب في المرة السابقة أيضاً لجلب العسل، وعندما جلب العسل من البستان، ترك بعضاً من النقود مكان صندوق العسل، لهذا بعدما وجد صاحب العسل بأن أحداً ما قد أخذ العسل وترك النقود مكانه أصبح يتلطف لمعرفة ذلك الشخص، ولهذا أخذ بحراسة العسل لعدة أيام ليتعرف على الشخص الذي فعل ذلك. ولهذا عندما دخل الرفيق بهزاد إلى البستان وبينما مد يده إلى أحد صناديق العسل قام صاحب العسل بوضع سبطانة سلاح الصيد في رأسه، وأمره ألا يتحرك من مكانه...

عندما تأخر الرفيق بهزاد انتابنا الخوف، ولكي نعلم ما حصل له دخلت إلى البستان، وبما أن القمر كان بدراً ويضيء كل المكان، فقد كان بمقدوري رؤية كل شيء بوضوح تام. عندما دخلت إلى البستان لاحظت من بعيد شخصين واقفين بجانب صناديق العسل، فكرت قائلاً لنفسي بأن الرفيق بهزاد كان قد ذهب وحده من عندنا، وعندما دنوت منهما أكثر شاهدت شخصاً باللباس المدني يضع السلاح برأس الرفيق بهزاد، اقتربت ببطء من الخلف ووضعت السلاح برأس الرجل وطلبت منه الاستسلام، تجمد الرجل في مكانه، وقتها تولدت لدي مخاوف بأن يقوم الرجل بإطلاق النار على الرفيق بهزاد من شدة خوفه وهيجانه، ولهذا قلت له بأن يرفع سبطانة سلاحه إلى الأعلى، ولم أهمل ذلك، كان الرجل يرتعش من الخوف، كنا سابقاً قد أخذنا عسل الرجل وتركنا النقود في مكانه، أجلسنا الرجل وأخذنا نتناقش معه، الرفاق الباقون خارج البستان ومن بينهم الرفيق هبون هم أيضاً دخلوا إلى البستان، كان الرجل يرغب بمعرفة الذين أخذوا العسل ووضعوا مكانه النقود، لهذا بدأ بحراسة العسل لعدة أيام كما يدعي، كان يريد معرفة الأشخاص الذين فعلوا ذلك في هذا العصر، ومن هم، يريد معرفتهم قالها من دون أن ينسى ذلك. جلسنا بجانبه وأصبحنا نعرفه بأنفسنا، تأثر الرجل كثيراً بتقربتنا وعندما تحدثنا عن أنفسنا تأثر بشكل أكبر، وقتها فكرت، وقلت إذا لم يكن هذا الرجل سيئاً نستطيع الاستفادة منه لأن كسب علاقة واحدة هناك له أهمية كبيرة بالنسبة للمنطقة لهذا أردنا





قرى تركية، كان طريقنا يمر من بين القرى، وكنا مجبرين على العبور من بين تلك القرى.

كيفية تحركنا وبأي اتجاه كان القرويون سيشهدوننا، وذلك بسبب حاجتنا إلى تأمين المواد الناقصة من التموين لدينا، لهذا لم يعد أمامنا أي طريق سوى الدخول إلى أحد البيوت، وهذا ما قمنا به بالفعل، فقد طرقنا باب أحد البيوت، وعندما فتح صاحب البيت الباب دخلنا إلى البيت ووجدنا صورة أتاتورك معلقة على الجدار وبجانب الصورة علم حزب الحركة القومي. بعدما وجد صاحب البيت بأننا ننظر إلى الصورة والعلم، قال لنا بأن كل بيت في هذه القرية توجد فيه صورة أتاتورك وعلم حزب الحركة القومي. في الحقيقة لم نكن نعلم بأن القرية تابعة

لحزب الحركة القومي، وبالمقابل لم

يتفاجأ صاحب البيت قط بمجيئنا.

جلسنا مع العائلة وتحدثنا معهم،

في الوقت نفسه أجزمنا في

أنفسنا بأن العائلة سوف

تخبر العدو بمكاننا، ولكن

ما ظهر إلى الوسط أثبت

العكس، لأننا لاحظنا بأنهم

يخافون منا من جهة ومن

جهة أخرى لا يحبذوننا، فقد

تركوا الباب مفتوحاً بينما كانوا

يجهزون لنا التموين، وربما يكمن

السبب الأساسي في عدم إخبار العدو

عنا هو رد فعلهم الغاضب تجاه الدولة، لأن

الدولة لم تكن تقدم لهم الخدمات الأساسية مثل تمديد

خطوط الكهرباء والماء وفتح الطرقات، وبحسب ما

يقول أهل المنطقة فإن الدولة قامت بتهجيرهم إلى هنا

واتبعت سياسة خاصة بحقهم وتركهم على حالهم بدون

أي خدمة تذكر. فهم لم ينكروا تركياتيتهم ولكنهم في

الوقت نفسه لا يبادلوننا المحبة أيضاً.

حالة القرى التركية الواقعة على طول ضفاف

نهر دجلة كانت تظهر لنا حقيقة أخرى وهي حقيقة

وجه الدولة التركية الكاذب و المخادع، فمن جانب

تطبق الدولة التركية كافة أساليب الصهر والإنكار

على الشعب الكردي، ومن جانب آخر تترك العديد

العدو بمجيئنا، ولكن لم يكن لنا علم بذلك.

أخذنا بعض الحاجيات من البيت وأكملنا مسيرتنا،

كانت السيارات المارة تسير باتجاه الشرق، سرنا قليلاً

بعدها لاحظنا أمامنا رتلأ من سيارات العدو، قلنا في

أنفسنا هل جاءت لأجلنا، ولكننا فكرنا بأننا نأتي من

الجهة الغربية وسيارات العدو تتجه نحو الجهة الشرقية،

في هذه الأثناء لاحظنا تحركات العدو من خلال أجهزة

اللاسلكي، وفجأة خرج رتل من السيارات قادماً من

الجهة الشرقية ومتجهاً صوبنا، فكرنا بالعائلة التي

استقبلتنا بحفاوة وأكرمنا كضيوف الرحمن بأنها هي

التي أخبرت العدو بوجودنا، لأن التمشيط بدأ مباشرة

بعد خروجنا، وهكذا علم العدو بوجودنا في المنطقة،

طريقنا ومعايرنا التي كنا نسير فيها باتت معلومة.

انفتاح منطقة بالنسبة للكريليا بعد سنين

بقدر أهميتها بالنسبة لنا تشكل

خطراً بالنسبة للعدو، ولهذا بدأ

العدو يتتبعنا خطوة بخطوة

ويراقبنا، وللخروج من

ساحة التمشيط كان علينا

قطع مسافة تحتاج السير

مدة ليلتين في ليلة واحدة،

والوصول إلى حواف نهر

الفرات، فقط الفرات يستطيع

إخفاءنا، سرنا حتى الصباح

وارتيمنا على حواف نهر الفرات،

ومع حلول الفجر قمنا بالكشف لمعرفة

الأوضاع، شاهدنا العدو متمركزاً في المراصد

والمرتفعات. وأصبحت قوات العدو التي كانت منتشرة

في المنطقة تعطي التفقد لبعضها البعض، لكن لا أحد

يعطي تعليمات بصدنا لأننا نجحنا في الخروج من

ساحة التمشيط. تابعنا تحركات العدو في التمشيط من

بعيد، وتنصتنا على أجهزتهم اللاسلكية، الجو كان هادئاً

وقضينا اليوم في استراحة على أطراف الفرات، فكرنا

في الذهاب خلف مشروع سد قره قايا لأننا سنكمل

المسير من هناك باتجاه كوناي باتي، وقبل أن يخيم

الظلام بدأنا بالتحرك، كانت هناك قرى تركية على

حواف الفرات وكان قد سكنها إينونو سابقاً، ولكننا لم

نعلم بأن تلك القرى الموجودة على حواف الفرات هي



شيئاً، عندما دخلنا البيت بدأنا بالتحدث معه، وقتها قال بأنه والد زوجة المختار الذي كنا قد زرناه في الليلة الماضية. قلنا له نحن كريليا حزب العمال الكردستاني واجهنا صعوبة في العبور إلى الجانب الآخر للنهر، ولهذا نطلب منك أن تساعدنا في عبور النهر مقابل ما نطلبه منا من المال.

عبرنا نهر الفرات وابتعدنا عن المكان الذي نزلنا فيه، ومع حلول الصباح شاهدنا رتلاً عسكرياً مكوناً من ثمان وعشرين حافلة، نزلوا على حافة النهر وقاموا بالتفتيش، لم نعرف المكان الذي بقينا فيه في الليل ولهذا كنا نواجه مخاطر جدية، لأن المكان يقع أسفل الطريق، مكثنا في الوادي أسفل الطريق، لهذا لم يستطع العدو أن يجدنا، لأنه بحث في الأطراف البعيدة ولم يتوقع وجودنا في تلك المنطقة، بذلك تخطينا بسهولة المخاطر الكبيرة. العملية التمشيطية التي قام بها العدو لم تكن تشبه تلك العمليات التمشيطية التي كان يقوم بها في الإيالات الأخرى، لهذا استمر التمشيط ليوم واحد، ومع حلول المساء انسحبت قوات العدو من المنطقة. مع انسحاب العدو تنفسنا الصعداء، ولم يمر وقت طويل حتى شاهدنا قروياً يدخل بيننا، لأننا كنا قريبيين من الطريق ولم يكن من الصعب مشاهدتنا. عندما شاهدنا القروي قمنا باعتقاله، ولكن بشكل لم نظهر له بأننا قد قمنا باعتقاله، وقمنا بطرح بعض الأسئلة عليه من قبيل ما اسم المكان الذي نحن فيه؟ ولأي منطقة يتبع؟ لأننا لم نكن نعرف المنطقة التي نحن فيها، حتى أننا لم نجد مثل هذا المكان على الخارطة، لأن الخارطة التي كانت بحوزتنا كانت قديمة وتعود لعام ١٩٥٠، ولهذا فإن العديد من الطرق الموجودة على الخارطة ليس لها وجود الآن والمناطق التي كانت مهجورة وفارغة أصبحت الآن مأهولة، وقد بني عدد من القرى الجديدة التي ليس لها وجود على الخارطة العائدة إلى أعوام الخمسينات. المنطقة التي وقفنا فيها كانت فارغة وخضراء، ولم يكن مثل هذا المكان موجوداً على الخارطة.

قال القروي: نحن قرييون من قرية ميديا التابعة لقصبة دوغان يول التابعة لمحافظة مالطيا. وإن صح التعبير فإن القول بأن القرية جديدة هو تعبير أقرب إلى الصحة، كانت القرية كبيرة وتشرف على سد قراه

من القرى التركية أيضاً نائية بحاجة إلى العديد من الخدمات. وقد عملنا بكل جهدنا على توعية القرويين بحقيقة السياسات التي تطبقها الدولة التركية، ولكننا لا ندرك مدى استيعابهم الحقيقي للقضية. ففي النتيجة هم أيضاً من القرويين الفقراء، والدولة التركية تهدف إلى تمرير سياستها على الشعب الكردي من خلال استخدامهم. لهذا بعدما أيقنت الدولة التركية أنها لن تحصل على النتيجة المبتغاة تركتهم على حالهم ولم توفر لهم الخدمات الأساسية التي يحتاجون إليها. وخلال فترة نقاشنا معهم عملنا جاهدين لشرح أخوة الشعوب وموقف الدولة التركية منهم.

بعد تأمين احتياجاتنا اتجهنا إلى وادي الفرات. وفي اليوم التالي كان علينا العبور إلى الضفة الأخرى من النهر. وذاك الوادي أي وادي الفرات عميق جداً، وكلما اقتربنا من سد قرا قايا تزداد مياه النهر عمقاً، ولكي نستطيع الوصول إلى عمق الوادي تحتاج إلى أربع أو خمس ساعات متواصلة من المشي، ومع بزوغ الشمس وصلنا إلى أسفل الوادي واختبأنا في مكان مناسب وانتظرنا ريثما يحل المساء، وعندما خيم الظلام علينا نزلنا إلى بداية المياه، وكنا قد جلبنا معنا طوافات لعبور النهر بها ولكنها كانت صغيرة ولا تسع إلا لفرد واحد. كما كنا قد جلبنا معنا التموين الذي يكفينا لمدة أسبوع، رغم ذلك لم نؤمن طوافات كبيرة، وقمنا بنفخ الطوافات، ووضعنا حقائبنا وأسلحتنا داخل الطوافة وصعدنا إليها وإذ بنا نلاحظ بأن الطوافة تغرق في المياه، وقتها علمنا بأنها كانت قد صنعت للأطفال ليتعلموا بها السباحة. ونحن لم نكن نعلم بذلك. لم نفكر بعدم إمكانية تخطي مياه الفرات بها. ولكن على الرغم من ذلك بذلنا مجهوداً كبيراً عسانا نستطيع العبور بها، ولكن دون جدوى. ولهذا بدأنا بالتفكير والبحث عن حلول ومنافذ أخرى.

لم يبق لدينا سوى خيار واحد وهو الذهاب إلى البيت الواقع بجوار النهر، والذي يقوم صاحبه بصنع الشخاتير، لنطلب منه مساعدتنا في العبور إلى الضفة المقابلة ولا خيار آخر أمامنا، وكنا مجبرين على دفع مبلغ من المال ليعبر بنا إلى الطرف الآخر، عندما طرقتنا الباب، فتح الرجل الباب، وقد ظهرت على وجهه علامات الارتباك والخوف بعدما شاهدنا، ولكنه لم يقل



تلك القضية بسهولة، لأن هدفنا هو فتح تلك المنطقة، و في السنوات الماضية وفي العديد من المرات كان الرفاق يترددون إلى هذه المنطقة، وكلما كانوا يأتون إلى المنطقة كانوا يتكبدون الخسائر، والرفاق الباقون كانوا مجبرين على الانسحاب من المنطقة. فالرفاق أمثال الشهيد رمزي (عرفان برفانا) وكذلك الرفيق عدنان من أنقرة ذهبوا لفتح المنطقة لكنهم استشهدوا. ولكن كان هدفنا في هذه المنطقة هو التمركز والبقاء هناك، أردنا النجاح في هذه المهمة، ومن أجل البقاء هناك وضعنا كل شيء نصب أعيننا، ولهذا اتخذنا القرار بالإجماع بقضاء فصل الشتاء هناك، وعلى هذا الأساس قمنا بالتحضيرات الأولية، وقتها قررنا تخزين بعض المؤن والتعرف على المنطقة بأدق تفاصيلها، وفي الليلة نفسها وصلنا إلى منطقة تتوسط كركر وقصبة دوغان يول في أعلى سد قراه قايا، المنطقة التي وصلنا إليها أيضاً كانت جميلة جداً، فهي منطقة جبلية وفيها غابات، وكانت مناسبة للتحرك بسهولة لمجموعة مثلنا. قضينا النهار هناك وقمنا بدخول القرى والهدف من ذلك كان القيام بالدعاية وتأمين التموين. ولكن لم يكن لدينا معلومات بصدد تلك القرى، دخلنا أول قرية، توزعنا على البيوت على شكل مجموعات ثلاثية، عندما كنا نطرق الأبواب ويسألوننا من أنتم كنا نرد عليهم نحن الأبوجيون، ولكن القرية كانت لحماة القرى ولهذا عندما كنا نقول بأننا أبوجيون كانوا يهربون ويختبئون في الحظائر.

قايا لذا كانت لها جغرافيا جميلة ومناظر خلابة، عندما سمعنا باسم القرية تفاجأنا، لأن اسمها كان ميديا ولو قلنا بأن تلك المناظر الخلابة تناسب مثل هذا الاسم الجميل فسيكون أكثر واقعية. ومع حلول الظلام أطلقنا سراح القروي لأنه لم يكن هناك داع للاحتفاظ به أكثر من ذلك، حتى أننا كنا سنتحرك في غضون عدة دقائق، ولكن إلى أين وفي أي اتجاه، وكيف سنذهب لم نكن نعلم، الجغرافيا وعرة، واجهنا صعوبة في التجول في مكان واسع نجهل معالمه، لأننا كنا نسير بشكل عفوي في هذه الجغرافيا، وكلما سرنا نجد في الصباح بأننا قد اجتزنا مسافة ساعة في المشي ليلة كاملة.

الجغرافيا هناك تكتظ بالوديان السحيقة والمرتفعات الصخرية الوعرة، و تشكل سريراً لنهر الفرات، كنا نريد أن تكون سريراً لنا أيضاً وليس فقط للنهر. أتينا إلى المنطقة في الشهر الثامن والآن نشارف على الشهر التاسع، لذلك فكرنا لو قضينا الشتاء في هذه المنطقة سيكون باستطاعتنا الذهاب حتى إلى جبل أرجيس في السنة التالية. لذلك قمنا بجولة لعدة أيام في عمق وادي الفرات وحول المياه، وقمنا بالبحث عن أماكن ملائمة للبقاء ويكون باستطاعتنا التمركز فيها. كان الوادي جميلاً وملائماً جداً للكريلا فبسبب مياه السد كانت الثلوج تذوب بسرعة وكان المكان خلق للكريلا، قمنا بالكشف والتحريات لمدة ثلاثة أيام واستطعنا تعيين المكان المناسب للتمركز، لكننا كنا نواجه مشكلة واحدة وهي كيفية نقل التموين إلى مكان التمركز، وعلى الرغم من ذلك كنا نستطيع حل

# معلم وباني الأجيال

» رفاق الدرب

الاسم والكنية: محي الدين رؤوف

الاسم الحركي: جاهد

تاريخ الالتحاق: ١٩٨٥

تاريخ الاستشهاد: ١٩٨٩/١٢/٤ نهر دجلة



هل كان لي أن أكتب عن تلك الشخصية التي علمتني معنى الحياة ومعنى العيش الكريم، بعيداً عن مخالب الطغيان والعدوان. بعدما نادتني أبجدية الحياة وقادتني لأكون تلميذاً من تلاميذه وهو يناديني بنبضات قلبه الولهان والعاشق للحرية منذ نعومة أظافره ليسقي النفوس بالحياة التي اكتسبت معنى ومغزى جديداً. ذلك من خلال أسلوبه في التعامل مع الحقائق ومكامن الحياة، وهو يستضيف القلوب كرحالة ويتنقل بين كل الدروب التي تأخذ المرء بعيداً مع تلك الخواطر واللحظات التي باتت تمر وهي تتدفق من جديد بين الخيال والحقيقة التي تلاحمت فيها كل المعاني والمبادئ السامية.

قد لا تستطيع الكلمات التعبير عن حقيقة تلك الشخصية التي دخلت عالم الخلود وسكنت القلوب، حينما فتحت عينها على جمال وبهاء هذه الحياة، تلك الطفولة التي كانت إشارة الظفر ومفتاح الحياة يرفرف على جبينها مع الشهقة الأولى ومع الابتسامة الأولى التي ترافقت مع أول شرارة أمل طفحت على شفاه العمر والمسيرة التي كانت وكأنها بانتظار قدومه الموعود. كل هذه الحقائق، المشاهد واللحظات التي دونها تاريخ شخصية الرفيق (محي الدين) سوف نمر عليها مرور الكرام ونحن نقرب صفحات تاريخها ومسيرتها صفحة تلو صفحة لنستخلص منها أروع الملاحم والبطولات التي سوف تحيا في قلوبنا وأفكارنا طوال الحياة. كما قال القائد عبدالله أوجلان إجلالاً وإكراماً للشهيد:



من مياه الحياة وهو يستنشق هواء الحرية من سفوح جبال جودي، كبار، هر كول وقرجوخ، تلك الشخصية التي تعرف عليها الكثير من القلوب وسمع بها الكثير من العقول. مثل النجوم والأقمار التي طالت السماء وباتت تشع ضياء وهي تهب الحب والمحبة التي لا تتوارى عن الأنظار، بدأت ملحمة الشهيد محي الدين حية في الأذهان لتتال وسام الشرف خالدة تحتضنها آمال الشعوب والأحرار في عالم الخلود.

فتعالوا كي نتعرف معا على حقيقة هذه الشخصية التي دونت ذكريات الجمال وحقيقة الثورة بأحرف من دم، وسطرت التاريخ من جديد بفلسفة الحرية التي فتحت عليها عيناه وهي تزدهر بين ثنايا أفكاره النضرة والتي تهوى العيش. ليس العيش والقبول بالواقع ككل الناس بل الطيران كالنسور والثوران كبركان من نار على جحور وهيكل الظلم القابع في العقول والأفكار. تلك القلوب التي تعشق الحياة الحرة وتتاضل من أجل الوصول لتحقيقها واحتضانها من الصميم، لذا فتعالوا معا نواكب مسيرة هذه الشخصية منذ طفولتها وحتى خلودها في عالم اللانهاية، ونحن نقلب صفحات التاريخ صفحة تلو الأخرى مع تلك اللحظات التي تنبض بها الحياة من جديد ويشع منها الضياء والأمل.

كانت سنوات (١٩٦٠) بالنسبة للرفيق محي الدين تعتبر بمثابة الشهقة الأولى والميلاد الجديد الذي بات فيه يحتضن نسمات الحياة نسمة بنسمة، من خلال ابتسامته البريئة التي احتضنتها الوجوه والقلوب التي كانت تحيط به من كل صوب، بالولادة التي باتت منبع فرح وسرور جميع أفراد العائلة، ابتداءً من الأب والأم انتهاءً بالأهل والأقارب الذين حمدوا الله وشكروه على تلك البشرية والنعمة التي كانت بمثابة هبة من السماء. السنوات التي أضحت الأرض الأم تنبض فيها بالحياة من جديد، وهي تنزين بالبطولات والأمجاد التي تنطق بها الحياة وهي تتلون بأجمل الألوان وتفوح بأذكي العبر النورانية والإلهية التي تتدفق في لحم الهوية الحرة. اللحظات السعيدة والجميلة والتي غدت فيها الطبيعة ترقص على ألحان البلابل والطيور وهي تحتضن بسمفونية الحنان، الحب والعتاء ابنها الوليد والموعود محي الدين. وهي تستعد رويداً - رويداً لاستقبال هذا الطفل الشغوف والباسم وهو يغادر جنة رحم أمه ليطوف مع أمواج الحياة ويساير موكب الزمن بعينيه اللتين فتحهما وهما تبسيمان وتضحكان مثل بريق النجوم وضياء القمر وهما تحتضنان المستقبل الزاهر

«اكتبوا رواية أو شعراً لكل الشهداء الذين يحيون في القلوب»

بدأت هذه الكلمات ترن في الأذان وتتطاير في سماء الأحاسيس والمشاعر التي غدت كالبركان تثور من قمم الجبال، وهي تطال بحممها أبراج السماء وخلود الرحاب. إنه الشهيد الباقي، الأبد، المعين والحي في قلوب الملايين، باقي ببقاء الحياة وماضي بمضي التاريخ والعصور وستظل تشهد لها الأوطان، السفوح والجبال الشاهقة التي احتضنت جبروتها وعظمة نضالها وسمو كبريائها بروايات، أشعار وملاحم تنطق بما يجله البشر والتاريخ المعاصر.

وما هو القلم يمتطي صهوة الخيال، ليطوف بين الأحلام ماضياً مع الزمن الذي يرقد خلف الديار وأمام الأبواب، ليختلس الفرصة المناسبة كي يسطر تلك الصفحات البيضاء كيباض الثلوج والناصعة كقلوب الأطفال، حقيقة الطفل الشغوف والشبل البريء محي الدين وهو يهوى أن يبدأ بإمطار تلك الصفحات بالكلمات والهواجس كما تمطر الغيوم الأفراح والابتسامات على شفاة الحياة. لتهلل الأرض بقدم الربيع وازدهار الزهور والرياحين التي تزين بساط الأرض وهي تتعش القلوب والنفوس بالأمل والبهاء.

محي الدين ذلك الطفل الذي كتب له أن يرافق القلم ويتجول مع ما يخبئ له المستقبل، كي يكون رقيقاً للقلم ويمتطي صهوة الحياة التي تناديه، منذ أن فتح عينيه على الحياة وهو يرتشف جمال وبهاء العيش الرغيد، برفقة الحياة الحرة بمروجها ودروبها الحية والتي تتعش لتلك الكلمات التي تنتظر الشخصية التي سيستضيفها التاريخ لتحل ضيفاً على الأسطر والجوانح البيضاء لتزيدها جمالاً وعفة.

ذلك الوطن الخالد وتلك الجبال التي تستضيف الثلوج وهي تزين ذراها السماء، والحروف التي تتطاير روعة وبهاء مثل الفراشات بحرية وهي تستنشق عطور الأفئدة الحرة من رسالة الشهادة، لتشد الرحال على مسرح الأحلام وهي تجوب السهول والجبال كي تسطر جدران العمر والحياة بأروع شخصية وأجمل رواية وملحمة تسطرها سواعد وكبرياء أطفال الشمس والنار، ثوار الوطن الخالدين.

بعدما التحمت المشاعر مع الآمال حينها أعطيت القرار بأن أسافر مع الكلمات وأتعمق في بحر حياة الفدائي والمعلم الثوري محي الدين. ذلك الشهيد البطل الذي واكب مسيرة الثورة منذ نعومة أظافره وارتوى

اللامتناهي وكأنه يسابق الزمن والحياة معاً. اجتاز محي الدين المرحلة الابتدائية، الإعدادية والثانوية بنجاح وتفوق كبير وحصل على شهادة التدريس. أي أنه سيستطيع ابتداء من الآن فصاعداً أن يُدرّس الطلاب، ومنذ ذلك الوقت بدأ محي الدين ينخرط في تدريس الأجيال. كان طالباً وبدأ يتسلق درجات المعرفة وينهل العلم من معلميه وها هو الآن وبعد كل هذه السنوات الطويلة من الجهد والعطاء والمثابرة يصل لمرحلة يستطيع فيها أن يكون منبع العلم ويقوم بتدريس الطلاب وإرشادهم لطريق الصواب والحياة التي ملؤها الحب، الجمال والمحبة.

في بداية الثمانينيات وبالتحديد في عام ١٩٨١ بدأ محي الدين يدرس في إحدى المدارس الابتدائية في قرية حمزه بك التي تقع في منطقة كوجرا والمرتبطة بمدينة ديريكاً حمو. ولكنه لم يكن مثل كل المدرسين الآخرين، لأنه لم يكن يعلم طلابه القراءة والكتابة وإعطاء الدروس المدرسية فقط بل كان يعلمهم طبيعة العلاقات والحياة الرفاقية الصحيحة والحقيقية التي يمكن إقامتها بين الرفاق والطلاب والتي تستند على الحب والمحبة. استطاع محي الدين ومن خلال تلك الصفات والميزات أن يحتل مكانه كمركز للعطاء ومنبع لإعطاء تجارب الحياة لكل الطلاب من حوله، وذلك عن طريق المواصفات الحسنة والنبيلة التي كان يتصف بها والتي كانت سبباً في تعلق الكثير من الطلاب به.

لأنهم كانوا يشاهدون فيه المعلم الحقيقي الذي يبني الأجيال بكل معنى الكلمة، وهو يعي جيداً جوهر المهمة التي كان يقوم بها، لأن مهمته لم تكن تستند على كسب المال والتقرب بسطحية من العمل الذي كان يقوم به كباقي المعلمين الذين كان كل ما يشغلهم هو كسب معاشهم في كل شهر ولا يهمهم إن تعلم الطلاب أو لم يتعلموا. لأنه كان يمتلك قدرة كبيرة على معرفة ما يجول في داخل كل تلاميذه وهو يحاورهم ويعمل على معرفة مشاكلهم وإيجاد الحلول المناسبة لها عن طريق التقرب المناسب والمجدي في كل خطوة كان يخطوها، ساعياً من خلال ذلك إلى بناء الشخصية الناجحة والقادرة على صنع مستقبلها بنفسها. وفي كثير من الأحيان عندما كان الرفيق محي الدين والذي كان يُنادى من قبل رفاقه بـ محه (Mihê) كاختصار لاسمه حسب العرف الشعبي الدارج في المنطقة يلعب في فريق لكرة القدم، كان كل الطلاب يريدون أن يحتلوا

في وجه الحياة منذ الشهقة الأولى. وكذلك شفتاه اللتان لم يكن الأمل والبسمة تفارقهما وكأنهما ينبوع من العطاء المعنوي والسماء المزينة بالنجوم والتي تظل ساهرة طوال الليل لتضيء طريق العشاق والأحرار.

نعم لقد توقفت الحياة أمام مسامع الرفيق محي الدين وهي تخاطبه بلغة الحياة والدروب، وهي تحمل له المزيد من الأمان والمهمات التي يتوجب عليه تحقيقها في مسيرة حياته التي تخفي له المزيد من المفاجآت والمعجزات، وها هو يغدو صفحة جديدة لكتاب التاريخ والحياة التي باتت تتاديه وتهل لميلاده الحر منذ اللحظات الأولى من تخطيه عتبة العمر.

بعد تعاقب سنوات العمر وتواكب اللحظات والسنوات جاءت مرحلة الدراسة وها هي المدارس تفتح ذراعها لكي تحتضن ذلك الطفل الذي ابتسمت له الحياة ونادته العيون لاستنشاق هواء الحرية، العلم والمعرفة من ينابيع الحضارة وهو يتخطى السابعة من عمره. كراس التاريخ ينتظره بفارغ الصبر والعائلة تقوم بتجهيزه مع الزغاريد والأفراح وهو يواكب مجرى التاريخ بين صفوف طلاب وعشاق العلم والمعرفة والساعين لاحتضانها بفارغ الصبر.

طرق محي الدين أبواب المدرسة بعشق وسرور لا مثيل له واحتل مكانه بين رفاقه في الصف الأول الدراسي وقد غدا ابتداء من ذلك الوقت يواكب مسيرة الفكر برفقة القلم والكتاب.

كان يشرب كل كلمات معلميه مثل الماء ويزينها بأزهار الألوان والمعاني. جميع هذه المواصفات والخصال التي اتصف بها خلقت له مكانة عالية وكبيرة في قلوب جميع معلميه، محبيه وزملائه من الطلاب. بالإضافة إلى أنه كان طالباً نشيطاً ويهتم بواجباته وينتبه للدراسة كثيراً، بالإضافة إلى أنه كان صاحب إمكانيات كثيرة ويمتلك أسلوباً رقيقاً وشفافاً يتعامل به مع كل رفاقه وزملائه، من دون أن يزعج أو يكسر خاطر أحد في الحياة، لا في المدرسة ولا في البيت. لذا كانت كل الأمهات اللواتي يعرفن أم محي الدين ويعرفن محي الدين وجدارته في الحياة يقلن: «ليحفظ الله ابن برفي، فهو ذكي وشاطر وله صفات حسنة قلما يتصف بها كثير من الصبيان، ليحرسه الله ويحميه لوالديه طوال العمر».

كان الرفيق محي الدين يجتاز درجات العلم ويصعد بها الواحدة تلو الأخرى برفقة القلم والدفتر وهو يلتحم مع العلم والمعرفة بكل إحساسه وعشقه



مكانهم في ذلك الفريق لأنه كان يجيد لعب كرة القدم وكان لاعباً ماهراً ويحتل مكانه في فريق كرة القدم لمدنية ديريك والذي كان يسمى آنذاك بفريق (شفان).

في تلك المرحلة كانت للفريق الشهيد علاقات مع الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي (يميني - القومي) في سوريا ولكنه كان كغيره من شبان تلك المرحلة في حالة بحث عن فكر، أفق وروح جديدة في الساحة الكردية. كان الرفيق محه يملك مكتبة متواضعة من الكتب المتعلقة بالفكر الماركسي وتاريخ كردستان وحركات التحرر الوطني. كان أبوه رجلاً متديناً وينشغل بالتجارة وكانت أمه امرأة معروفة في محيطها الاجتماعي لاهتمامها باليتامي والفقراء وعلاقاتها الكومونالية الأصيلة. كان الرفيق محه الابن الوحيد للعائلة، لذا كان محط الاحترام والتقدير من قبل جميع أخواته اللواتي كن يهتمن به ويسعين لإسعاده في الحياة. وهكذا وضعت العائلة كل إمكانياتها في سبيل تأمين إكمال الابن الوحيد لدراسته وحصوله على الشهادة الثانوية والدخول إلى الجامعة.

كان للرفيق محه علاقات واسعة وطيبة مع الشبيبة من مختلف الثقافات والأديان مثل السريانيين والآشوريين الذين كانوا يعيشون في منطقة ديريكاً حمو. فعلى الرغم من أن الرفيق فتح عينيه على الدنيا في مدينته الصغيرة ودرس فيها، ثم ذهب إلى الجامعة، إلا أنه كان يحن إلى حياة القرية وتلك العلاقات التي كان يبنيها مع القرويين وهو يستمع إلى أحاديثهم ومشكلاتهم وينسجم معهم في الحياة. بعدئذ تحولت هذه الخصوصية في شخصيته إلى أرضية خصبة لكسب ود وحب الجماهير له في نضاله الثوري، خاصة بعد انضمامه إلى الحركة الأوبجية. من هذا المنطلق لم يتطور مرض المثقف البرجوازي الصغير المتكبر والبعيد عن حقيقة المجتمع والنشاط الجماهيري في شخصية الرفيق محه وهو يذهب بين الحين والآخر إلى القرية ويبقى فيها لأيام عديدة عند أقربائه ومعارفه، ولا شك بأن مثل هذا التصرف لدى أي شاب وفي عمر مبكر يكسبه الثقة بنفسه ويخلق لديه روح المبادرة والنضوج.

تعرف الرفيق محي الدين على فكر الحزب في عام ١٩٨٤ وكان ذلك عن طريق قراءة أدبيات الحزب والقائد عبدالله أوجلان، كذلك من خلال علاقته مع الرفيق أحمد مصطفى الذي (استشهد في غرزان سنة ١٩٨٧) والذي كان من قرية عين ديوار ومن خيرة الشباب الذين تعرفوا على الحركة في بداية الثمانينيات. وبفضل الرفيق الشهيد عبد الرحمن ماتور (صالح) توثقت علاقة الرفيق محه بالحركة وقرأ وناق محكمة ديار بكر للرفاق مظلوم دوغان، كمال بير وخيري دورموش وبعض البيانات والأدبيات المترجمة إلى العربية في سنوات ١٩٨٢ ومن ثم أعطى قراره بالانضمام الفعلي إلى الحركة.

على إثر تلك التطورات التي طرأت على شخصية محي الدين قام بقطع علاقاته مع الحركات الكردية القومية والمصطنعة تماماً وحول علاقاته الاجتماعية إلى علاقات ذات محتوى أيديولوجي-فكري ووطني ووضعها تحت خدمة الحركة. وعلى إثر ذلك شكل محي الدين محيطاً اجتماعياً وطنياً مؤيداً للحركة من علاقاته السابقة والقائمة على القرابة والمعرفة الشخصية، الطبيعية والتي كانت بمثابة اللحظات الأولى من مسيرته الثورية وانخراطه بين صفوف الحزب. لأن حزب العمال الكردستاني كان بالنسبة له بمثابة حياة وبداية انطلاقه جديدة ويختلف عن كل الأحزاب الأخرى التي تعرف عليها خلال مسيرة حياته حتى الآن، خاصة لما يمتاز به من مميزات وخصال قلما تجدها عند الأحزاب والحركات الأخرى.

رويداً- رويداً بدأت مجاري الحياة تتدفق في ذهنه وفكره من جديد، بعدما نادته الحياة وهي تخاطبه قائلة: لن أناديك من الآن وصاعداً أيها الطفل لأنك أصبحت شاباً ناضجاً يمشي بخطا سديدة بين مسالك الحياة التي باتت تنتظر منك المضي قدماً على دروب الحرية والمضي خلف راية القيادة والشهداء.

بعدما انخرط الرفيق محي الدين بين صفوف الثورة وارتوى من مياه الحياة بدأ يحمل راية العلم والمعرفة وبدأ يستعد لاستقبال المهام التي سوف توكل إليه في كل لحظة. الغرفة الصغيرة التي كان يسكن فيها محي الدين كانت بمثابة مكتبة صغيرة تتضمن كل الكتب التي كانت تتعلق بالثورة والنضال الثوري، ابتداء من كتب القيادة وانتهاء بالكتب التي تتضمن تجارب الثورات التحريرية في العالم. في كل يوم كان محي الدين ومن خلال المطالعة الكثيفة التي كان يقوم عن طريقها بتحليل الإنسان، الطبقات، المجتمع، يكتسب معرفة واسعة وعميقة عن تاريخ وحقيقة الشعب الكردي أكثر فأكثر. فعلى الرغم من أنه كان معلماً ويدرس الطلاب ويستند في ذلك على كتب ومنهاج الدولة التي كانت تشرح فيه تاريخ العرب والتطورات التي حققها لكنه بعدما تعرف على حقيقة ثورة

ودعمهم للنضال. وفي الوقت نفسه لعب دوره البارز في مد الجسور فيما بين ساحة بوطان والساحات الأخرى، من خلال إبداء الجسارة، الإرادة والتغلب على كافة الصعوبات، من خلال تشجيع الشبيبة على الالتحاق بصفوف الكريلا.

لذا استطاع أن يجسد في شخصيته صفات الكادر الحزبي الذي جمع بين النشاط الجماهيري الجبهوي والعمل المسلح في الأغوار من جهة والفعاليات التدريبية الأيديولوجية فيما بين الفئات الشابة من الجهة الأخرى.

لذلك قلما كنا ندخل بيتاً في منطقة ديريك ولا نرى فيه صورة الشهيد محي الدين، لأنه تمكن من الوصول إلى قلوبهم بوفائه، حبه وحميميته الصادقة. لقد أدرك وشعر بحسه الثوري بالأم الشعب من خلال انشغاله بمشاكلهم وكأنه كان يبشر بمشروع القائد الكونفيدرالي الكومونالي بصدد تنظيم المجتمع.

لذا كان قريباً إلى الجميع، أطفالاً، شيوخاً، نساءً وشباباً، وهو يحتضن في قلبه أمل الوحدة الوطنية الديمقراطية بين المجتمع الكردستاني كإحدى ثمار المرحلة الأولى للكفاح المسلح والمسماة بثورة الانبعاث. لقد أثبت الرفيق في نشاطه بأن الشعب الكردستاني جدير بالثورة والنضال ومرتبطة بالحرية والمقاومة مهما كان حجم الصعاب والتضحيات إن وجد بينه كوادرفية تعمل بتوجيهات من قيادة حكيمه وصادقة، ابتداء من شخصيته التي تحولت إلى رمز للكادر المرتبط بتوجيهات القائد أبو وقيم الشهداء والشعب.

كلما كان محي الدين يتعمق في معرفة حقيقة الثورة والقيادة كان يتقرب أكثر من معرفة حقيقة شعبه وتاريخه المديد وقد غدا وبكل معنى الكلمة ابناً لكل الأمهات والوطن، خاصة بعدما توجه في سنة ١٩٨٦-١٩٨٧ إلى أكاديمية معصوم قورقماز والتقى بالقائد أبو وبدأ يتسلح بفكره ومبادئه في الحياة الأكاديمية التي تعلم فيها حقيقة القيادة والجوانب الأيديولوجية، السياسية، الفلسفية والاجتماعية. والأهم من كل ذلك التوصل إلى معرفة كيفية بناء ثورة في الشخصية والعمل على اجتياز جميع العوائق والحواجز التي تعيق التطور والتغير في الحياة من خلال الدورة التدريبية التي انخرط فيها والتي كانت بمثابة بحر من العلم والمعرفة واستطاع بناء شخصيته من خلالها وحمل ما اكتسبه من تلك التدريبات لينير جميع العقول والقلوب

حزب العمال الكردستاني لم يعد يهتم بكتابات النظام بما تحتويه من مواد، خاصة بعدما غدا يمتلك روحاً ثورية وبدأ يتسلح بفكر وأيديولوجية الحزب والقائد ولم تكن أية قوة تستطيع أن تعيق وصوله إلى تحقيق الانتصار في الشخصية وتحقيق الحرية.

على إثر ذلك انضم الرفيق محي الدين إلى نشاطات الحركة بين الجماهير الكادحة في المنطقة أولاً، ومن ثم انخرط في فعاليات الحركة الساعية إلى تأمين مرور مجموعات الكريلا إلى بوطان عبر الحدود على نهر دجلة فيما بين منطقة ديريك وجزيرة بوطان، خصوصاً بعد حملة ١٥ آب التاريخية. اكتسب الرفيق الشهيد الجسارة والإرادة في تسهيل المصاعب وكيفية عبور الحدود المصطنعة والمدججة بالأسلاك الشائكة، الجنود، الأسلحة، عن طريق وضع جغرافياً وتضاريس المنطقة تحت خدمة النضال من أجل الحرية على أساس تسهيل عملية مرور الكريلا ووصولهم إلى قواعدهم في جودي وكابار والمناطق الأخرى بسلام.

التقى الرفيق محي الدين مع القائد أبو في ربيع عام ١٩٨٥ وانضم إلى دورة تدريبية بعد احتفالات نوروز وإعلان جبهة التحرير الوطني الكردستاني. بعدها انضم إلى الدورة التدريبية التي انضم إليها كل من الرفاق اسماعيل إبراهيم، أحمد مصطفى وفراس كوباني الذين كانوا ينتمون إلى الكوكبة الأولى من شهداء غربي كردستان في النضال تحت راية حزب العمال الكردستاني. بعد انتهاء الدورة كلف القائد أبو الشهيد محي الدين بتحمل مسؤولية النشاط الجبهوي للحركة في منطقة ديريك بشكل خاص والجزيرة بشكل عام. وقد أخذ الشهيد هاوار والشهيد خشمان أماكنهم في هذه المهمة الصعبة والشاقة، إلى جانب الرفيق زنار وأحمد بمسؤولية مباشرة من قبل الرفيق محي الدين. وفي هذه السنوات نضجت شخصية محي الدين في مجال بناء التنظيم وفتح العلاقات مع كل فئات الشعب وتسخيرها لخدمة تطوير النضال المسلح في بوطان وماردين وغيرها من المناطق. هكذا توسعت القاعدة الجماهيرية لحزبنا في ديريك، قامشلو، عامودا وغيرها.

علينا القول إن الدور الذي لعبه محي الدين في اليقظة الشعبية المقاومة تحت راية حركة الحرية في منطقة ديريكاً حمو كان بارزاً، لأنه احترف في هذا العمل وعرف كيف يجذب أكثر الفئات البعيدة عن الروح الوطنية إلى صفوف النشاط ويكسب صداقتهم





التي تعشق الحياة والحرية.

الذي وصفه لجسارته وخصاله الحميدة قائلاً «الرفيق محي الدين هو عكيد غربي كردستان». لذا نستطيع أن نقول إنه كان صادقاً في كل ما عاهد ووعده به من النضال والتضحية في سبيل الشعب والوطن وهو يقوم بتمرير كل ما كان يقوله وينادي به في الحياة العملية على أرض الواقع، هذا كان السبب في إيمان وثقة الحزب، الرفاق والشعب به أكثر فأكثر. بالإضافة إلى أنه كان يجاهد ويناضل بلا هوادة في سبيل تحرير الشعب والوطن وهو يواكب مسيرة الشهادة والبطولة بعدما سقى بدمه الطاهر أرض كردستان الطاهرة ونال وسام الشرف والكبرياء واحتل مكانة كبيرة في قلوب الملايين من عشاق الحرية.

كان التاريخ يسطر تلك اللحظات ويبدوها بأحرف من دماء الشهداء وذلك في ٤-١٢-١٩٨٩. ذلك اليوم الذي زلزلت فيه الأرض وأمطرت السماء دموعاً وتلاشت السحب وبدأت الغيوم والضباب بالالتفاف حول قمة جودي وكبار وهي تسرع بالتوجه نحو ساحة الحرب وكأنها تأبى أن تحرس تلك المجموعة الفدائية وتساندها في حربها ضد جحافل الطغيان والعدوان.

تلك المجموعة التي قاومت المستحيل والعدوان كي تضمن وصول رفاقهم الذين كانوا على طريق ساحة الحرب إلى أماكنهم بسلام وتلك القلوب التي تلاحت كحلقة نار وهي تصرخ في وجه الظلم والعدوان لتسابق أمواج نهر دجلة في جريانه وانحداره، ذلك النهر الذي كان شاهداً على مجرى الحرب التي دارت رحاها على أرض الواقع والمقاومة الباسلة التي أبدتها الرفاق وبكل تفاصيلها. المعركة التي ملأ صدى طقاتها وقذائفها الوديان والسهول وباتت تتلاشى مع نسيمات الرياح لتلحف مسامعنا بلحمة الفداء والبطولة التي أبدتها الرفاق في وجه العدوان والظلم.

كانوا أربعة نجوم وشموع أضاءت الليل المظلم، بددوا بنور أجسادهم كل مسامات الظلام وكانهم أبوا إلا أن تتكشف حقيقة تلك الملحمة للطبيعة والأحياء مخاطبين إياهم قائلين: إن هذه الحرب هي حرب الحياة والموت، الحياة للطبيعة وجميع الأحياء على سطح الأرض والموت للطغيان والعدوان والظلم.

محي الدين، زنار، أحمد وزوزان جسدوا أروع سمات الشهادة و أعذب الألحان التي غنتها الطبيعة، الكون، الآلهة وأروع الأسماء التي نطقت بها الأسنة والشفاه واحتضنتها القلوب العاشقة. القلوب والنفوس التي لم تترك تلك المجموعة لوحدها حتى في أصعب

استمر الرفيق محي الدين في نشاطه على طرفي نهر دجلة من الجانب الجنوبي الغربي والشمالي معاً، ومزق ذلك الخط المصطنع والمرسوم حسب إرادة القوى الحاكمة العالمية والدول القومية الشوفينية في المنطقة، وهو يقوم بتحقيق التوحيد فيما بين الشمال والجنوب الغربي على أرض الواقع. وفي بداية عام ١٩٨٩ أراد محي الدين أن يقود المجموعة الجديدة من الكوادر الذين انتهت دورتهم التدريبية في أكاديمية معصوم قورقماز إلى قواعدهم في جودي عبر نهر دجلة كما فعل في العديد من المرات. لكنه استشهد إثر كمين غادر نُصب من قبل الجيش التركي والعصابات الخائنة التابعة للدولة بعد مقاومة بطولية على ضفاف نهر دجلة وفي موقع قريب جداً من مدينة جزيرة بوطان، مع الرفيق زنار وأحمد الذين استشهدوا معاً في ذلك الكمين وتم دفن جنازاتهم في جزيرة بوطان إلى جانب جنازة الرفيقة بيريفان (بنفش آكال) في مقبرة الشهداء.

كان محي الدين بمثابة الثوري، القيادي والجندي الوفي لشعبه في كل مكان وزمان. بالإضافة إلى أنه كان بمثابة الانطلاقة والصرخة التي تمثل الشعب ومساغيه في تحقيق الحرية، لذا كان الشعب يكن له الحب والمحبة من كل صوب لما كان له من مكانة في قلوب الشعب قبل أن يتعرف على حياة الحزب وبعد تعرفه أكثر فأكثر، لما كان يمتاز به من صفات وخصائص تجعله يحتل مكانه بين الشعب. فأسلوبه الشعبي وتواضعه، على الرغم من أنه كان الابن الوحيد في العائلة وكانت عائلته غنية ولكنك لم تكن تحس بكل هذه الجوانب في شخصيته. لأنه كان يحتضن الشعب بكل ما يعانيه من أسى وآلام في قلبه، فكره ومبادئه. بالإضافة إلى أنه كان يعرف كيف يتعامل مع الصغار، الكبار والنساء كل على حدى، لذا لم يكن أحد يتضايق منه، بل على العكس من ذلك، فقد كان يحتل مكانه في قلوب وعقول الملايين من أبناء الشعب الكردي، الذين كانوا يعرفونه أو سمعوا باسمه. ظهر ذلك وبوضوح أثناء استشهاد عن طريق انخراط المئات من الصبيان والبنات في صفوف الثورة، وتسمية المئات من الأمهات أولادهم باسم محي الدين (جاهد).

اكتسب الرفيق محي الدين ومن خلال مسيرته البطولية والرائدة في النضال مكانة مرموقة، ليكون بذلك عند ظن الشهداء، الشعب والقائد عبدالله أوجلان

الذي خلق الإنسان وجعله يتعرف على حقيقة وجوده وحقيقة تاريخه، بعدما رسخ كل ما اكتسبه من مجتمعه ومن فلسفة وأيديولوجية القائد أبو. بعدما تسلح بكل الحقائق التي كانت مخفية عنه وهو يسابق الزمن ويركب قطار الحياة التي خلدتها في أفكاره وأثار بها قلبه وعقله، ليقود مسيرة البطولة بين ربوع الوطن الخالد وهو يقول «إن كل أقوال القائد بالنسبة لي بمثابة تعليمات ولا بد أن أنفذها بكل حذاقيرها رغم كل المصاعب والعراقيل»، وكان يتمنى أن يمتلك عدة أرواح ليضحي بها في سبيل تحرير شعبه المضحي والمناضل والذي يستحق أن يعيش حراً». كانت أمواج نهر دجلة بمثابة تظاهرة وطنية تتدفق وهي تنادي الحرية بألحانها وتردد أغنية آفا مزن.

## DÊRİKA RENGÎN NEGRÎ

Îro Mihê Mem e  
Ew mêvane li cizîrê  
Silav û rêzên xwe....  
Pêşkêş dike ji bona Zînê  
Çîroka Mezlûm û Egid dibêje  
Çeko û Arif guhdarin  
Bêrîvan û Zîn hişyarin  
Nûhê bapîr û hosta li ser karin  
Gemî û keştî avakirin  
Silavên xwe dişînin.....  
Ji bona laleş: şingal û Amûdê  
De rabe hevalo.....  
De raba Mihê.....  
Bêje.....(Ava mezin.....  
Ava mezin sor bi xwîne)

اللحظات وهي تجابه الموت في ساحات الوغى وتزرع الحياة من جديد بين قلوب الآلاف من أحباب وطلبة الرفيق محي الدين.

ابتداءً من الأطفال ومروراً بالنساء والشيوخ الذين كانوا يسهرون طول تلك الأيام وهم يساندون تلك المعركة بقلوبهم وعقولهم ليل نهار ويعيشون وقائعها في صميم هواجسهم وأحاسيسهم. ديريك المدينة التي لم تتم طوال الليل وهي تشهد وقائع تلك المعركة التاريخية ومقاومة الرفيق محي الدين وكل من رفاقه أحمد، زنار وزوزان حتى آخر قطرة من دمايهم الذكية.

لقد كان لتلك المعركة ولاستشهاد كل من الرفاق محي الدين، أحمد، زنار وزوزان تأثير كبير على المنطقة بشكل عام وعلى مدينة ديريك بشكل خاص. وذلك كان واضحاً من خلال انخراط المئات من أبنائها وبناتها في صفوف الثورة واعتناق الكثير من أهالي المنطقة فكر الحزب وفلسفة القائد أبو، خاصة بعد استشهاد محي الدين والمجموعة التي كانت برفقته. وعلى إثر ذلك قامت كل من أخواته السبعة بتوجيه أبنائهن وحثهم على الانخراط في صفوف الثورة بعدما رفعوا اسم الرفيق محي الدين وساروا على نهجه ونهج القيادة والشهداء. فمنهم من ناضل بين الشعب ومنهم من استشهاد وسقى بدمه تراب الوطن ومنهم من وقع في الأسر وهم ما يزالون يقاومون الطغيان دون هواده، وهناك من يحاربون على ذرا جبال كردستان وهم يمتشقون سلاح الحرية ويسهرون على حماية الوطن الغالي كردستان.

وصل الرفيق محي الدين إلى مرتبة الشهادة كأعلى وأرفع مرتبة عرفتها الإنسانية حتى الآن، ليرقد إلى جانب مم وزين، جكو وعارف، زنار وأحمد وبريفان في قلب تراب بوطن المقدسة التي يطل عليها سيدنا نوح بسفينته من أعلى قمة في جودي، ويغني لهم دجلة أغنية «آفا مزن....سور به خوينه» ويرسل أمواجه إلى ديريكاً حمكو وبرية جبل شنكال وشهداء سينما عامودا. وهو يسكب دمه ويجعله خميرة لتحقيق الوحدة فيما بين الشمال والجنوب، الماضي والحاضر والكادر والشعب.

لذا نستطيع أن نقول إن الرفيق محي الدين كان قدوة لكل الرفيقات والرفاق الذين انضموا من منطقة ديريك ومن غربي كردستان.

باعتباره كان بمثابة المعلم، الباني والقائد الميداني



الشهيد آذاد شدادي



الشهيد آذاد قامشلو



الشهيد آرکش حسكة



الشهيد باران بيرسوس



الشهيد جكدار جودي



الشهيد حمودة تل حميس



الشهيد دلشير حسكة



الشهيد دوجكا



الشهيدة روزرين آمارا



الشهيد شيرو حسكة



الشهيد عكيد زاغروس



الشهيد عمر شيران



الشهيد كابر سري كانية



الشهيد كوران نوروج



الشهيد ميار تربسبية



الشهيد نضال حسكةس



الشهيد برخودان حسكة



الشهيدة برفين خمكين



الشهيد بروسك ويران



الشهيد جان فدا دارا



الشهيد جوان طي



الشهيد جودي رش



الشهيد خليل جافخون



الشهيد رستم ديار



الشهيد شرفان آمارا



الشهيد شرو تل سلاط



الشهيد صابر قامشلو



الشهيد عبدالحى هول



الشهيد عكيد هلكو



الشهيد غريب ولات



الشهيد فتحي تل كوجر



الشهيد هوكر كوبانى



الشهيدة أرجين ألداغ



الشهيد اياد تل كديش



الشهيد بيكس تل كوچر



الشهيد تولهلدان



SEHID CANO

الشهيد جانو سري كانية



الشهيد جوان رقة



الشهيد حسن ديرك



الشهيد دليل عزيز



الشهيد دمهاث جودي



الشهيد سيد جل آغا



الشهيد عبد الزاهر الدهام



الشهيد قنديل كوباتي



الشهيد مظلوم دوغان



الشهيد مهنتد حسكة



الشهيدة نوبلدا ماردين



الشهيد ولات رقة



الشهيد بدران ستيرك



الشهيد بيشاوا آرمانج



الشهيد جكدار ايله



الشهيد جيا روس



الشهيد جيهات دوغرو



الشهيد حمزة كابر



الشهيد دجوار باران



الشهيد دليار قوتلي



الشهيد روجهات جودي



الشهيد زوزان بوطان



الشهيد سردار كوباني



الشهيد عكيد قامشلو



الشهيد علي قامشلو



الشهيد كور



الشهيد هيرش آخ جرا



الشهيد هيرش آداد



الشهيد آرام تيكران



الشهيدة أوزكور آمد



الشهيد برشك قامشلو



الشهيد بروسك روها



الشهيد بروسك قنديل



الشهيد بنكين حسكة



الشهيد جكدار سي كركا



الشهيد جيا حسكة



الشهيد جيا سرحد



الشهيد حمزة عقيرين



الشهيد دليل شكافي



الشهيد دورم خليل



الشهيد شاهين حسكة



الشهيد معلم



الشهيد مظلوم



الشهيد مظلوم قامشلو

